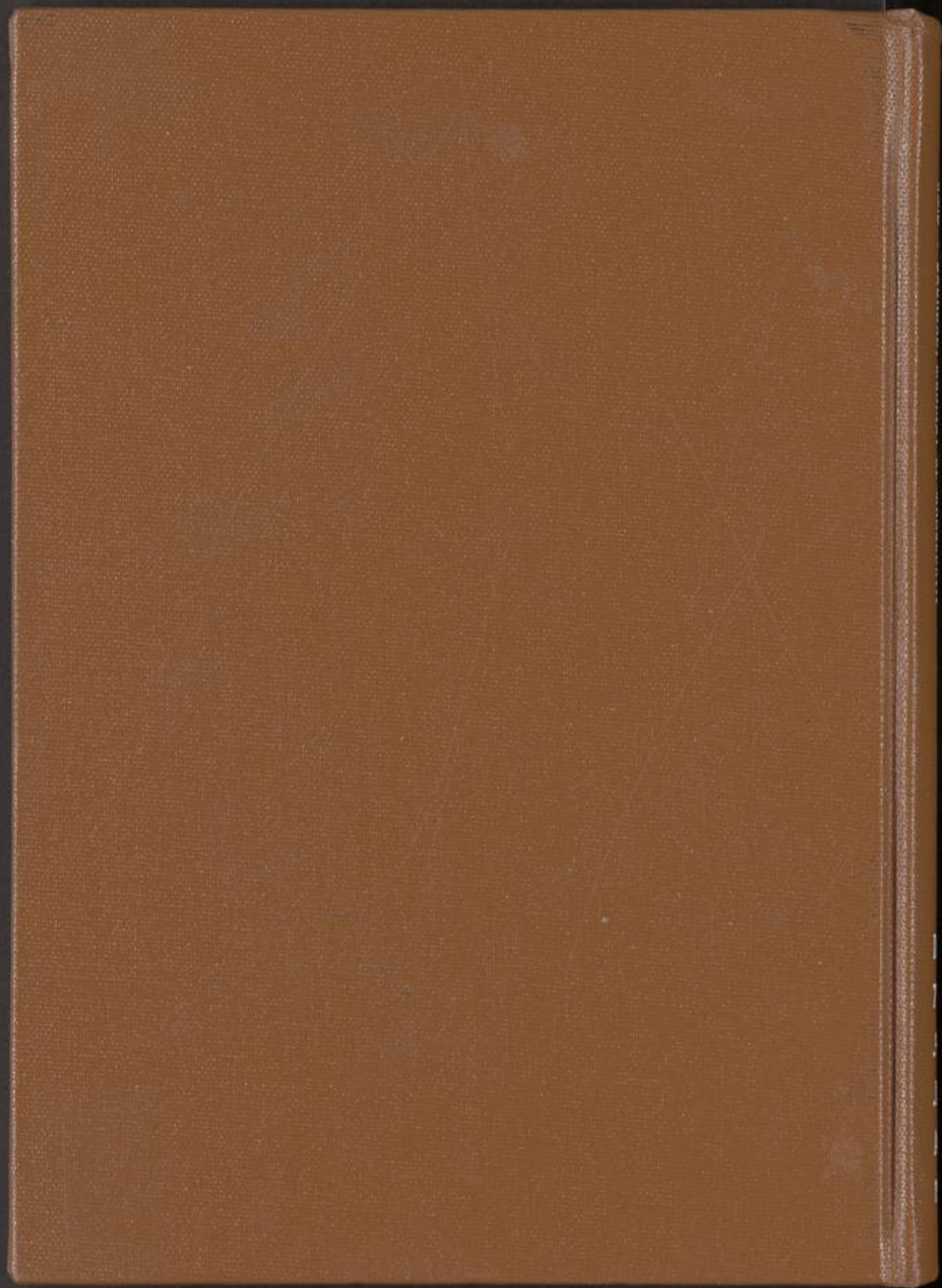
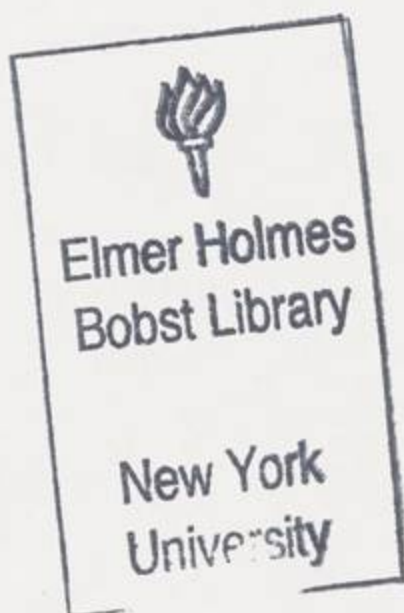








15-0000-00000

Amīd, Tāhir Muẓaffar

1 Baghdād, madīnat سأدت جامعة بغداد على نشره
al-Mansūr al-mudaḥḥarah /

بَغْدَادِي

مَدِينَةُ الْمَنْصُورِ الْمَدَوَّرَةِ
تأليف

ظاهر مظفر العميد

رسالة مقدمة الى جامعة بغداد للحصول على درجة

الماجستير بالاثار الاسلامية

قدم له الاستاذ ناجي معروف

من منشورات المكتبة الاهلية في بغداد

لصاحبها السيد شمس الدين الحيدري

JUN 22 2000

DS

79

.9

B25

A64

1967

029198788

مقدمة

المشرف الاستاذ ناجي معروف :

بغداد وأثرها المعماري في المدن الإسلامية والاجنبية

يمكن ان نعد بغداد من أعظم مدن العالم في القرون الوسطى في عمارتها وحضارتها وثقافتها ، وما خلّدت من آثار علمية وأدبية وفنية ، فقد طغت شهرتها على القسطنطينية ، عاصمة الامبراطورية البيزنطية ، وغزتها جيوشها في العصر العباسي ، كما فاقت دمشق عاصمة الامبراطورية العربية في خلافة الامويين ، ولم تبلغ قرطبة بالاندلس والقاهرة بصر ما بلغته بغداد في العراق .

كما يمكن ان نعد المدينة المدورة بحق أعظم تجربة معمارية قام بها العرب المسلمون في العصر العباسي في منتصف القرن الثاني الهجري ، وفيما تركته من تأثير واضح في المدن التي اختطها العرب في البلاد الإسلامية خلال حكمهم الطويل ذلك لأنها كانت تعتمد على تنظيم هندسي دقيق ، وخبرات فنية ومعمارية وامكانيات مادية وجهود رائعة بذلها المنصور واصحابه لتكون عاصمة للدولة العربية الجديدة التي كانت تتد من الاندلس حتى الصين . وقد اتسعت بغداد على جانبي دجلة اتساعاً منقطع النظير وبُنيت فيها الدور والقصور والمساجد ودور العلم والمستشفيات والمراسد الفلكية وانشئت فيها المدارس والجامعات والرّبط، وبُنيت فيها الاسوار والابراج، وشقت فيها الترع والانهار وشيدت القناطر والجسور والبرك ، وحلبات الخيل والحمامات والطواحين والخانات والمتنزهات وحدائق الحيوانات . وبلغت من الاتساع

والتنظيم ما لم تبلغه المدن التي بنيت قبلها أو بعدها حتى أصبحت (جنة الارض) بل (الدنيا) و (من لم يدخلها لم ير الدنيا) وغدت (من خزائن الله العظام التي لا يقف على حقيقتها الا الله وحده) .

وفي العصور العباسية المتأخرة عندما زادت سيطرة الاعاجم من ديلمه الفرس وسلاجقة الاثراك بدأت عوامل عديدة تتضافر على تخريبها وتدميرها من هدم وقض وحرائق وفيضانات الى حروب وزلازل وزوابع وصواعق وأمطار و (نزين) وتخريبات من العيارين ، والحرائق الناشئة من الفتن السياسية والمذهبية . حتى كانت حروب المغول في عهد هولاكو والتخريبات الفظيعة في عهد تيمورلنك والحروب الطاحنة بين الفرس الصفويين والاثراك العثمانيين ، ثم النزاع بين ولاية العثمانيين انفسهم والتنافس بين المماليك على حكم بغداد وما أعقب ذلك من أوبئة وامراض وخوف وغلاء ، كل اولئك اتى على البقية الباقية من معالم بغداد حتى أصبحت اثرا بعد عين ، ولم يقاوم البلى من آثارها الا أماكن معدودة لا تزال موضع اعجاب الزوار والعلماء والآثاريين .

وليس بين المدن العربية والاسلامية مدينة حظيت بعناية الباحثين والعلماء والمؤرخين والجغرافيين كمدينة بغداد فقد عني العرب والمسلمون والاجانب من المستشرقين وعلماء الآثار والرحالين قديما وحديثا بوصف بغداد ، والكتابة عن خططها ومعالمها وما بقي من آثارها منذ انشائها حتى اليوم .

ومما يؤسف له أشد الاسف ان التحريات الأثرية عن موقعها وآثارها لم تجر حتى الآن ولم تقم مديرية الآثار العامة ولا جامعة بغداد بحفر أو تنقيب فيها . ولقد عم العمران وامتد البناء على اكثر الاماكن التي يحتمل انها كانت تؤلف مدينة السلام التي انشأها أبو جعفر المنصور واصبح من العسير اجراء التنقيبات والتحريات في مثل هذه الاماكن . ومع ذلك كله

فلا يزال المجال ميسورا للقيام بشل هذه التنقيبات في الاماكن والتلول
والبساتين الواقعة في محلة (العظيفية) أسفل الكاظمية وفي الاماكن الواقعة
على مقربة من مخازن الجبوب وهي الاهراء المسماة بـ (السيلو) وبخاصة
قرب سواحل دجلة حيث تظهر بين حين وآخر بعض المباني أو النقود أو
اللقى الأخرى .

ولما كانت لبغداد قيمة حضارية كبيرة فقد رأيت ان اتكلم على بعض
الامور التي تتعلق بتأثير المدينة المدورة في غيرها من المدن في الشرق والغرب
لاسيما وان الرسالة التي تقدم لها لم تبحث هذا الامر المهم .
لقد بنى العرب بعد بغداد أكثر من ١٥٠ مدينة في آسية وافريقية واوربة
عدا تلك التي وسعوها أو جددوها . ومما لا ريب فيه ان بغداد كان لها تأثير
معماري وحضاري في هذه المدن الاسلامية كما كان لها مثل هذا التأثير في
الشرق والغرب ايضا .

وسنبحث في هذه المقدمة بايجاز تام اثر بغداد المدورة في بعض المدن
الاسلامية والاجنبية وما اقتبسته هذه المدن من مبتكرات معمارية منها .
ويمكننا ان نذكر من المدن التي بنيت على طرازها أو تأثرت بأساليبها
المدن الآتية :

١ - الرافقة - وهي مدينة قرب الرقة لم يكن لها أثر قديم كما يقول
البلاذري (وانما بناها أمير المؤمنين المنصور رحمه الله سنة خمس وخمسين
ومئة على بناء مدينته ببغداد ورتب فيها جندا من أهل خراسان ، وجرت
على يد المهدي وهو ولي عهد . ثم ان الرشيد بنى قصورها فكان بين الرقة
والرافقة فضاء مزارع ..) ويظهر انه استقدم العمال لبنائها من العراق .
ويذكر الطبري وياقوت ان الرافقة بنيت على هيئة مدينة السلام وانه

كان لها مثل ابوابها وفصيلها ورحباتها ولا تزال اسوارها قائمة حتى اليوم وهي مبنية من اللبن • وللمدينة خندق وسوران بينهما فصيل عرضه (٢٠٨٠) مترا ، وكانت له اربعة ابواب ايضا منها : الباب الشرقي وهو باب بغداد في السور الخارجي وهو مثل جميل للعمارة العباسية من الآجر وفي فتحته اليمنى قوس مجزوءة رائعة • وكان يوجد وراءه برج مستدير يبرز من بناء السور الداخلي ، وما تزال ترى بقايا عدد من الابراج المستديرة الموزعة بالتتابع على طول السور المذكور على اساس قيام برج واحد في كل ٣٥ مترا • وبني المنصور قسرا وجامعا في وسط المدينة • ويدل ما بقي من الجامع على انه كان مستطيلا طوله (١٠٨٠) مترا وعرضه (٩٢٩٠) مترا • وقد نمت المدينة خارج الاسوار وانشئت فيها القصور والمباني التي كشفت تخطيطاتها الصور الجميلة التي اخذت لها • وتعد هذه المنطقة اعظم منطقة للآثار العباسية بعد سامراء • وقد اظهرت التنقيبات الاثرية التي اجرتها مديرية الآثار السورية اربعة قصور احدها للمعتصم وجد اسمه مكتوبا على احد جدرانه وانتظمت ثلاثة قصور منها قناة كانت تأخذ ماءها من نهر (بليخ) احد روافد الفرات ويزيد طول بعض هذه القصور على ١٦٠ مترا وعرضها على ١٢٠ مترا وهي من دون ريب تشبه قصور بغداد وسامراء وتمثل جهود الخلفاء العباسيين في تنظيم ارباض الرقة على نفس الاسس التي اتخذت ببغداد •

٢ - سامراء - وهي اولى الحواضر العباسية الكبرى في العراق اتخذها العباسيون عاصمة لهم بعد بغداد اكثر من نصف قرن • وقد استفادت كثيرا من تخطيط بغداد ومن فنها المعماري الذي يتجلى بوضوح في بناء جوامعها ، وقصورها ودورها واواوينها واروقتها وفي زخرفة الجدران وتبييضها وتزيينها • وقد انشئت الاسواق فيها لاصحاب الحرف كل حرفة في سوق لا يشاركهم فيها أهل حرفة اخرى ، كما اجريت المياه في الشوارع بقنوات ، وانشئت فيها

البرك والمنتزهات والحلبات •

٣ - صبرة - ويظهر تأثير تخطيط بغداد الدائري في مدينة (صبرة) الواقعة في شمالي افريقية على مقربة من مدينة القيروان أو متصلة بها • بناها اسماعيل بن القاسم بن عبيد الله سنة ٣٧٧ هـ • وكانت فيما روى المقدسي مدورة مثل الكأس لا يرى مثلها • وقال : (ودار السلطان وسطها على عمل مدينة السلام والماء يجري وسطها شديدة العمارة حسنة الاسواق بها جامع السلطان • وعرض سورها اثنا عشر ذراعا منفصلة عن العمارة) •

٤ - دمشق - ولبغداد تأثير في مدن اسلامية اخرى كثيرة نذكر منها: دمشق - فقد شيد سورها في القرن العاشر الهجري على شكل بيضوي يعتمد على خمسة ابواب من السور القديم وربما كان ذلك احتذاء لشكل سور بغداد ولشيوخ أشكال هذا السور وللاعتقاد السائد ان القيمة العسكرية للسور المستدير تفضل القيمة العسكرية للسور المستطيل او المربع •

وكانت دمشق في عهد الفاطميين تتكون من حارات واحياء مسورة لها ابواب تغلق ليلا • وقد قسمت الاسواق بين المهن وامتد العمران خارج المدينة ونظمت الاربابض منذ زمن نور الدين زنكي وجعل لكل منها مسجد وحمام وسوق • وظهرت تأثيرات بغداد المعمارية في كل هذه المباني كاتباع نظام التعامد وجعل القباب عليها وتزيين ابوابها بالمقرنصات وجدرانها بالزخارف •

٥ - مدينة فسا : ذكر المقدسي في كتابه احسن التقاسيم ان مسجد مدينة (فسا) كان يشبه مسجد المنصور وذلك حين يقول : « الجامع فيها وهو من آجر اكبر من جامع شيراز • وله صحنان على عمل مدينة السلام • » وعندما يتكلم على صحنه يذكر انه كان « بينهما سقيفة » •

٦ - حلب - وكان قصر سيف الدولة الحمداني بحلب نسخة من قصور الخلفاء ببغداد كما انشئت بحلب اسواق على هيئة اسواق بغداد وانتظمت

المحلات والحارات التي زُوِّد كل منها بباب يغلَق ليلاً • ونظمت الارباض فيها كما نظمت ارباض دمشق •

٧ - القدس - وتطورت القدس في العصر العباسي • ويظن انه كان لها سور مستدير • وقد نقل الحجاج المسيحيون صورة المدينة الى بلادهم وكانت هذه الصورة تتألف من دائرة تامة مقسمة الى أربعة ارباع متساوية تشقها اربعة طرق متعامدة كبغداد • وكان لهذه الصورة اثر كبير على عدد من المدن الاوربية التي انشئت قبل القرن الثالث عشر الميلادي •

٨ - السرا - ويظهر ان كثيرا من المدن الاسلامية والاجنبية قد تأثرت بالنمط العمراني البغدادي فيصف لنا ابن بطوطة مثلاً مدينة (السرا) في بلاد تركستان فيقول عن اهلها : (وكل طائفة تسكن محلة على حدة فيها اسواقها، والتجار الغرباء من اهل العراقيين ومصر الشام وغيرها ساكنون بسحلة عليها سور احتياطاً على اموال التجارة •

٩ - القسطنطينية - ويلاحظ ان القسطنطينية أخذت تتبع اسلوب العمارة البغدادية وترك طرائق اليونان والرومان فانتشرت في ارجائها القنوات وخصصت الاسواق لارباب الحرف المختلفة كل حرفة في سوق لا يشاركهم فيها سواهم ، تحفها الحدائق والبساتين • وجعل على كل سوق ابواب تسد عليه بالليل وكان الغرباء يسكنون في أحياء معروفة ولهم اسواق خاصة وهم كما يقول ابن بطوطة اصناف فمنهم الجنوبيون والبنادقة واهل رومية واهل فرنسة ••• وجميعهم اهل تجارة •

وقد تعلم البيزنطيون من العباسيين ما ساعدهم على تجميل مدنهم وانشاء قصورهم • فالامبراطور تيوفيل الذي هزمه المعتصم في وقعة عمورية ارسل سفيره يوحنا النحوي الى بغداد ولما رجع الى القسطنطينية زين للامبراطور محاكاة قصور بغداد التي بهرته ولذلك شيد عمارة (ال تريونك

على شاكلة القصور البغدادية واحاطها بالحدائق واستخدم احد المخططات التي احضرها يوحنا النحوي في بناء قصره المسمى برباس

١٠ - سالونيك - وهي ثانية المدن البيزنطية وقد اتبعت القسطنطينية في نظام الحدائق واصول الاقنية وتدفق الماء في حماماتها وتخصيص الاسواق للتجار والاحياء للناس كما كان الامر ببغداد وسامراء .

١١ - البندقية - وهي التي ورثت القسطنطينية وامتد تأثيرها في اوربة وقد اخذت عن الشرق انظمة الاروقة والساحات والاقنية وما الى ذلك .

ويظهر تأثير بغداد واضحا في تسمية بعض المدن والاماكن باسمها فقد سميت مدينة فاس (ببغداد المغرب) وهي المدينة التي تتكون من مدينتين مسورتين هما عدوة القرويين وعدوة الاندلسيين وقد استعدت عدوة الاندلسيين سنة ١٩٢ هـ وعدوة القرويين في سنة ١٩٣ هـ .

كما يظهر تأثير العراق في تسمية (تاهرت) التي بناها عبد الرحمن بن رستم الاباضي (بالعراق الصغير) واللاق البصرة على مدينة بالمغرب .

اما المدن والاماكن التي سميت (بغداد) فكثيرة منها : بغداد التي انشأها زيري بن عطية في المغرب . ومنها الاسماء التي اطلقت على اماكن مختلفة من العالم القديم والعالم الجديد . فقد اطلق اسم بغداد في الولايات المتحدة الامريكية على مدينة في اريزونا وفي فلوريدا وفي كاتاكي ستي ، وعلى قريتين من قرى الولايات المتحدة ايضا . وسميت احدى مدن پولونيا في اوربة باسم بغداد ، كما سميت احدى مدن استراليا باسم بغداد ايضا . وفي تانزانيا بافريقية اطلقت كلمة دار السلام على عاصمتها .

وسمى المغاربة بعض مدنهم بأسماء المدن الشرقية متأثرين بزيارة تلك الديار أو ورودهم منها . فنجد اسم بغداد يطلق على مكان في مدينة (فكيك) لما يتوفر فيه من نخل . وفي مصر اطلق اسم (قصر بغداد) على قرية من قرى المنوفية

ويقال في النسبة اليه : (القصري) •

وهكذا أصبحت بغداد مثلاً يحتذى لأكثر المدن التي انشئت بعدها في الشرق والغرب كما استفادت من طرزها المعمارية واساليبها الفنية جميع المدن التي وسعت أو جددت (١) •

من ذلك يتبين أن دَيْنَ بغداد على أهل بغداد وعلى العرب والمسلمين والاجانب دَيْنٌ كبير لم نستطع حتى اليوم أن نوفي بعضه • وعلى الرغم من كثرة المراجع العربية والاجنبية عن بغداد فإنه لم يوضع كتاب واف عنها يبحث في حضارتها من جميع نواحيها • وأكثر العلماء الذين بحثوا في المدينة المدورة من العراقيين والاجانب وقع كل واحد منهم في بعض الاخطاء التي صلح أكثرها السيد طاهر العميد في هذا البحث القيم عن المدينة المدورة •

لقد شجعت السيد طاهر العميد على بحث المدينة المدورة في اعداد رسالة مفصلة لتلil درجة الماجستير فيها وقد وضعت بين يديه كل بحوثي التي لها علاقة ببحثه وقد اثار الى المطبوع منها والمخطوط في هذه الرسالة التي اقدم لها بهذه المقدمة الموجزة • ولا اقول أن هذه الرسالة — التي كنت المشرف فيها على السيد طاهر العميد أيام كنت عميدا لكلية الاداب بجامعة بغداد واستاذاً للتاريخ الاسلامي والحضارة العربية فيها — قد جمعت كل شيء عن المدينة المدورة وانما احاطت باهم الامور التي تعد ضرورية لمن يبحث في بناء المدينة المدورة وطراز بنائها واسباب تشييدها في هذه البقعة التاريخية من العراق • لقد كان السيد طاهر العميد دؤوبا في عمله يواصله ليل نهار حتى استطاع أن يبحث المدينة المدورة في سبعة ابواب مهمة في كل باب منها عدد من الفصول شرح فيها موقع بغداد قبل بناء بغداد • • • وذكر العواصم التي انجزها العباسيون قبل بناء مدينة السلام وشرح انهار بغداد العربية

واستند الى اهمية الانهار في تحديد موقع المدينة وقد وفق في شرح العوامل السياسية والعسكرية والاقتصادية والصحية التي دفعت المنصور الى اختيار موقع مدينة اسفل الكاظمية على ضفة دجلة الغربية والتي امتدت الى الجانب الشرقي حيث الاعظمية اليوم . وقد افاض في البابين السادس والسابع - وهما في رأيي اهم الابواب السبعة - في تخطيط المدينة المدورة وفي الخندق والمنسنة والصور الخارج والصور الاعظم والمداخل التي في السورين، والصور الثالث، كما تكلم على الفصائل وبخاصة على المنطقة السكنية التي حوت الشوارع وبيوت الناس والسكك والاسواق الاربع التي في الطاقات . ووصف الرحبة العظمى وقصر الذهب الفسيح الذي اتخذهُ ابو جعفر المنصور بلاطاً له . واثار الى قصور اولاده والى دواوين الحكومة والمسجد الاعظم ومراحل تجديده في خلافة الرشيد وتوسيعه في خلافة المعتضد وبقائه الى القرن الثامن الهجري . ووصف محرابه المتخذ من قطعة واحدة من الرخام الابيض المصفر وصفاً مسهباً وهو اليوم من الكنوز الثمينة في دار الآثار العراقية ببغداد .

وبحث في المداخل المزورة او المنعطفة ، وبحث في المدن المدورة في الشرق بشيء كثير من الاسهاب مكنه كل ذلك من دراسة فكرة التدوير عند المنصور والاهمية العسكرية للمداخل المزورة . وتسكن السيد طاهر العميد من تصحيح الكثير من آراء المستشرقين في الحضارة العربية مما له علاقة ببحثه النفيس المذكور . على انني اود ان ازيد في توضيح بعض الامور المهمة اتماماً للفائدة في امرين اثنين هما :

١ - المداخل المزورة او المنعطفة التي اشار اليها الخطيب وياقوت فانها تظهر واضحة في باب من ابواب بغداد الشرقية لازال قائماً وهو باب الظفرية او الباب الوسطاني المتخذ متحفاً للأسلحة والذي رسمت له

في هذه المقدمة مخططا وصورة تجدهما في الشكلين (١ و ٢) • وقد كان لهذا الطراز من المداخل اهمية عسكرية بالغة وظاهرة معمارية جديدة تدل على الابداع والابتكار •

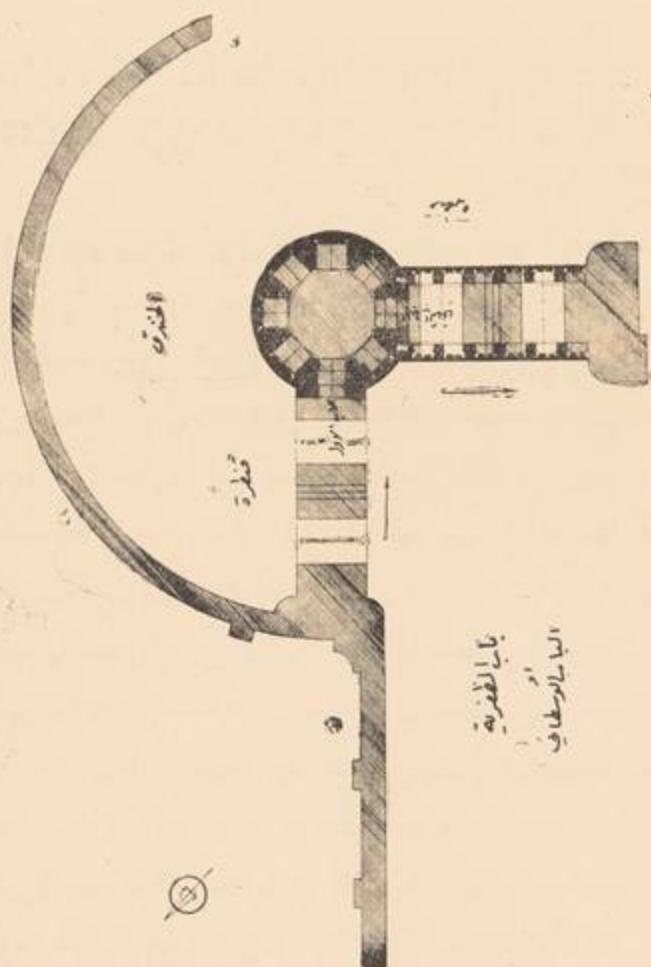
٢ - ان توسيع المسجد في زمن المعتضد كان فيما اراده مما يلي القصر بحيث اقتطع قسم يقدر بنحو اربعين الف ذراع من قصر الذهب • ولم تكن الزيادة مما يلي باب خراسان وانما كانت مما يلي باب الكوفة وقد وضحت ذلك في المخطط المرقم (٣) فالرشيد جدد بناء الجامع العتيق الذي بناه المنصور وشيده بسواد جديدة واستعمل فيه الآجر بدلا من اللبن • اما الزيادة التي اضيفت اليه في زمن الخليفة المعتضد فلا أرى انها كانت تشتمل على صحن ثان لمخالفة ذلك لتخطيط المسجد وفكرة توسيعه ولو كانت الزيادة مما يلي باب خراسان لكان الصحنان اللذان في مسجد مدينة « فسا » على غرار جامع المنصور كما جاء ذلك في كتاب احسن التقاسيم للمقدسي • ولذلك أرى انه لم يكن في مسجد المنصور صحنان بل صحن واحد هو الصحن الذي بناه المنصور وجده الرشيد اما زيادة المعتضد فقد زادها في المصلى الملاصق لقصر المنصور وكانت بسقدار سبعة عشر رواقا او طاقا ثلاثة عشر طاقا منها الى الصحن واربعة منها الى الاروقة باعتبار طاقين لكل رواق • وبعد الزيادة حول المنبر والمقصورة والمحراب الى قبلة الزيادة الجديدة المقطوعة من قصر المنصور واصبحت مساحة المصلى ضعف ما كانت عليه في زمن الرشيد والمنصور وكان ذلك هو الغاية المطلوبة من الزيادة بعد ان ضاق المسجد بالمصلين •

لقد زود السيد طاهر العميد رسالته بعدد من التصاوير والمخططات اكثرها منقول عن الغير وكنت ارجو ان يعنى بعمل المخططات بنفسه مستندا الى اوصافها التي جاءت في المراجع العربية كما فعل المستشرقون : لسترنج وهرتسفلد وكريسول ولا يكتفي بالمخططين اللذين عملها للابواب المزورة ولجامع المنصور

ودار القطان • وذلك ليمتاز بحثه بالاصالة والابداع كما امتازت رسالته بطابعها
العلمي واسلوبها العربي الجميل •

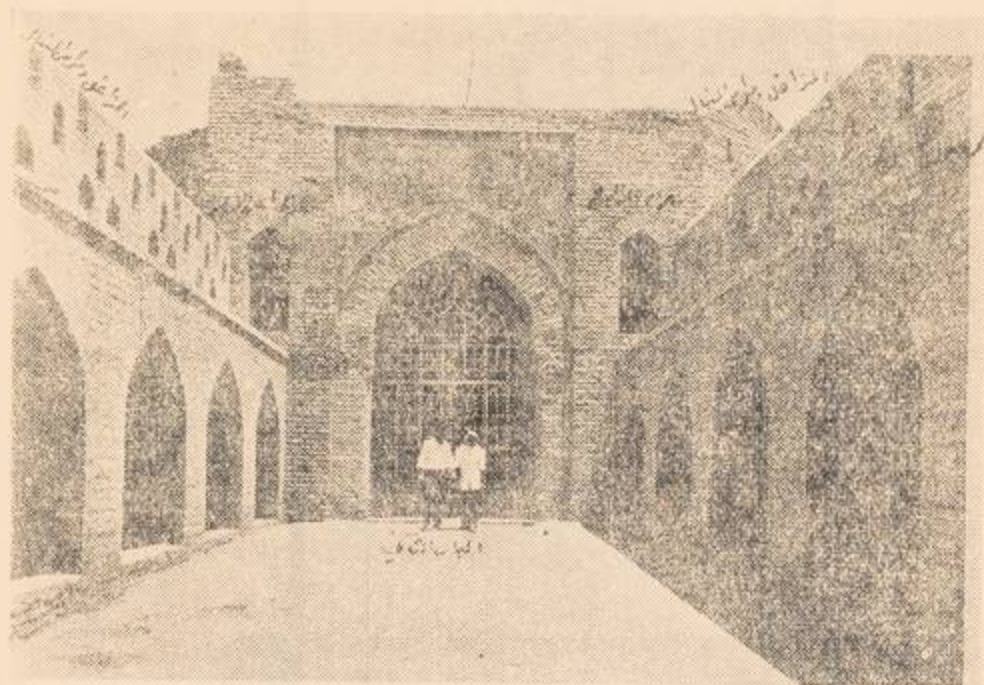
الاعظمية ٥ محرم الحرام سنة ١٣٨٧ هـ ناجي معروف

مايس سنة ١٩٦٧ م عضو مجلس الخدمة العامة



الشكل - ١ -

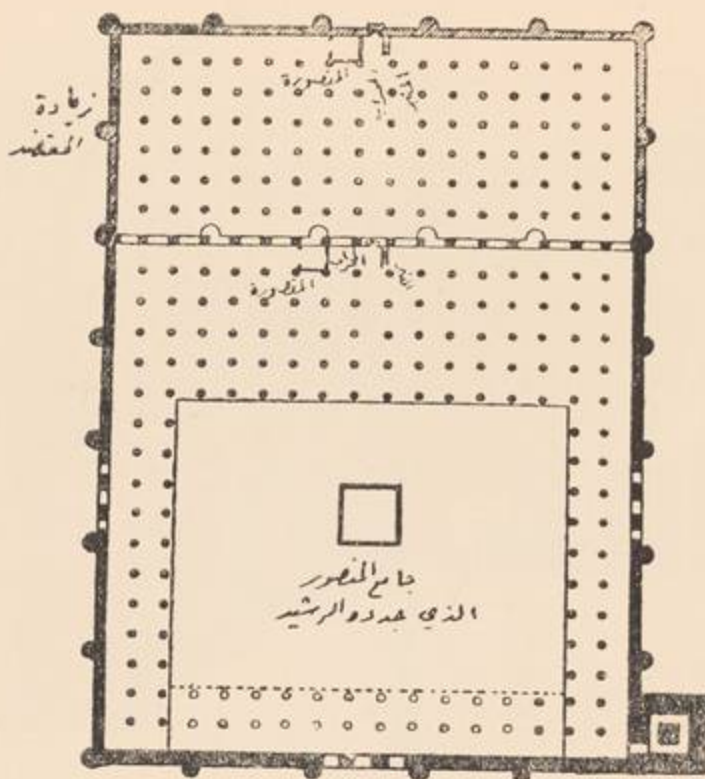
مقطع لباب الظفرية او « الباب الوسطاني » بالجانب الشرقي من بغداد . ويتكون باب الظفرية من برج أسطواني ضخيم من حوله خندق كان يجري فيه الماء من الخندق الذي كان يحيط بأسوار الجانب الشرقي . ويشاهد في البرج الأسطواني بابان مزوران أي منعطفان الأول بين البرج والسور الخارج المحيط بالخندق يوصل اليه من فوق قنطرة ذات عقدتين مبنيين بالآجر . والباب الثاني يقضي من البرج الى المدينة على قنطرة كالجسر تتكون من عقدتين مبنيين بالآجر . وقد أقيم على جانبي القنطرة جداران عاليان يشاهد في أعلاهما المزاغل ومرامي النشاب لرمي النبال على العدو اذا حاول اقتحام الباب الاول . وفي هذه الحالة تكون جوانب الأعداء اليمنى مكشوفة فتصيبها النبال .



الشكل - ٢ -

منظر لباب الظفرية او الباب الوسطاني بعد ترميمه . وتمثل الصورة الباب الذي يقضي من البرج الى المدينة . وعلى جانبي المدخل جداران عاليان يقومان على قنطرة ذات عقدتين يجري الماء فيهما حول برج المدخل وفي أعلى الجدارين طريقان لوقوف الرماة والنشابين لرمي النشاب من المزاغل والمرامي التي تشاهد في أعلى الجدارين كما يشاهد مثل تلك المزاغل والمرامي فوق قبة البرج التي على المدخل .

ومن هذين البابين المزورين او المنعطفين تتضح فكرة المداخل المزورة بالمدينة المدورة التي أشار اليها الخطيب البغدادي وياقوت الحموي .



الشكل - ٣ -

جامع المنصور بالمدينة المدورة

- ١ - بناه أبو جعفر المنصور ١٤٥ قباله باب خراسان بلصق قصره وجعل مساحته ٢٠٠ ذراع × ٢٠٠ ذراع أي ٤٠.٠٠٠ ذراع مربع .
- ٢ - أعاد الرشيد بناءه بالآجر والجص بين سنتي ١٩٢ - ١٩٣ هـ على مخططة الأول وكتب عليه اسمه وذكر أمره ببنائه وتسمية البناء والنجار وتاريخ ذلك .
- ٣ - زيد فيه في خلافة المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ) بما يناهز مساحته الأولى من قصر المنصور . وظل مسجد المنصور يعرف بالصحن العتيق وفتح بينه وبين زيادة المعتضد ١٧ طاقا ثلاثة عشر طاقا منها إلى الصحن وأربعة منها إلى الأروقة باعتبار طاقين لكل رواق . وبعد الزيادة حول المنبر والمقصورة والمحراب الذي بينهما إلى قبلة الزيادة الجديدة المقطعة من قصر المنصور .

مكتبة جامعة بغداد على طريق
العلم والحرية

بغداد

مدينة المنصور المدورة

ظاهر منظر العيد

ومسألة تقنية التي حلتها بغداد للصناعات على حرفة

الاصطناع والآلات الاندماجية

بغداد
مدينة المنصور المدورة

١٢٨٦ هـ - ١٩٦٩ م

مكتبة جامعة بغداد - بغداد

سأدت ءامعة بغداد على نشره

بغداد

مدنية المنصور المدوره

تأليف

طاهر مظفر العميد

رسالة مقدمة الى جامعة بغداد للحصول على درجة

الماجستير بالاثار الاسلامية

من منشورات المكتبة الاهلية في بغداد

لصاحبها السيد شمس الدين الحيدري

١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م

مطبعة النعمان - النجف الاشرف

كتاب النجف

في بيان مشيئة الله

مطبعة النعمان - النجف الاشرف تلفون ٩٩٧

١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م

طبعة الأولى

٧٢٦٦ - ٢٨٧١

تقدير واعتراف

يسرني ان اوجه أطيب التقدير لرئاسة قسم الاثار والحضارة بكلية الآداب في جامعة بغداد ، التي اتاحت لي فرصة طيبة في المشاركة بالبحث والدراسة في قسم الماجستير ، كما واشكر لها ثقتها في ترشيحي لكتابة الرسالة .

وينبغي لي أن اسجل هنا بالشكر والعرفان لكل من أتصلت به من الاساتذة والباحثين .

وأوجه شكري وتقديري العظمين الى استاذنا الفاضل الاستاذ ناجي معروف الذي أشرف على الرسالة ، وبذل من وقته وجهده مساعدة لا انساها قط ، فانه لم يكن بالنسبة لي استاذاً مشرفاً فحسب ، وانما كان بمثابة الموجه والمرشد والناصح بصبره وجلده وتدقيقه .

وأسجل بمزيد من التقدير جميع الذين اتصلت بهم من الاساتذة والباحثين الافاضل ، الدكتور عبدالعزيز الدوري والدكتور صالح احمد العلي والدكتور محمد عبدالعزيز مرزوق والدكتور مصطفى جواد ، والدكتور احمد سوسة والاستاذ كوركيس عواد .

كما ويسعدني ان أذكر شاكرًا المساعدة الطيبة التي بذلها لي كل من موظفات وموظفي مكتبة دائرة التاريخ والاثار في معهد الدراسات الاسلامية العليا ، وموظفات وموظفي مكتبة كلية الآداب ، وموظفات وموظفي مكتبة المتحف العراقي ، وموظفي مكتبة الجامعة المركزية ، وموظفي مكتبة المجمع العلمي العراقي ، والاخ السيد عبدالله الجبوري ملاحظ مكتبة الاوقاف والاخ أسامة النقشبندي ملاحظ المخطوطات العربية في مكتبة المتحف العراقي .

كما وأشكر للأخ السيد محمد الحانوتي تفضله بالمساعدة في ترجمة بعض النصوص الاجنبية وللأخ السيد جميل نجيب الحبيب تفضله في رسم بعض المخططات المرفقة بهذه الرسالة .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه .

أن تأريخ العمارة العربية الاسلامية حافل بالكثير من النماذج الطيبة من العماير الدينية والمدنية والعسكرية . فلقد شهدت الجزيرة العربية وبعض المناطق في سورية والعراق ، قيام المدن والمنشآت والعماير المختلفة قبل الاسلام وبعده ، وحينما وجد العرب الفاتحون انهم في حاجة ماسة الى انشاء المدن والقواعد العسكرية لسكنى الجنود المقاتلين وعوائلهم ، ومن هنا بدأت حركة تمصير المدن وانشاء المراكز العسكرية .

وفي الفترة التي حكم فيها بنو أمية ، توسعت هذه الحركة ، وتعددت أسبابها ، فلم تعد المدن المنشأة تخدم الاغراض العسكرية فحسب ، وانما استجبت مطالب جديدة ، فرضتها على الخلفاء الامويين ، الحياة المتطورة النامية ، وعظمة الدولة ، بما فيها من أبهة وسطوة ، فأنبثقت عماير ومدن في غاية الروعة والضخامة ، وحينما أخذ العباسيون زمام الحكم ، كان اتخاذ عاصمة للدولة الناشئة من الامور الواجبة ، فلم تمض أكثر من ثلاث عشرة سنة على قيام الدولة العباسية ، حتى باشر الخليفة المنصور ببناء مدينته المدورة . ومدينة أبي جعفر المنصور المدورة ، بما فيها من مبان وعمائر ، وأسوار ورحبات تمثل ولا شك ، الاساليب الفنية الاموية ، والطرز المعمارية التي ترعرعت على أيدي الامويين ، ثم ورثها العباسيون عنهم .

وفي وسعنا أن نعتبر ، ما جاء في مدينة المنصور المدورة ، من مظاهر معمارية وأساليب فنية ، سواء اكانت بعض هذه المظاهر متطورة عن نماذج وأصول سابقة لعهد بناء المدينة المدورة ، أم كانت مستنبطة من فكرهم الصميم ، بداية للفن العباسي الاسلامي ، الذي نما وأزدهر في بقعة كبيرة من العالم الاسلامي ، وعلى امتداد فترة طويلة من الزمن .

ولقد نجح العمال المسلمون من فنّانين وبنّائين ومهندسين في القيام بكل ماطلب منهم تنفيذه ، على وجه من الدقة والحرص ، فجاءت المدينة المدورة نموذجاً طيباً للفن المعماري العربي الاسلامي ، ولئن اندثرت معالم المدينة من مدة طويلة ، فإن صفحات التاريخ سجلت لنا ملامح ذلك الفن ، وبرزت لنا بعض ما كان فيها من مظاهر هندسية ، لا نملك معها إلا ان نكبر تلك الايدي العاملة المسلمة التي خططت وتفذت ، ثم اضفت على ذلك التخطيط فقه العمل وروح العلم ومسحة الجمال .

ولئن لم يول المؤرخون المسلمون ، بناء مدينة المنصور المدورة الاهتمام الكبير الذي تستحقه ، ولئن فعل المؤرخون الاقدمون ذلك ، فإن بعض الباحثين المحدثين ، من علماء الآثار قد تناولوا المظاهر المعمارية الهندسية فيها ، وأرجعوها الى اصول أقدم من عهد بنائها ، وكأنهم يريدون ان يقولوا أن هذه المظاهر مستعارة او منقولة ، عن تلك النماذج التي تسبق فترة قيام الدولة العباسية ، بل وترتقي الى عهود سابقة للإسلام .

ومن هنا ، كان لا بد ان تبحث المدينة المدورة ، من جانبها المعماري والهندسي بحثاً جديداً ، على ان بحث هذا الجانب ، تلزم بالضرورة ، بحث تاريخ العمارة الاسلامية على ضوء ما توافر لدينا من النصوص التي تتناول تأريخ العمارة الاسلامية ، في الشام والعراق ، دون التوسع فيها الى أقاليم واسعة من العالم الاسلامي ، على اعتبار ان الاساليب الفنية التي قامت في

العهد العباسي ، هي تجميع للطرز الفنية التي ابتكرها العباسيون مضافا اليها ما ورثوه عن الامويين .

وان كان البحث في فن اختطاط المدن الاسلامية ، لم يزل وليدا ، يحتاج الى توسع ودراسة وتتبع ؛ فقد اخذنا على عاتقنا ، مناقشة آراء المؤرخين وعلماء الآثار ، في أمر هذا الفن ، ثم اتهمنا بما أوردناه من نصوص تاريخية ، وشواهد أثرية ماثلة ، الى ان العرب قد عرفوا هذا الفن في الفترة التي سبقت الاسلام ، ثم تدرسوا عليه أكثر ، تبعا للحاجة التي استجدت عند مجيء الاسلام ؛ حتى استوى هذا الفن ونضج في العهد الاموي ؛ وارتفع هذا النضج الى مستوى التكامل في العقد الثاني من قيام الدولة العباسية ، فجاءت بغداد ، مدينة المنصور المدورة ، مثالا طيبا لهذا التكامل الفني .

ومن الباحثين من كتب عن المدينة المدورة ، المستشرق البريطاني لسترايج تناول الكلام عن المدينة المدورة في كتابه « بغداد في عهد الخلافة العباسية » . وكذلك العالم الآثاري الالماني هرتسفيلد ، الذي زار العراق ونقب في مدينة سامراء ونشر كتابه مع ساره « بعثة أثرية » الذي تناولا فيه البحث عن بناء مدينة المنصور المدورة . وكذلك كتب البروفسور كريزويل العالم الآثاري البريطاني عن هذه المدينة في كتابه « العمارة الاسلامية » في الجزء الثاني وتطرق فيما كتب الى المظاهر الهندسية والمعمارية ، وقد ناقشنا هذين العالمين عند بحثنا في أمر تلك المظاهر .

ومن الباحثين العرب الذين اهتموا بحفظ بغداد ، الدكتور عبد العزيز الدوري حيث كتب بحثا عن « بغداد » في دائرة المعارف الاسلامية ، وكذلك تناول الدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسة الحديث عن بغداد في كتابهما « دليل خارطة بغداد » .

ومن البحوث الحديثة التي لم تطبع بعد عن بغداد ، بحث للاستاذ ناجي

معروف في كتابه « تخطيط المدن عند العرب » الذي تناول فيه الكلام عن بغداد ، كما وإن للدكتور صالح احمد العلي بحث عن خطط بغداد تناول فيه الكلام عن المدينة المدورة •

كما وإن كلا من الباحثين ، لسترانج ، وهرتسفيلد ، وستريك والدوري ، وسوسة ، قد وضعوا خرائط للمدينة المدورة •

أما المراجع العربية القديمة ، فإن الباحث يدرك لأول وهلة ان ما ورد في هذه المراجع مختصر ، لا يتناسب ومكانة المدينة المدورة في عالم السياسة والثقافة والفن • وأهم هذه المراجع ، ما كتبه اليعقوبي في كتابه « البلدان » و « التاريخ » ففي مؤلفه التاريخ تحدث عن بناء المدينة المدورة بخمسة عشر سطرا ، أما مؤلفه الآخر ، البلدان والذي يعتبر من أقدم ما وصل إلينا عن المدينة المدورة ، فإنه كتب فيه بشكل اوسع بكثير مما كتبه في كتابه التاريخ • أما البلاذري ، صاحب كتاب « فتوح البلدان » فإنه أفرد لبحثه عن مدينة السلام خمس صفحات تناول في الصفحتين الاوليين منها عن بغداد • وأما المسعودي في مروج الذهب ، فقد روى عن بناء بغداد رواية واحدة عن ابن عياش المنتوف • ثم يقول بأنه أتى على خبر بناء هذه المدينة واختيار المنصور لها وتسميتها وخبر القبة الخضراء وخبر خضراء الحجاج بواسط ، كل ذلك قاله في كتابه الاوسط ، ومن المعروف ان كتابه هذا لم يصلنا • أما الطبري ، فقد كتب عن المدينة المدورة بحثا طيبا ، ويعتبر بحثه اوسع من بحثي اليعقوبي والبلاذري •

ويعتبر « تاريخ بغداد » لأبي بكر الخطيب من أهم المصادر التي بحثت عن بناء المدينة المدورة وخططها وانهارها ولقد اعتمدنا عليه كثيرا في بحثنا هذا • أما ياقوت في « معجم البلدان » ، فرواياته عن المدينة المدورة منقولة عن المراجع السابقة له ، وقد افادنا كثيرا في شرح اسماء الامكنة والانهار

والمحلات وغيرها •

ويعتبر كتاب « مناقب بغداد » المنسوب خطأ لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ آخر هذه المراجع الأساسية المهمة ، وهذا الكتاب هو مختصر لتاريخ بغداد للخطيب الذي أشرنا اليه قبل قليل •

وسوف يحيط الباحث في الابواب والفصول الآتية صفحة واضحة عن مدينة بغداد المدورة من كافة الوجوه الفنية والعسكرية والمعمارية والاقتصادية وقد قسمنا البحث الى - ٧ - ابواب وجعلنا في كل باب عددا من الفصول تتناسب وأهمية البحث كما اننا زدنا الكتاب بخرائط ومخططات منها ما اقتبسناه من مصادر مختلفة ومنها ما وضعناه •

موجز الرسالة

يعتبر قيام الدولة العباسية مولد طراز جديد في تاريخ الفن الاسلامي أطلق عليه الباحثون اسم « الطراز العباسي » الذي قام على اكتاف الطراز الاموي ، ولقد بالغ علماء الآثار في تأثير الفنون البيزنطية والساسانية وغيرها في الطرازين الاموي والعباسي ، حتى يخيل للباحث وهو يقرأ بحوثهم ان الطرز الاسلامية الفنية ما هي الا أساليب منقولة عن الاساليب السابقة لها دون ان يحس بوجود فن عربي اسلامي متميز ، ولقد تسنى لبعض المشتغلين بالآثار والعمارة الاسلامية الرد عليها وتقنيده آرائهم .

وكان حريا بنا ان نناقش مثل تلك الآراء ، مسترشدين بالبحوث والنتائج التي أشار اليها الكتاب الذين عنوا عناية عظيمة بالآثار العربية في اليمن والعراق والشام وغيرها من الاقطار لنوضح ان العرب قد مارسوا فن البناء والعمارة قبل الاسلام ، ففي الجزيرة العربية مثلا اقام العرب مدنا وحصونا وقصورا كثيرة أشار اليها المؤرخون الاقدمون وأيدها الرحالون أمثال آرنو وهالفي وكلازر . ولعل الدراسات الأثرية في المستقبل ستكشف الكثير من نواحي فن العمارة لدى العرب قبل الاسلام وحينما جاء الاسلام ، مصر المسلمون مدينتي الكوفة والبصرة في العراق والفسطاط في مصر على عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) .

أما في العهد الاموي ، فقد أختار الامويون دمشق عاصمة لهم ثم دعتهم الحاجة بعد ان توطدت اركان دولتهم الى اقامة بعض القواعد العسكرية

في العراق وشمال أفريقية ، مثل القيروان في تونس وواسط في العراق وغيرهما . وبالإضافة الى هذه المدن ، انشأ الامويون عمائر دينية ومدنية كثيرة . وكان تنفيذ جميع تلك المدن والعمائر بتوجيه من الخلفاء والولاة وبمشاركة العمال والمهنيين من المسلمين وغيرهم من السكان المحليين ، فامتزجت بذلك الاساليب المعمارية السورية المحلية بما كان لدى العرب من خبرة . ومن هذا الامتزاج نشأ الاسلوب المعماري الاموي فصار أسلوباً جديداً عما كان سائداً في الشام قبل الفتح الاسلامي .

وبعد قيام الدولة العباسية شرع المنصور ببناء المدينة المدورة ، تلك التي اعتبر تخطيطها بحق مفخرة من مفاخر العرب والمسلمين في ميدان العمارة والهندسة والتخطيط .

ويعتبر موضع بغداد - في الفترة التي سبقت عهد البناء - موقعا مهما فيه الكثير من الانهار والقنوات حيث قامت عليه العديد من القرى والاديرة . وكان نهر رفيل أهم انهار منطقة بغداد الغربية ، يأخذ مياهه من الضفة اليسرى لنهر الفرات ، وعند المحول ينقسم الى قسمين ، يصب اولهما في دجلة عند الموضع الذي انشأ فيه عيسى بن علي قصره ويصب الثاني في جنوب بغداد . وفي العهد العباسي سمي هذا النهر بأسم « نهر عيسى » نسبة الى عيسى بن علي عم المنصور ، ونهر الصراة الذي يأخذ مياهه من نهر عيسى فوق قرية المحول ويصب في دجلة أسفل قصر الخلد بشيء يسير . ونهر ثالث مهم ، هو نهر كرخايا ، الذي يحمل مياهه من نهر عيسى أسفل المحول ، وكان يتفرع من يساره اربعة فروع هي نهر رزين ، البزارين ، الدجاج ، والقلائين ، ويتفرع من يمينه نهر واحد هو نهر الكلاب ، وهناك نهر آخر تصل مياهه الى أرض بغداد الغربية هو نهر دجيل . الذي يستقي مياهه من الضفة اليمنى لنهر دجلة بين تكريت وبغداد ، ويتفرع الى فرعين رئيسيين

احدهما نهر بظاطيا الذي كانت له ثلاثة فروع تسقى طسوج قطربل وتعبر فوق الخندق الطاهري .

أما أهم قرى طسوج قطربل في منطقة بغداد فهي الخطابية والشرفانية والوردانية وسونايا ، وأهم قرى طسوج بادوريا هي قرية براثا وقرية الكرخ ورستاق الفروسيح الذي يشتمل على ثلاث قرى وهي سال وورثالا وبناورا وقرية قطفنا . وموضع يدعى بـ (سوق بغداد) وقصر سابور .

ومن الاديرة في منطقة بغداد ، دير مارفثيون وعسر صليبا ودير الجاثليق ودير مديان . وأتخذ العباسيون قبل بغداد . عدة مراكز وهي ، الكوفة والهاشمية وقصر ابن هبيرة والانبار .

أما اسباب بناء بغداد ، فتؤكد الروايات العربية ، ان المنصور كره سكنى الهاشمية بعد ثورة الراوندية وأفساد اهل الكوفة لجنده ، وفي رأينا ان هذه الثورة كانت سببا مهما لانتقال المنصور ، وحسبنا دليلا ما رواه الطبري ان المنصور قال « اخطأت ثلاث خطيآت وقاني الله شرها ... وخرجت يوم الراوندية ولو اصابني سهم غرب لذهبت ضياعا » .

وحينما عزم المنصور على بناء مدينة له ، خرج بنفسه باحثا عن مكان صالح للعاصمة ويصف المؤرخون المسلمون ذلك بأسهاب اخص منهم الطبري في تاريخه ، ولقد عرف المسلمون منذ فجر الاسلام حتى بناء بغداد بأنهم كانوا يتخيرون مواضع مدنهم ويتفحصون امكنتها تفحصها طوبوغرافيا .

وتفحص مواضع بغداد القديم يشير الى ان المكان يمتاز بمزايا عديدة جعلته ملائما للدولة العباسية من النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والمناخية والصحية .

يتضح من دراسة النصوص القديمة التي تناولت ذكر اسم بغداد ، ان المؤرخين المسلمين قد اجمعوا ان لفظة بغداد فارسية الاصل ، غير انهم

اعطوا تفسيرات مختلفة لمعنى هذا الاسم . وقد ورد اسم بغداد في وثائق تاريخية وأثرية ترتقي الى عصور قديمة سبقت الميلاد ، منها وثيقة قانونية من عهد حمورابي ، وورد ذكر اقليم بغداد في حجر من احجار الحدود الكشية كما ورد الاسم في اخبار حرب الملك الاشوري نراري الثاني . كما ان ثكلات بلاسر الثالث قهر قبيلة في موضع يدعى (بغداد) وقبض سرجون الثاني على زعيم يدعى بكنت .

وقد ظهر في هذا اقرن فريق من الباحثين ، يرجح ان يكون أصل كلمة بغداد آرامي واول من قال بهذا يوسف غنيمه ، الذي ادعى ان اسم بغداد مؤلف من كلمتين من (ب) المقتضبة من كلمة (بيت) عند الآراميين ، ومن (كدادا) بمعنى غنم او ضأن ، فيكون مفاد بكدادا مدينة او بيت او دار الغنم والضأن . ورد عليه توفيق وهبي في بحث له نشر بسجلة المجمع العلمي العراقي أستخلص منه ان اصل كلمة بغداد فارسي وليس بأرامي . والظاهر ان المنصور لم يرض اطلاق لفظة بغداد على مدينته ، وذلك لأن الناس كانوا يفسرون بغداد بـ (عطية لصنم) او (عطية الشيطان) وكان الفقهاء يكرهون بدورهم هذا الاسم ، لذا فضل المنصور تسميتها (مدينة السلام) . ولا يعرف بالتأكيد لماذا اختار لها هذا الاسم وهناك عدة اسباب وجيهة ، ولم ينتشر اسم مدينة السلام ، وانما ظلت تسمى بغداد ، واقتصر استعمال الاسم الجديد على الوثائق الرسمية والمراسلات والسكة . وسميت بالزوراء أيضا وربما سميت كذلك لازدهار القبلة في جامع المنصور ، او لازورار الابواب الداخلية عن الابواب الخارجية منها . أما مساحة المدورة ، فمن الصعب ابداء رأي قاطع فيها ، ذلك لأن الرواة المسلمين اختلفوا في مقاييس المدينة ، وفي ادناه المساحات مستنتجة من المقاييس التي اوردها كل من اليعقوبي في البلدان والخطيب في تاريخ بغداد ، ومساحة المدورة حسب رواية اليعقوبي تكون

(٧٩٤٥٤٥٧) مترا مربعا ، أي حوالي ثمانية كيلو مترات مربعة على أساس ان المسافة بين باب وآخر خمسة آلاف ذراع .

أما الخطيب فيروي عدة روايات هي :

الرواية الاولى - تكون مساحتها ٣١٤٢ر٨٥٧ مترا مربعا أي اكثر من ثلاث كيلو مترات مربعة .

الرواية الثانية - تكون مساحتها ٥٠٨٤ر٩٤٩ مترا مربعا أي اكثر من خمسة كيلو مترات مربعة .

الرواية الثالثة - أعطي فيها قطران مختلفا الطولين .

الرواية الرابعة - تكون مساحتها ٩٥٠٠و٧١٤ مترا مربعا اي اقل من الكيلو متر المربع الواحد .

الرواية الخامسة - تكون مساحتها ٢٣٤٠٠٠ مترا مربعا .

الرواية السادسة - تكون مساحتها ١٢ر٥٧١ر٤٢٨ مترا مربعا اي اكثر من اثني عشر كيلو مترا مربعا .

وقد قسمت ارباض موضع المدورة عند بدء تخطيطها الى اربعة اقسام اناط المنصور الاشراف على كل ربض منها بثلاثة من الرجال اولهم قائد و ثانيهم مولى وثالثهم مهندس . وبالإضافة الى هؤلاء كان الحجاج بن ارطاة وابو حنيفة يشرفان على البناء أختارهما المنصور من ذوي الفضل والعدالة والفقہ والامانة والمعرفة بالهندسة . ولم يشرع المنصور بالبناء حتى تكامل له من الفعلة وأهل المهن الوف كثيرة .

ومن المعروف ان المنصور قد أعد المال اللازم لهذا المشروع ، فقد اشترى اراضي المدورة من أصحابها واقطعها أهل بيته وقواده وصحابته وجنده وكتابه ، ونهج الخليفة سبيل الاقتصاد اذ كانت هذه طبيعته ، وليس معنى ذلك انه كان بخيلا ، وانما كان يرى في توفير المال اللازم والحفاظ عليه

ضمانا لما قد يحدث في المستقبل من طواريء . اما نفقات البناء فقد أورد المؤرخون أرقاما تكاد تكون متقاربة .

ويروي المؤرخون ان المنصور وضع أساس مدينته في وقت اختاره نوبخت المنجم وما شاء الله بن سارية المنجمين ، وقبل ان يشرع العمال بالبناء أحب المنصور ان ينظر الى تخطيطها فأمر ان يخط بالرماد ثم اقبل يدخل من كل باب ويسر في فصلاتها وطاقتها ورحابها وهي مخطوطة ثم أمر ان يجعل على تلك الخطوط حب القطن والنفط وراح ينظر اليها وهي تشتعل ثم أمر ان يحفر الاساس على ذلك التخطيط .

ومن أهم العناصر المعمارية في المدينة المدورة ، شكلها الدائري ، ولقد أشارت المصادر العربية الى تدويرها ، فكبر على بعض علماء الآثار ان يروا مثل هذا التخطيط في العمارة الاسلامية فذكر كريزويل ان هرتسفيلد جمع عددا من المعسكرات الاشورية ذات الاسوار الدائرية وقد غاب عليه ، ان تلك المعسكرات كانت تقام على قمم الجبال فتأخذ بطبيعة الحال شكل القبة الدائرية ثم انه ليصعب علينا التصديق بأن بناء بغداد أخذوا أسلوب التخطيط من تلك المعسكرات التي كانت مخفية تحت الانقاض . هذا وقد ذكر كريزويل في كتابه الكبير عشرة من المدن الدائرية او البيضوية ، ثم اضاف في موجزه نموذجين ، ترقى الى العصور البارثية والبيزنطية والرومانية ونرى انهما للبحث ان نضيف مثاين وهما (مأرب) و (الكوفة) حيث ذكر آرنو ان مدينة مأرب القديمة كانت مستديرة ، ورسم لها مخططا دائريا ، كما ان بعض النصوص التاريخية تشير الى استدارة الكوفة وبخاصة مارواه البلاذري وياقوت وابو الفدا ، وعليه نرى ان تاريخ تخطيط المدن قبل الاسلام قد عرف الاسلوب الدائري في مأرب ، وظهر بعدئذ في العصر الاسلامي في الكوفة ، تكامل هذا التخطيط بعد ان فضجت قدرات العرب والمسلمين الفنية

في بناء بغداد فجاءت مدينة فريدة اعتبر تخطيطها المستدير من النماذج المهمة في تخطيط المدن التي عرفت في التاريخ .

اما اقسام المدينة المدورة فسنورد وصف ما قسم من اقسامها الاربعة مبتدئين من الخندق حتى مركز المدينة :

الخندق - كانت له مسناتان وظيفتهما حماية السور وجسدران المدينة من تسرب مياه الخندق اليها .

ويحاذي المسناة السور الخارج والظاهر من روايات المؤرخين ان هذا السور كان أقل سمكا وارتفاعا من السور الثاني الذي يليه ، وله اربعة أبواب ، المسافة بين كل باب وآخر خمسة آلاف ذراع حسب ما روى اليعقوبي ولهذه الابواب ظاهرة معمارية فريدة هي أزورار مداخلها كما روى الخطيب « اذا دخل الداخل من باب خراسان الاول عطف على يساره في دهليز ازج » وهذا الطراز من المداخل يخفي وراءه أسلوبا عسكريا يلاحظ فيه اضطراب الفزاة بعد اقتحامهم البوابة الى الانحراف الى اليسار للعبور من مدخل ثان فتعرض جوانبهم اليسرى للسهم الموجهة اليهم . ولقد كان هذا العنصر المعماري ماثرا لمناقشات بين علماء الآثار ، فقد ذكر كريزويل ان المدخل المنحني هذا كان معروفا في التاريخ المصري القديم في كرم الاحمر وشونة الزيب . ولقد استخلصنا انه لا الحثيون في مدينتهم سنجرلي لم يعرفوا هذا النوع من المداخل المزورة ولا الآشوريون في مدنها آشور وخورصباد ولا البابليون في بابل قد نظموا بواباتهم كالتنظيم الذي ظهر في المدينة المدورة . وتستطيع القول ان المدخل المزور لم يستعمله الرومان ولا البيزنطيون في شمال افريقية وبهذا تكون أبواب مدينة أبي جعفر المنصور هي أقدم امثلة حقيقية للسدخل المزور ظهر بصورة واضحة .

وكان بين السور الخارج والسور الاعظم مسافة خالية تدعى (الفصيل) وفائدة هذا الفصيل تنحصر في الدفاع عن المدينة ، وقد منع المنصور السكنى

فيه ، ويختلف اليعقوبي عن الخطيب في مقاييس هذا الفصيل .
 السور الاعظم — تختلف المصادر العربية في تحديد ابعاده ، ولقد حرص
 بنساة المدورة على جعله بناء قويا وضخما حتى يستوفي شروط الدفاع
 والاستحكام ، وجعلوا له ابرجة عظاما وكان عند مدخل هذا السور دهليز
 عليه بابا حديد جليلان عظيمان ، وكان فوق البوابة الرئيسية في هذا السور
 قبة عظيمة عالية معقودة مذهبة ، وكانت لمداخل هذا السور أبواب حديد
 عددها ثمانية أبواب في كل مدخل من المداخل الرئيسية بابان .

الفصيل الداخل — وبعد دهليز السور الاعظم يفضي الداخل فيه الى
 رحبة مربعة ، على يسنها طريق وعلى يسارها طريق ، ويدور هذا الطريق
 (الفصيل) على جميع الابواب عرضه (٢٥) ذراعا ويفضي بعدئذ من الرحبة
 الى الطاقات ، وهي ثلاثة وخمسون طاقا سوى طاق المدخل ، وعرض الطاقات
 كما روى الخطيب (١٥) ذراعا ، وطولها من اول الرحبة الى الطاقات الصغرى
 (١٠٠) ذراع . وتمتد خلف الطاقات من جهتي اليمين واليسار المنطقة السكنية
 التي تتضمن السكك والدور والشوارع ، وتنقسم هذه المنطقة الى اربعة
 ارباع ، وكل قسم منها يؤلف ربع دائرة . وهي المنطقة السكنية الوحيدة
 للناس في المدينة المدورة ، وتقع بين الجدار الضخم للسور الاعظم والجدار
 المحيط بالمنطقة المركزية ، وأشار اليعقوبي الى اسماء هذه السكك وافاد بأنها
 تعرف بقواد المنصور ومواليه وبسكان كل سكة .

الطاقات — يبدو من رواية الخطيب ان للمدورة نوعين من الطاقات ،
 طاقات كبرى وطاقات صغرى طولها مائتا ذراع ، وأشار هرتسفيلد ان الطول
 المعطى من قبل الخطيب يعتبر قياسا قليلا واستنتج كريزويل افتراضين بطريقة
 قياس الغرف والجدران ان طول الطاقات في الافتراض الاول (٦٥٦) ذراعا
 وفي الافتراض الثاني (٥٩٨) ذراعا . وقد كانت هذه الطاقات بمثابة أسواق
 المدورة حتى عام ١٥٧ هـ ، وفيه أمر المنصور تحويلها الى ربض الكرخ .

اما الطاقات الصغرى فتقع كما أشار الخطيب بعد الطاقات الكبرى التي تلي
دهليز المدينة .

الرحبة العظمى - كان الداخل يفضي الى الرحبة العظمى من دهليز
عظيم عليه بابا حديد وتقع الرحبة في وسط المدينة المدورة ونستطيع ان نطلق
عليها قلب المدينة . وكان في هذه الرحبة قصر المنصور والمسجد الجامع ودار
للحرس وسقيفة كبيرة احدهما لصاحب الشرطة والاخرى لصاحب الحرس ،
ومنازل اولاد المنصور الاصغر والدواوين . وكان المنصور لا يسمح لأحد
من أتباعه او حاشيته بالدخول الى الرحبة العظمى وهو راكب .

قصر باب الذهب :

كان المسلمون قبل بغداد اذا أختطوا مدينة بدأوا بالمسجد الجامع اولاً ،
اما في المدورة فان المنصور جعل في وسطها قصره . وقصر باب الذهب على
هيئة مربع كل ضلع من اضلاعه الاربعة اربعمائة ذراع ، وفي صدره أيوان
طوله ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً ، وكان في مؤخرة الايوان مجلس
على شكل مربع طول كل ضلع من اضلاعه عشرون ذراعاً ، وفوقه مجلس
آخر له نفس الابعاد وفوقه القبة الخضراء . وكان على رأس القبة الخضراء
صنم على صورة فارس في يده رمح ، ومن الجدير بالذكر ان نشير الى أن معاوية
قد بنى في دار امارته بدمشق قبة خضراء ، كما ان الحجاج في واسط جعل
في قصره قبة خضراء ، وليس من المستبعد ان يكون هذا الاسلوب في تشييد
القبة الخضراء قد انحدر من الاسلوب الاموي المعمارى .

مسجد المنصور :

يعتبر مسجد المنصور اول مسجد شييد في ارض بغداد ، ويعد تخطيطه
نموذجاً لتخطيط الجوامع التي بنيت بعدئذ في بغداد ، ومما يؤسف له ان
معالم هذا المسجد قد زالت عن الوجود منذ سنين كثيرة .

وسوف نصف بصورة موجزة المراحل التي مرت عليه خلال العصور العباسية وتسهيلاً للبحث تقسم هذه المراحل الى ثلاث :

١ - المرحلة الاولى - مرحلة التأسيس المرحلة الثانية - مرحلة التجديد - المرحلة الثالثة - مرحلة الزيادة .

المرحلة الاولى - مرحلة التأسيس - حيث تم تنفيذ بناء المسجد في هذه المرحلة على يد الخليفة المنصور في عام ١٤٥ هجرية ، وجعل المنصور المسجد ملاصقا لقصره ، وهو على هيئة مربع متساوي الاضلاع طول كل ضلع من اضلاعه مائتا ذراع . المصلى فيه فسيح يحتوي على خمس سوار (اساكيب) في كل اسكوب منها ستة عشر عمودا من الخشب وكان للمسجد مجنبتان لكل منها رواقان كما كانت له مؤخرة تقع قبالة المصلى وتتألف من رواقين ، وفي وسطه الصحن ، وكان المصلى والمجنبان والمؤخرة تطل على جوانب الصحن الاربعة . كما كانت له منارة نستنتج من رواية الخطيب انها كانت على مقربة من أساطين المصلى . وقد بني في هذه المرحلة بالمين والطين ، اما أعمدته فمن الخشب . اما قبلته فتحتاج الى ان تحرف الى باب البصرة قليلا وقد نشأ هذا الانحراف من جراء بناء المسجد ملاصقا للقصر الذي كان غير مستقيم على القبلة .

المرحلة الثانية - مرحلة التجديد - تبدأ هذه المرحلة في عهد الخليفة هارون الرشيد سنة ١٩٢ هـ فقد هدم الرشيد المسجد الاول وأعاد بناءه بالآجر والجص ، على نفس المخطط السابق له ، اي انه بقى مربع الشكل ، طول كل ضلع من اضلاعه مائتا ذراع . وقد سجل الرشيد تاريخ هذا التجديد في لوحة كتابية تضمنت اسم البناء وتاريخ البناء وكانت هذه الكتابة لاتزال باقية في حدود منتصف القرن الخامس الهجري حيث الف الخطيب كتابه تاريخ بغداد .

المرحلة الثالثة - مرحلة الزيادة - تبدأ هذه المرحلة بعد عودة العاصمة من سامراء الى بغداد سنة ٢٧٩ هـ . في عهد الخليفة المعتمد . ومع فائدة

البحثين اللذين كتبهما كل من هرتسفيلد وكريزويل عن مسجد المنصور ومع تقديرنا الكبير لهما ، نحب ان نشير الى انهما قد اضطربا في أمر هذا المسجد . اما هرتسفيلد فان اضطرابه يظهر واضحا في مشروعه لتخطيط المسجد وتعيين موضعه بالنسبة للقصر فهو في تصميمه له يضعه في الجدار الجنوبي الغربي المقابل لباب الكوفة وهذا مخالف للنصوص التي أوردتها الخطيب . وأما اضطراب كريزويل في بحثه للمسجد فانه يؤكد ان اضافة دار القطان ، التي وردت صراحة في رواية الخطيب لم يتم .

ويتلخص تصميم هرتسفيلد للمسجد بان فتح سبعة عشر طاقا في الحائط الذي كان يفصل بين المسجدين ثلاثة عشر منها الى الصحن واربعة الى الاروقة الجانبية يدل على ان المسجد القديم لا بد وانه كان يحتوي على ١٧ رواقا من اليسار الى اليمين وان الاروقة الجانبية كانت اربعة في كل جانب رواقان . ويعلق كريزويل على تصميم هرتسفيلد آخذا عليه ادخال دار القطان في الزيادة ، اما كريزويل فانه يضع المسجد الجديد ملاصقا لجانب القبلة ، ويقول اذا ما فتحنا الطاقات في حائط القبلة واضفنا الى المسجد العتيق مسجدا على مثاله ، ونقلنا المحراب والمنبر الى المسجد الجديد ، فانه لا يكون ثمة حاجة الى القول باضافة دار القطان .

اما التصميم الذي نراه صحيحا وملائما للروايات التاريخية فنحدده بالنقاط التالية .

١ - نرى أن المسجد قد بني ملاصقا للجدار الشمالي الشرقي في قصر باب الذهب .

٢ - تؤيد ذكر الخطيب باضافة دار القطان الى مسجد المنصور ونرى تجاهل كريزويل أمر هذه الاضافة ادعاء في منتهى الغرابة .

٣ - تمت الزيادة على عهد المعتضد حيث اقتطع من القصر مساحة مقارنة لمساحة مسجد المنصور وضمت الى المسجد وسميت بالصحن الاول بينما سمي

صحن مسجد المنصور بالصحن العتيق وفتحت بين جدار الصحن العتيق والصحن
الاول سبعة عشر طاقا .

أما دار القطان ، فانه يمكننا ان نحدد موضعه مما يستشف من رواية
للخطيب امام المسجد أي في واجهة المسجد المقابلة لباب خراسان .
مكث مسجد المنصور مكانا يؤدي المسلمون فيه الصلاة من سنة ١٤٥ هـ
حتى عام ٧٢٧ هـ وقد وصفه الرحالة الذين زاروا بغداد ، كبنيامين التطيلي
في سنة ٥٦٦ هـ — ١١٦٠ م وابن جبير . وتأثر هذا المسجد بحوادث الغرق
الكثيرة منها في عام ٦٤٦ هـ و ٦٥٣ هـ وقد تهدم الجامع في الغرق الاخير .
ووصفه ابن بطوطة عند زيارته لبغداد في عام ٧٢٧ هـ ، والظاهر انه زال
من الوجود بعد زيارة ابن بطوطة بحوالي نصف قرن .

ومما يتصل بمسجد المنصور ، محراب جامع الخاصكي . ولقد أثار
هذا المحراب بعض المناقشات العلمية بين الباحثين والمتخصصين بالاثار وقد
ذكرته مس جرتود بل بقولها « وفي جامع الخاصكي محراب في غاية الجمال
مصنوع من قطعة واحدة من الحجر » ويظن هرتسفيلد انه من المحتمل ان
يكون هذا المحراب هو محراب مسجد المنصور بالمدينة المدورة ، ويستدل
هرتسفيلد من لون رخامه الابيض المصفر ، على انه ربما صنع في دمشق او
حلب وذلك لتوفر مثل هذا الرخام بهما وعدم توفره في شمال العراق . ونحن
لانعلم ما اذا كان المحراب قد تم صنعه في الشام ثم حمل منها الى بغداد
اولا ، والذي نعرفه من دراسة زخارفه الجميلة انها لاتمثل نماذج الفن
الاسلامي العراقي ، اذ انها سابقة للفترة التي ازدهر فيها الطراز العباسي ،
وعلى وجه التاكيد انها تشبه أسلوب الزخارف التي ظهرت في الطراز الاموي .

« موجز الاطروحة المقدمة لجامعة بغداد بعنوان مدينة المنصور المدورة
وضع طاهر مظفر العميد » .

الباب الاول

نقد آراء العلماء والباحثين في العمارة الاسلامية

ان انتقال عاصمة الدولة الاسلامية من الشام الى العراق كان معناه في تاريخ الفن العربي الاسلامي ^(١) مولد طراز جديد أطلق عليه بعض الباحثين والمتخصصين بدراسة الفنون العربية الاسلامية اسم الطراز العباسي ^(٢) . ولعل اعتماد العباسيين على الايرانيين في فجر دولتهم ، ثم وجود بغداد عاصمة الدولة العباسية على مقربة من ايران ، وأزدياد النفوذ الايراني عند تأسيس هذه الدولة ، لعل كل هذا ادى الى التأثير بالاساليب والطرز الساسانية . ولكن هذا التأثير بالاساليب الساسانية لم يكن كبيرا في ميدان الفنون بصورة عامة ، والفن المعماري بصورة خاصة الى الدرجة التي يبالغ فيها الباحثون ، والتي قد تصل احيانا الى درجة المبالغة فينسبون كل ظاهرة هندسية وكل عمل فني وتخطيط معماري الى الرومان والبيزنطيين والقبط والساسانيين ، ويسلبون بذلك حق العرب في اشادة مبانيهم وتطوير فنونهم . ومع تقديرنا الكبير للمستشرقين الاوربيين الذين تناولوا الفنون والعمارة والزخرفة ومختلف مجالات الحضارة العربية الاسلامية بالبحث

(١) حينما بدأ الغربيون في دراسة الفنون العربية الاسلامية اطلقوا عليها اسماء كثيرة فقسم منهم اطلق عليها اسم (الفن الشرقي) Saracenic Art وسماها آخرون باسم (الفن الغربي) Moorish Art وسماها البعض الاخر (الفن العربي) Arabic Art وذهب فريق آخر من الباحثين الى تسميتها (الفن المحمدي) Muhammedan Art واطلق عليها معظمهم اسم (الفن الاسلامي) Islamic Art ولا ريب فان اصح جميع هذه التسميات هما (الفن العربي) و (الفن الاسلامي) على اساس ان العرب هم الذين حملوا الاسلام الى الممالك التي فتحوها ، وكان لهم الفضل الاكبر في اقامة الحضارة الاسلامية . ثم ان الاسلام كان بمثابة حلقة الاتصال بين شعوب تلك الممالك وبين فاتحيها . لذا فاننا نفضل تسمية هذه الفنون بـ (الفنون العربية الاسلامية) .

(٢) فنون الاسلام - الدكتور زكي محمد حسن صفحة ١٣

والاتباع والاستقصاء وزودوا المكتبات العالمية ببحوث كثيرة عن اوجه تلك الحضارة وعرفوا العالم العربي بها ، فانه لا يسعنا ، ونحن في معرض الحديث عن اراء بعض العلماء والباحثين في العمارة الاسلامية إلا ان نذكر ان قسما كبيرا من بحوث هؤلاء المستشرقين يغلب عليها طابع التحيز لغير العرب والمسلمين وإنكار فضل العرب في المساهمة بأشادة صرح عمائرهم وتخطيط مدنها . وقد عقد الدكتور احمد فكري فصلا كبيرا عن المأخذ على بحوث المستشرقين وكتب في هذا الصدد يقول : « تسلطت على علماء الآثار المستشرقين نظرية تجريد العرب من كل فضل في عمارتهم وفنونهم ^(٣) » . ومن الامثلة التي تؤيد تحيز المستشرقين ، ما رواه كريزويل مؤكدا « ان الذي بنى الكعبة قبل الاسلام بناء حبشى اسمه «باقوم» وان طريقة بنائها نقلت نقلا عن الحبشة ^(٤) » والمثال الثاني الذي لفت الدكتور احمد فكري النظر اليه هو افتراء كريزويل على المقرئ . فقد ذكر المؤرخ العربي ان « ثلاثة اخوة قدموا من الرها ^(٥) بنائين بنوا باب زويله وباب النصر وباب الفتوح ^(٦) » وعندما ترجم كريزويل هذا النص الى اللغة

(٣) المدخل - الدكتور احمد فكري ص ١٠

(٤) Early Muslim Architecture, Creswell Vol. 1 p. 7

وانظر كتابه المختصر A short account of Early Muslim., p. 3

(٥) الرها - قال عنها ياقوت ٨٧٦/٢ بانها مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام ويقول سميت بالرها نسبة الى الذي استحدثها وهو الرها بن البلندي . وقيل الرها بالرومية «اذاسا» بنيت في السنة السادسة من موت الاسكندر بناها الملك ساوقس وتسمى الان «اورفا» وهو اسم تركي .

(٦) دخل جوهر قائد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الفسطاط في ١٧ شعبان عام ٣٥٨ هـ وفي مساء هذا اليوم اختط جوهر اساس اسوار القاهرة . وكانت في تلك الاسوار ثمانية ابواب منها باب النصر وباب الفتوح في الجهة

الانكليزية اضاف من عنده كلمة مسيحيين فأصبح النص « ثلاثة اخوة مسيحيين ^(٧) » .

ومثل آخر لتحيز المستشرقين هو ما ادعاه الاب منريك Manrique من آباء الطائفة الاغسطينية ان باني ومخطط الاثر الاسلامي الضخم والمعروف بتاج محل ^(٨) هو المهندس جيرومينو فيرونيو Geromino Veroneo غير انه ليس هناك من الاسايد ما يعزز هذا الرأي ، سواء في سجل الحوادث المحلية او فيما دونه كل من الرحالين تافرنيه Tavernier وبورنيه Bornier و تيفنو Thevenot في الرحلات التي صنّفوها .
هذه امثلة قليلة وواضحة ، من امثلة كثيرة احتوتها مؤلفات وبحوث المستشرقين تؤكد تحيز اولئك العلماء ^(٩) » .

الشمالية وباب زويلة في الجنوب . وقد مرت اسوار القاهرة هذه في ثلاث مراحل . الاولى التي شيدها جوهر والثانية حيث شيدها الوزير بدر الجمالي في عام ٤٨٠ هـ - ١٠٨٧ م اما الثالثة فقد كانت على يد صلاح الدين حيث انتدب في عام ٥٦٩ هـ - ١١٧٦ م بهاء الدين قرقوش لاسدي لعمل السور فبناه بالحجارة كما هو عليه اليوم .

Muslim Architecture of Egypt, Vol. 1 p. 162 (٧)

(٨) تاج محل - وهو ضريح ضخم . بناه في اكره الملك الهندي المغولي المسام « شاه جهان » ليضم رفات زوجته « آرجمند بانو بيكم » وكلمة تاج محل محرفة عن الاسم الذي كانت تحمله هذه الاميرة وهو « ممتاز محل » وهي ابنة آصف خان وقد تزوج منها شاه جهان سنة ١٦١٢ م وعمرها تسعة عشر سنة . وولدت منه اربعة عشر طفلا ثم توفيت عام ١٦٣١ م على اثر الوضع . فدفنت مؤقتا في زين آباد وحينما اقام هذا الاثر نقل جثمانها اليه .

(٩) دائرة المعارف الاسلامية . مادة « تاج محل » ٤/٥٢٢ .

(١٠) انظر كتب وبحوث المستشرقين الآتية :

G. Beli-Ukhaider, p. 145-147

جروتروود بل « الاخضر »

وقد تسنى لبعض المشتغلين بالآثار والعمارة الاسلامية تفنيدها والرد عليها^(١١) . والذي اراه ان الذي شجع اولئك المستشرقين على القول بان العرب ، سواء في عهد الجاهلية او الاسلام ، لم يكونوا ذوي دراية بفن العمارة والتخطيط . ولم يطلعوا على فنون الهندسة والبناء ، هو انفراد اولئك المستشرقين في خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ، بالاهتمام بدراسة الآثار والمخلفات والمنشآت العربية الاسلامية ، اذ المعروف ان الرحالين والباحثين الغربيين بدأوا يومئذ زيارة المواقع الاثرية الاسلامية^(١٢) . ونتيجة لتلك الزيارات والدراسات صنفوا مؤلفاتهم وكتبوا بحوثهم ، ثم ان جهل الكثيرين منهم بفنون اللغة العربية وبيانها ، وعدم استطاعتهم فهم النصوص اللغوية والدينية ، ادى بهم الى الوقوع في الاخطاء . والذي شجع هؤلاء العلماء على انكار فضل العرب ، هو ما ذكره ابن خلدون في مقدمته من ان « العرب ايضا اعرق في البدو وابتعد عن الصنائع » وان « المباني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها والى من كان قبلها من الدول^(١٣) » . والراجع ان ابن خلدون كان يقصد بلفظة « العرب »

كريزويل — « العمارة الاسلامية الاولى » ٦/١

Early Muslim Architecture Vol. I p. 6

كوتيل — « نشأة المآذنة وتاريخها » في مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية ١٢٣/٣

Gotheil — The Origin and the history of the Minaret, Vol. 30 p. 133.

(١١) انظر — فنون الاسلام . المرحوم الدكتور زكي محمد حسن صفحة

٣٣ وحضارة العرب — لويون صفحة ٥٢٣ والمسجد الجامع بالقروان . الدكتور

احمد فكري الصفحات ٣٩ — ٥٠ والمدخل — للدكتور احمد فكري .

الصفحات ٨ — ٢٠ .

(١٢) امثال — ماكس فان برشم Max V. Berchem وهرتسلفلد Herzfeld

والسيدة بل Bell وسارة Sarre وكريزويل Creswell — وزيل Musil

وماسينيون Massignon

(١٣) مقدمة ابن خلدون — المجلد الاول . الفصل الثامن — صفحة ٦٤٥ .

البدو ، ولقد اخذ المستشرقون ظاهر هذه اللفظة ليثبتوا ان العرب كانوا ابعد الناس عن البناء والصناعة ، من غير ان يتنبهوا الى الاستعمال الخاص لها في تاريخ ابن خلدون^(١٤) . والظاهر ان هذه الاسباب وتلك التي اشرت اليها ، ساعدت بل وشجعت بعض الباحثين والمستشرقين ان يؤكدوا بان الاقاليم العربية في الجاهلية والاسلام كانت تقتصر الى فن البناء والتخطيط والعمارة .

والواقع اننا لا نقبل مثل هذا الرأي أو نقر احدا عليه ، ولا نستطيع ان نحكم حكما صحيحا ما لم نسترشد بالبحوث والنتائج التي اثار اليها الكتاب الذين عنوا عناية عظيمة ، في القرنين الماضي والحاضر ، بالآثار العربية في اليمن والعراق والشام وشمال افريقية والاندلس وصقلية .

واذا ما عرجنا الى الجزيرة العربية ، نلاحظ ان العرب اقاموا فيها قبل الاسلام مدنا كثيرة لا زالت آثار بعضها ماثلة الى يومنا هذا ، غير ان القسم الكبير منها قد اندثر وعفى عليه الزمن ولم يبق منها سوى بعض الاشارات والاعخبار في الكتب والكتابات الاثرية .

وقد جمع الاستاذ ناجي معروف اسماء كثيرة لهذه المدن التي شيدت قبل الاسلام في اقاليم مختلفة من الجزيرة العربية^(١٥) .

ومن الامثلة على ذلك تخطيط مأرب ، حيث قام آرنو^(١٦) Arnaud

(١٤) دراسات عن مقدمة ابن خلدون . الحصري . الصفحات ١٥١-١٦٨ .

(١٥) عروبة مدن الاسلامية . ناجي معروف صفحة ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ .

(١٦) وهو جوزيف توما آرنو Joseph Thomas Arnaud شاب فرنسي صيدلي كان في خدمة حاكم تركي ارسالته حكومته في خدمة خاصة الى اليمن في عام ١٨٤٣ م . وزار مأرب في نفس العام ، وفي طريقه اليها زار خرائب مدينة صرواح وزار سد مأرب ونقل كثيرا من النقوش السبائية التي رآها

بعمل رسم تخطيطي للمدينة القديمة ، وذكر انها كانت مستديرة الشكل وان بها ثمانية ابواب^(١٧) .

وبنى اليمنيون مدينة « صنعاء » التي قال عنها ياقوت انه « ليس بجميع اليمن اكبر ولا اكثر مرافق واهلا من صنعاء^(١٨) » وقال عنها انه كانت لها « تسعة ابواب لا يدخلها غريب الا باذن^(١٩) » ووصفها الهمداني بانها « احدى جنان الارض عند كافة الناس^(٢٠) » .

ولقد كان للرحلات العلمية التي قام بها بعض العلماء في حوالي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وما بعده فضل كبير في املطة المثام عن اوجه الحضارة العربية في اليمن ، فأصبح معروفا لدى كل متخصص في الدراسات الشرقية - بعد ان تيسر للعلماء نشر نتائج بحوثهم - ان الجزيرة العربية قد شهدت في اطرافها الجنوبية حضارة رائعة لا يمكن بأي حال من الأحوال انكارها او التغافل عنها .

ففي عام ١٨٦٩ م قام المستشرق هالفي^(٢١) Jceseph Halvey برحلة الى اليمن . وقد سبق هالفي واعقبه علماء ورحالة آخرون في فترات مختلفة برحلات الى اليمن ، ولم ينجح من هؤلاء جميعا الا الصيدلي الفرنسي

Nature, Vol. CXI, p. 513, 1937

فكانت اول نقوش هامة تصل الى ايدي العلماء وقد نشر هذه النقوش ومذكراته القنصل الفرنسي في جدة المسمى فرسنييل Fresnel في عام ١٨٤٥ م .

Journal Asiatique, série, VII, Vol. II

(١٧)

وانظر العرب قبل الاسلام - جرجي زيدان صفحة ١٦٢ .

(١٨) معجم البلدان - ياقوت ٤٢١/٣ .

(١٩) نفس المصدر صفحة ٤٢٢ .

(٢٠) الاكليل - الهمداني صفحة ١٩ .

(٢١) هالفي مستشرق فرنسي ارتأت «اكاديمية الفنون الجميلة في باريس»

آرنو ، الذي جمع نقوشا عديدة في سبأ في عام ١٨٤٣ م والاستاذ كلازر^(٢٢) المستشرق النمساوي الذي قام بأربع رحلات فيما بين سني ١٨٨٢ و ١٨٩٢ زار فيها سبأ وظفار وجهات أخرى في داخلية اليمن^(٢٣) .

وزار اليمن نزيه مؤيد العظم في عام ١٩٣٦ م^(٢٤) ، كما قامت في عام ١٩٣٦ م بعثة الجامعة المصرية برئاسة الدكتور سليمان حزين ، وكانت مهتها دراسة المنطقة من نواحيها الجغرافية والزراعية والجيولوجية^(٢٥) .

Académie Inscription at Belles Lettres ارسله الى بلاد اليمن لجمع بعض النقوش المدونة عازمت الاكاديمية اخراجها بعد اهتمام فرنسا بالابحاث العربية الجنوبية في عام ١٨٦٩ م وتدعى هذه المدونة ((Corpus inscriptionum Semiticarum))

وتزيا هالفي يزي يهودي جاء من القدس الى اليمن عام ١٨٧٠ م وانتقل في مختلف جهات اليمن ثم عاد الى بلاده ونشر في عام ١٨٧٢ مؤلفه عن الرحلة (٢٢) كلازر - وهو تلميذ المستشرق المشهور د. هـ. مولر قام بين اعوام ١٨٨٢ - ١٨٩٢ بأربع رحلات كبيرة كانت اهمها رحلته الثالثة في عام ١٨٨٨ م وهي التي تمكن فيها من الوصول الى مارب ، وقد رأى كلازر - وهو يهودي مثل هالفي - ان يدعى الاسلام ويلبس ملابس العلماء المسلمين ويسمى نفسه باسم الحاج حسين ووصفه الكامل لرحلته الى مارب لم ينشر في حياته بل قام بنشره بعد وفاته في مايو سنة ١٩٠٨ م كل من مولر ورودوكاناكيس

Muller und Rodoknakis, Eduard Glasers Reise nach Marib, Vienna 1913.

(٢٣) آثار معين - محمد توفيق صفحة ١ و ٢

(٢٤) واصدر في نتائج زيارته كتابا سماه «رحلة في بلاد العرب السعيدة»

من مصر الى صنعاء في جزئين . طبع بالقاهرة عام ١٩٢٨ .

(٢٥) وقد نشر الدكتور حزين بعض ملاحظاته في مجلة

Nature, Vol. CXI, p. 513, 1937.

وفي عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٥ م اوفدت جامعة فؤاد الاول الاستاذ محمد توفيق الى اليمن^(٢٦) ، وقد تسنى له زيارة منطقة الجوف في هاتين السنتين . وقال عن رحلته تلك « وتمكنت من دراسة سطح هذه المنطقة وخرابها دراسة جديدة ومستفيضة الى حد ما ، واستعنت على استكمال هذه الدراسة بالصور الفوتوغرافية التي تظهر لأول مرة عن الجوف ، وما فيه من آثار ونقوش وزخارف الى غير ذلك^(٢٧) .

وقام الدكتور احمد فخري في عام ١٩٤٧ برحلته الى اليمن ، زار خلالها مناطق صرواح ومأرب وجميع مراكز الحضار المعينية في الجوف وسبأ^(٢٨) .

ومع هذا فان هذه الرحلات المتعددة الى منطقة اليمن ، لم تفدنا كثيرا في التعرف على فنون العمارة وتخطيط المدن لدى عرب اليمن آنذاك ، اذ المعروف ان غرض الرحلات السابقة التي قام بها المستشرقون في القرن الماضي كان من أجل الحصول على أكبر عدد ممكن من النقوش العربية الجنوبية ، دون الاهتمام كثيرا بالعمائر ، الا ما يأتي عرضا في وصفهم لما يشاهدونه في طريق تجوالهم . ومن مشاهدة الصور الفوتوغرافية^(٢٩)

^(٢٦) كان الغرض من هذا الايفاد هو لدراسة الجراد الرحال والكشف عن مناطق توالده وتكاثره وقد ساهمت جامعة فؤاد الاول مع المركز العام لبحاث مقاومة الجراد بلندن .

^(٢٧) آثار معين - محمد توفيق . صفحة ٢ .

^(٢٨) ونشر الدكتور احمد فخري نتائج زيارته تلك في بضع مقالات علمية وفي كتاب اسمه *An Archaeological Journey to Yemen, Cairo 1952* وهذا الكتاب يقع في ثلاثة اجزاء اقتصر ثانيهما على النقوش التي فحصها .
^(٢٩) انظر الاشكال من رقم (٤) حتى رقم (٢٣) من كتاب آثار اليمن لمحمد توفيق .

التي أرفقها الاستاذ محمد توفيق ضمن بحثه نستطيع ان نتخيل أية عسائر عظيمة تمثلها هذه الأوابد الباقية كما وتدل « الاطلال الباقية في معين انها كانت مدينة مسورة بسور عال عظيم تهدم اكثره . ولم يبق منه الا ارتفاع جزء بسيط منه عند الباب الغربي وهو نحو مترين ونصف متر ، وجزء آخر عند الباب الشرقي وهذا باق على حاله الاصلي ويبلغ ارتفاعه نحو خمسة عشر مترا ولا تزال ترى به فتحات المزاغل لتصويب السهام والمراقبة »^(٣٠) وبالإضافة الى المدن العديدة التي بنيت في اليمن فان الاخباريين العرب ، وعلى وجه الخصوص ، الهمداني صاحب كتاب «الاكلیل» اورد اسما كثيرة للقصور والمحافد^(٣١) التي كانت تعج بها اليمن . فمن هذه القصور قصر غندان ، الذي وصفه الهمداني بأنه « اول قصور اليمن وأعجبها وأبعدها صيتا »^(٣٢) وقصر تلغم الذي وصفه الهمداني بقوله انه « من اقدم قصور اليمن »^(٣٣) كما روى الهمداني انه في ظفار قصورا منها قصر ذي يزن^(٣٤) . ومن محافد اليمن براقش ومعين وهما بأسفل جوف ارحب^(٣٥) . وهناك حصون مشهورة كثيرة روى المؤرخون العرب بعض اخبارها منها « سلحين » الذي قال عنه ياقوت « بأنه حصن عظيم بارض اليمن »^(٣٦) وحصن فاعط الذي كان لبعض الاذواء قرب عدن^(٣٧) وبينون حصن عظيم

(٣٠) نفس المصدر صفحة ٤ و ٥

(٣١) المحافد - جمع محفد والمحفد في اللهجات العربية الجنوبية هو

« محفدن » بمعنى البرج والمكان الحصين الذي يحتوى به .

(٣٢) الاكلیل - الهمداني صفحة ٣

(٣٣) نفس المصدر - صفحة ٩٦ .

(٣٤) نفس المصدر - صفحة ٢٣ .

(٣٥) نفس المصدر - صفحة ١٠٥ .

(٣٦) معجم البلدان - ياقوت ١/١١٥ .

(٣٧) نفس المصدر ٤/٧٣١ و ٣/٧٧٦ .

على مقربة من صنعاء^(٣٨) وحصن صرواح قرب مأرب^(٣٩) وحصن هكر من اعمال ذمار^(٤٠) .

واذا ما عرجنا الى شمال الجزيرة العربية ، فهناك الحجر التي تقع الى الجنوب من دومة الجندل وهي كما يقول ياقوت اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام^(٤١) . ويقول الاصطخري عنها انها ديار ثمود الذين قال الله فيهم « وثمرود الذين جابوا الصخر بالواد »^(٤٢) ويذكر^(٤٣) انه رأى تلك الجبال ونحتهم الذي قال الله « وتحتون من الجبال بيوتاً فارهين »^(٤٤) وهذه الجبال اذا رآها الراي من بعد ظنّها متصلة فاذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها^(٤٥) .

رأينا فيما سبق ان العرب في عصور مختلفة من الفترة التي سبقت الاسلام ، قد اقاموا مدناً في اقاليم مختلفة من اراضيهم ، أوردنا اسماء بعضها ، ثم ذكرنا اسماء قليلة من قصور ومحافد اليمن . والذي اوردناه يثبت بصورة قطعية لا جدال فيها ان العرب كانوا على علم باصول فن البناء واساليب الهندسة والعمارة ، ويثبت ايضا بطلان الاقوال التي تدعي ان الاراضى العربية كانت فراغا معماريا^(٤٦) ، وقد اعتمدنا في اثبات ما

(٣٨) نفس المصدر ٨٠١/١ .

(٣٩) نفس المصدر ٢٨٣/٣ .

(٤٠) نفس المصدر ٩٧٩/٤ .

(٤١) معجم البلدان - ياقوت ٢٠٨/٢ .

(٤٢) القرآن الكريم - سورة الفجر . آية ٩ .

(٤٣) مسالك الممالك - الاصطخري صفحة ١٩ .

(٤٤) القرآن الكريم - سورة الشعراء آية ٢٤٩ .

(٤٥) معجم البلدان - ياقوت ٢٠٨/٢ .

A short account of Early Muslim Architecture, Creswell, (٤٦)

ذهبنا اليه ، على المدن والعمائر والابنية التي شيدها العرب في الجزيرة العربية ، ومدينة الحجر في شمال الجزيرة هذه ، واسقطنا من الحساب المدن والعمائر وما اقامه العرب من ابنية وقصور في اراضى العراق والشام وغيرهما من الاجزاء العربية الاخرى ، وعلى وجه الخصوص تلك التي شيدها الفساسنة والمناذرة ، وذلك لاننا اعتبرنا الاسلوب المعماري الذي نما وازدهر في العهود الاسلامية المختلفة كان استمرارا للاسلوب الفني الذي شاهدناه في اليمن واجزاء اخرى من الجزيرة العربية ، متمثلا في دول معين وحير وسبأ وغيرها ، وعلى هذا الأساس ، فاننا نرى ان الجزيرة العربية كانت مصدرا للالهام استقى المسلمون منها أصول فن البناء والعمارة وان كان المسلمون قد تأثروا ببعض الاساليب المعمارية الفنية المحلية للاقاليم التي فتحوها ، فان هذا التأثير ليس كبيرا الى الدرجة التي يبالغ بها المستشرقون . والذي احب انؤكد ، مما له صلة وثيقة بهذا البحث ، هو افتقارنا الى الدراسات والبحوث التي تتناول فن البناء والتخطيط لدى العرب والمسلمين ، فلقد انصب اهتمام الباحثين من علماء الآثار والفنون في نواح اخرى من مظاهر الحضارة الفنية الاسلامية ، مثل التصوير الاسلامي ومدارسه ، والزخرفة والخزف والنسيج والخط والابنية الدينية والمدنية . أما أوجه فن بناء المدن والتخطيط والهندسة ، فانه ليس من بين مئات البحوث والمؤلفات التي تناولت تأريخ الحضارة الاسلامية الا كتاب واحد تناول مؤلفه الاشارة الى بناء المدن الاسلامية الاولى في معرض حديثه عن العمارة الاسلامية^(٤٧) ولقد فطن باتيسيه^(٤٨) Patissée

Early Muslim Architecture, 2 Vols. (٤٧)

(٤٨) صاحب كتاب «تاريخ فن البناء» قال عنه لوبون بانه مؤرخ لتاريخ

من احسن ما لدينا من تواريخ فن البناء .

لهذا النقص فقال « ان مباحث تاريخ العمارة الاسلامية تحتاج الى توسع كبير^(٤٩) ويؤكد لوبون في اثناء حديثه عن الطراز العربي قبل ظهور النبي عليه الصلاة والسلام بأن هذا الطراز لا يزال مجهولا ، خلا ما يستشف من بقايا مباني اليمن القديمة ، ومن بقايا المباني التي اقيمت في الممالك العربية السورية القديمة^(٥٠) .

واملنا كبير ان يجتذب هذا الفراغ من تراثنا في فن البناء والعمارة ، المعنيين والمتخصصين فينصرفوا اليه ويولوه عناية خاصة في البحث والتنقيب والدراسة والمقارنة حتى تتكشف للعيان معميات وغوامض كنوز فن البناء لدى العرب ، وتتم معرفة الصلة التي تربط بين حضارتي العرب في مجال البناء قبل الاسلام وبعده ، واذ كنا قد بينا بوضوح ، ان الجزيرة العربية ، كانت مصدرا للالهام ، استعار المسلمون منها اسلوب البناء ، فان ذلك لا يعني مطلقا ، اننا نتنكر لبعض التيارات الفنية المعمارية التي اثرت في اسلوب البناء الاسلامي ، فمن المعروف ان اقاليم سورية ومصر وشمال افريقية ، كانت تسودها اساليب فنية محلية ، وترعرعت على ايدي الحاكمين فيها آنذاك، فسورية مثلا ، كان الطراز المعماري الهلنستي والبيزنطي والروماني ، هو الطراز المفضل في كل عمارة وبناء ، ولكننا نقول ان التأثير بتلك الاساليب لم يكن عظيما وكبيرا ، على عكس ما يذهب اليه بعض المستشرقين ، الذين يؤكدون ان مصادر الفن الاسلامي المعماري يتحدر من اصول بيزنطية ورومانية وقبطية وساسانية .

ومن ملاحظة اطلال المدن السورية القديمة ، التي شيدت على الاسلوب البيزنطي والروماني ، نلاحظ بوضوح لا يرقى اليه شك ، ان

(٤٩) حضارة العرب - لوبون صفحة ٥٢١ .

(٥٠) نفس المصدر صفحة ٥٤٨ .

طريقة بناء تلك المدن يختلف اختلافا كبيرا عن المدن والعمائر التي اقيمت في ارض الجزيرة العربية ، خلال العصور الجاهلية ، من جهة ، وعن المدن التي شيدت في اقاليم العراق والشام وشمالي افريقية ، في العصور الاسلامية المختلفة من جهة أخرى . وهذا الاختلاف الواضح في التخطيط والتنفيذ والتزيين يبعد الصلة في تشابه هذين الاسلوبين ، ويقرب حتما ، بين الطراز العربي في الجاهلية والطراز العربي في الاسلام .

ففي سورية مثلا ، كانت فيها عمائر ومدن منتشرة في ارجائها ، اقامها الرومان كهدف اقتضته ضرورة التحكم والسيطرة ، كان الطابع المميز لمعظم هذه العمائر والمدن عسكريا . وقد اظهرت التنقيبات والتحريات العلمية التي قام بها علماء الآثار في تلك المواضع العديد من المدن والمباني تنسب الى السلوقيين والرومان والبيزنطيين^(٥١) .

وقد توفر علماء الآثار على دراسة هذه العمائر دراسة دقيقة متقنة ، فوصفوا آثارها واماكنها ، امثال سوفاجيه Sauvaget وبرونو Brunnow وزميله فون دوماس زيفسكي البولندي

Von Domas Zewski

ومارسيل بويت M. Pöete ويير لافدان Pierre Lavedan والظاهر من وصفهم لها ، انها بلغت درجة كبيرة من المتانة والجمال ، فضلا عن ضخامتها ومتانتها حتى تؤدي الوظيفة التي انشئت من اجلها ، وتستكمل جميع وسائل التحصين والدفاع العسكرية .

ومن مشاهدة آثار المدن والقلاع القائمة اليوم في الشام نستطيع ان نرسم ملامح فن التخطيط الروماني والبيزنطي والسلوقي ، فلمخطط العام للمدينة في العهد السلوقي كان يقام على اسلوب التخطيط المنتظم الذي يشبه رقعة

(٥١) مثل انطاكية واللاذقية وافاميا ودور اوريس وحلب ودمشق

الشطرنج^(٥٢)، ونستطيع ان نقول في ثقة تامة ، ان الفن المعماري العربي الذي ظهرت ملامحه قبل الاسلام في اقاليم الجزيرة العربية كان يختلف اختلافا بينا وواضحا عن الاسلوب المعماري الذي ادخله الرومان والفرس الى سورية والعراق .

والمدن الرومانية المشيدة في سورية كانت تتبع نظاما خاصا، وهو المخطط السلوقي وفيها الساحة العامة ، والاسورا Agora والمسرح المدرج ، وميدان السباق والشارع الرئيس الذي يقطع المدينة من الشرق الى الغرب ويسمى Le Decumanus والآخر يخترق المدينة من الشمال الى الجنوب ويسمى Le Cardo وكانوا يتخيرون ربوة عالية في وسط المدينة او على طرفها احيانا يبنون عليها المؤسسات الرسمية والقصر والمعبد ولقد كان الشارع الرئيس عريضا على جانبيه رواقان ذوا اعمدة كورنثية

Corinthian Columns عرض كل منها ستة امتار . وفي نقطة التقاطع بين الشارعين الرئيسين كانوا ينشئون قوسا محمولا على عمد سامقة ذوات اربع فتحات تسمى « تترابيل » Tetrapel ويجعل لها اطناف مزينة بالاشخاص وهي ذات موضوع ديني او حربي^(٥٣) .

وخلاصة القول ان الخصائص المعمارية لفن العمارة وتخطيط المدن في العهود الهلنستية والرومانية والبيزنطية كان يقوم على الاسراف في العظمة والبذخ ، والاخذ بوسائل الدفاع والتحصين ، والميل الى تجسيد القوة العسكرية بمزيد من الضخامة والابهة .

اما العمائر في العهد الجاهلي ، فلم تكن جميعها تتمتع بخصائص العظمة

وتدمر وسركيسيو وزنوبيا او حلبنا الحالية .

(٥٢) الفن الهلنستي والروماني في سورية - بشير زهدي صفحة ١١ و ١٣ .

(٥٣) آثارنا . . . - ابو الفرج العس صفحة ٢٢ .

والضخامة والبذخ ، كما سبق واشترنا ان مباحث فن البناء والعمارة لدى العرب في الفترة التي سبقت الاسلام ، تحتاج الى دراسات وتنقيبات كثيرة ، اذ انه من غير شك ان آثار بعض المدن والقلاع لازالت تحت الاقراض ، ولكن ليس معنى هذا ، انه لم يكن للعرب قبل الاسلام نصيب من الفنون المعمارية ، كما يحاول ان يلصق بهم بعض المؤرخين التأخر في هذا المضمار ، اذ انه اصبح من الثابت علميا وتاريخيا ، الى درجة لا يمكن اغفالها او معارضتها ، انه كان للعرب حضارة ومدنية تشمل في المخلفات والآثار التي عثر عليها في اليمن وبعض المدن العربية القديمة الاخرى ، والذي اكتشف في هذه المدن من مبان وعمائر وخزف وتقود ومجار للمياه ، واقنية وخزانات وتقوش كتابية ، كلها تشهد ان بناتها كانوا على درجة من التمدن والحضارة .

وحينما جاء الاسلام ، عاش المسلمون في عهد النبي عليه الصلاة والسلام وعهد خلفائه الراشدين حياة بسيطة متواضعة ، بعيدة كل البعد عن البذخ والترف والتألق ، حيث انشغلوا في صدر الاسلام بالدعوة الى مبادئ الدين الجديد ، كان من نتائجها ان التحم المسلمون مع الفرس والروم في معارك ضارية ، انتهت باقتصار المسلمين وخروج الفرس والروم من العراق والشام ومصر ، وفي هذه الحقبة من التاريخ كانت المدينة مدينة الرسول ، عاصمة الدولة الناشئة فيها اقام الرسول وخلفاؤه من بعده ، ومنها انبعثت جحافل المجاهدين عبر الجزيرة نحو الشمال والشرق والغرب .

ولم يكن في المدينة من الخصائص المعمارية ، ما يدعو الى تسجيلها ، اللهم الا تخطيط المسجد الجديد الذي شيده الرسول عليه الصلاة والسلام واصحابه ليكون مكانا يؤدي المسلمون فيه فروض عباداتهم ، اما عدا ذلك ، فالمدينة بسيطة متواضعة تعكس بصفاء حياة الجماعة الاسلامية في فجر الاسلام ، التي يغلب عليها طابع الرضى والبساطة والنفور من الابهة والعظمة .

الفصل الأول

تصنيف المدن قبل بغداد

الباب الثاني

نظرة في تخطيط المدن العربية

الفصل الاول تمصير المدن قبل بغداد

وقد دعت الحاجة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى انشاء معسكرات يجتمع فيها المحاربون المسلمون، فمصر الكوفة والبصرة في العراق والفسطاط في مصر .

اما البصرة فتؤكد المصادر العربية انها اول مدينة احدثت في الاسلام^(١) وقد وردت روايات متعددة عن تاريخ استحداثها ، ولكن الراجح انها بنيت في سنة (١٤ هـ) ، وقد ذكر الطبري خبر تمصيرها في حوادث هذه السنة فقال « واختطت على نحو من خطط الكوفة^(٢) » ويرى البلاذري انه لما نزل عتبة بن غزوان الخريبة^(٣) كتب الى عمر بن الخطاب يعلمه نزوله اياها انه لا بد للمسلمين من منزل يشتون به اذا شتوا ويسكنون فيه اذا انصرفوا من غزوهم . فكتب اليه ان اجمع اصحابك في موضع واحد وليكن قريبا من الماء والمرعى واكتب الي بصفته ، فكتب اليه اني وجدت ارضا كثيرة لقصة في طرف البر الى الريف ودونها مناقع ماء فيها قصباء ، فلما قرأ

(١) فتوح البلدان للبلاذري الصفحات ٣٤٦ ، ٣٥١ والتنبيه والاشراف للمسعودي صفحة ٣٥٧ و ٣٥٨ . وكتاب المعارف لابن قتيبة صفحة ٢٧٩ و ٢٨٠ .

(٢) الطبري - ٩١/٣ .

(٣) الخريبة - كما جاء في معجم ياقوت ٤٢٩/٢ - موضع بالبصرة وسميت بذلك فيما ذكر الزجاجي لان المرزبان كان قد ابتنى به قصرا وخرّب بعده فلما نزل المسلمون البصرة ابتنوا عنده وفيه ابنية وسموها الخريبة .

الكتاب قال « هذه ارض نظرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب » وكتب اليه ان ازلها الناس ، فانزلهم اياها فبنوا مساكن بالقصب وبنى عتبة مسجدا من قصب ويقال ان عتبة تولى اختطاط المسجد بيده ، ويقال اختطه محجر ابن الادرع البهزي من سليم ويقال اختطه نافع بن الحارث بن كلداء حين خط داره ويقال بل اختطه الاسود بن سريع التميمي ، وبنى عتبة دار الامارة دون المسجد في الرحبة التي يقال لها اليوم رحبة بني هاشم ، وكانت تسمى الدهناء وفيها السجن والديوان فكانوا اذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه ووضعوه حتى يرجعوا من الغزو فاذا رجعوا اعادوا بناءه فلم تزل الحال كذلك . ثم ان الناس اختطوا وبنوا المنازل وبنى ابو موسى الاشعري المسجد ودار الامارة بلبن وطين وسقفها بالعشب وزاد في المسجد وكان الامام اذا جاء للصلاة بالناس تخطاهم الى القبلة (٤) . وروى البلاذري ايضا « ثم لما استعمل معاوية بن ابي سفيان زيادا على البصرة زاد في المسجد زيادة كثيرة وبناه بالاجر والجص وسقفه بالساج وقال لا ينبغي للامام ان يتخطى الناس فحول دار الامارة من الدهناء الى قبلة المسجد فكان الامام يخرج من الدار في الباب الذي في حائط القبلة وجعل زياد حين بنى المسجد ودار الامارة يطوف فيها وينظر الى البناء ثم يقول لمن معه من وجوه اهل البصرة ، اترون خللا ؟ فيقولون ما نعلم بناء احكم منه فقال بلى هذه الاساطين التي على كل واحدة منها اربعة عقود لو كانت اغلظ من سائر الاساطين (٥) » .

اما تمصير الكوفة فقد تم في سنة ١٧ هـ كما اورد البلاذري الذي يروي حادث البناء فيقول « لما فرغ سعد بن ابي وقاص من وقعة القادسية وجه الى المدائن فصالح اهل الرومية وبهر سير ثم افتتح المدائن واخذ اسبائير

(٤) فتوح البلدان - البلاذري صفحة ٣٤١ و ٣٤٢ .

(٥) نفس المصدر صفحة ٣٤٢ .

وكرد بنداذ عنوة ، فانزلها جنده فاحتووها فكتب الى سعد ان حولهم فحولهم الى سوق حكمة وبعضهم يقول الى كويقة دون الكوفة . . . فاصابهم البعوض فكتب سعد الى عمر يعلمه ان الناس قد بعضوا وتأذوا بذلك فكتب اليه عمر ان العرب بمنزلة الابل لا يصلحها الا مايصلح الابل فارتد موضعا عدنا ^(٦) ولا تجعل بيني وبينهم بحرا وولى الاختطاط للناس ابا الهياج الاسدي عمرو بن مالك بن جنادة ، ثم ان المسيح بن ببيعة اتى سعدا وقال له ادلك على ارض انحدرت من القلاة وارتفعت عن المباق فدلته على موضع الكوفة اليوم وكان يقال لها سورستان ، فلما انتهى الى موضع مسجدها امر رجلا فعلا بسهم قبل مهب القبلة فاعلم على موقعه ثم غلا بسهم قبل مهب الشمال واعلم على موقعه ثم غلا بسهم قبل مهب الجنوب واعلم على موقعة ثم غلا بسهم قبل مهب الصبا فاعلم على موقعة ثم وضع لمسجدها ودار امارتها في مقام الغالي وما حوله واسهم لنزار واهل اليمن بسهمين على انه من خرج بسهمه اولا فله الجانب الايسر وهو خيرهما فخرج سهم اهل اليمن فصارت خططهم في الجانب الشرقي وصارت خطط نزار في الجانب الغربي من وراء تلك العلامات ، وترك مادونها فناء للمسجد ودار الامارة ثم ان المغيرة بن شعبة وسعه وبناء زياد فاحكمه وبني دار الامارة » ^(٧) .

(٦) عدنا - كما جاء في معجم متن اللغة ٢٨/٤ عدنا وعدونا بالبلد -

اقام وتوطن .

(٧) فتوح البلدان - البلاذري صفحة ٢٧٤ و ٢٧٥ وقد كتب الاستاذ

ناجي معروف في - عروبة المدن الاسلامية صفحة ١٣ انه ورد في البلاذري

صفحة ٢٧٥ « علا ، والغالي » وهما خطأ . والصواب ما ذكرناه اعلاه .

وجاء في القاموس المحيط للفيروز بادي - غلا بالسهم غلوا وغلوا - رفع يديه

لاقصى الغاية . وكل مرماة غلوة . والمغلى - سهم يغلى به وفي ياقوت

٦/٤ يقال بينهما غلوة سهم .

وحينما انتقلت الخلافة الى الامويين ، لم يتخذ الامويون اية مدينة من المدن الاسلامية المشهورة آنذ مركزا لدولتهم ، كالمدينة ومكة والكوفة مثلا ، اذ كان يدرك معاوية ، وهو رجل سياسي خبير محنك انه لا يمكن الاعتماد على اهل الكوفة ، فهم معروفون بميلهم الى العلويين . اما المدينة ومكة فقد كان فيهما الكثير من اصحاب رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ، وان اهل هاتين المدينتين كانوا يرون انهم احق بالخلافة من معاوية . لذلك اختار بنو امية دمشق عاصمة لدولتهم ، ولم تمض عليها سنين كثيرة حتى اصبحت حاضرة العالم الاسلامي ومركز توثبه السياسي ، فيها يقيم الخليفة واتباعه ، وبين سهولها واغواطها سطر العرب المسلمون حضارة ضخمة اشتملت على الكثير من نواحي الحياة الروحية منها والمادية .

ولعل اهم ما شغل الامويين خلال سني حكمهم الفتوح الكثيرة في شرق العالم وغربه ، تسنى لهم خلالها السيطرة على معظم بقاع العالم المعروف آنذاك تحت امرة قادة افذاذ ، امثال المهلب بن ابي صفرة ، ومحمد بن القاسم الثقفي ، وقتيبة بن مسلم الباهلي ، ومسلمة بن عبد الملك ، وموسى بن نصير وطارق بن زياد ، وقد تكللت جميع حروبهم بالنصر في مناطق قرية ونائية ، كخراسان والسند والهند شرقا وشمال افريقية وشبه جزيرة ايريا غربا .

وحينما توطدت اركان الدولة الاموية وقويت مراكزهم العسكرية في العراق والحجاز ومصر وبقية الامصار الاخرى التي تدين لهم بالطاعة والولاء رأى خلفاء بني امية والولاة الموفدون من قبلهم ، ان دواعي الحياة الجديدة واساليب الدفاع والهجوم الحربية تتطلب منهم بناء المدن والقواعد والحصون ونتيجة لهذه المطالب الملحة ، بنى الامويون مدنا عسكرية ، مثل القيروان في تونس وواسط في العراق وغيرهما من المدن الكثيرة ، ومن الطبيعي ان الغرض من بناء هاتين المدينتين الكبيرتين كان واضحا ومعروفا ، وذلك لاتخاذهما

مراكز عسكرية مهمة تحفظ سيطرة الامويين في العراق وشمال افريقية وفارس وجعلهما منطقتي تجمع القوات الاسلامية المقاتلة وايضاها اذا دعت الضرورة الى المناطق والاقاليم المتاخمة لهما في الشرق والغرب .
وقد احصيت المدن التي بناها الامويون من الفترة التي حكم فيها معاوية ابن ابي سفيان حتى نهاية حكم مروان بن محمد ، فبلغت اكثر من عشرين مدينة (٨) .

اما واسط فقد احدثها الحجاج كما روى البلاذري في سنة ثلاث وثمانين (٩) ، وذهب اليعقوبي الى ان الحجاج بنى مدينة واسط في السنة التي هرب فيها ابن الاشعث ، ويذكر هروبه في عام ٨٣ (١٠) ويشير الطبري الى بنائها في حوادث عام ٨٣ هـ (١١) . اما ياقوت فانه يذكر بان الحجاج شرع في عمارتها في سنة ٨٤ وفرغ منها في سنة ٨٦ (١٢) . ويخالف بحشل (١٣) جميع هؤلاء المؤرخين فيذكر انها أسست عام ٧٥ هـ .

وكانت واسط كما يروي البلاذري ارض قصب فسميت واسط (١٤)
القصب ، وبينها وبين الاهواز والبصرة والكوفة مقدار واحد .

(٨) عروبة المدن الاسلامية - ناجي معروف الصفحات ٤٩ - ٥٣ .

(٩) فتوح البلدان - البلاذري صفحة ٢٨٨ .

(١٠) تاريخ اليعقوبي - ٢/٣٣٢ .

(١١) الطبري - ١٨٤/٥ حوادث سنة ٨٣ هـ .

(١٢) معجم البلدان - ياقوت ٨٨٢/٤ .

(١٣) بحشل - هو اسام بن سهل الرزاز الواسطي المتوفى في حدود

سنة ٢٨٨ هـ

(١٤) واسط - وهو مخطوط في المكتبة التيمورية في دار الكتب

العصرية ونسخته .

وبالإضافة الى المدن العديدة التي بنيت ، انشأ الامويون عسائر دينية ومدنية تشتمل اهم العسائر الدينية بقبة الصخرة ، التي شيدها عبد الملك بن مروان وقد تم بناؤها في عام « ٧٢ هـ — ٦٩٠ م » ولنا في معرض وصف عسارة قبة الصخرة وما هي عليه من ضخامة وروعة ورشاقة ، فان هذا مبسوط في مصادر اثرية^(١٥) . الا اننا نكتفي بذكر ما اورده مجير الدين العليمي ، بان عبد الملك بن مروان اتفق على بناء هذا الاثر خراج مصر لمدة سبع سنوات^(١٦) . ثم المسجد الجامع بدمشق الذي شيده الوليد بن عبد الملك في عام ٨٨ للهجرة^(١٧) .

اما العسائر المدنية ، فقد اقبل الامويون على بنائها ومعظم هذه العسائر قد انشأ في بادية شرقي الاردن ، بيد ان غالبية هذه المباني تكاد تكون اليوم خرابا ، ولم يبق منها الا الاطلال منتشرة هنا وهناك ، ونستطيع ان نستثني من جميع تلك العسائر ، قصير عمرة ، وقصر المشتى ، فان ما بقي من آثارهما يوضح بجلاء ما كانت عليه امثال تلك العسائر من ضخامة في البناء ، ومعرفة في التخطيط .

(١٥) راجع ما كتب عن قبة الصخرة في كتاب « كيريزويل » المختصر من الصفحة ١٧ حتى ٤٠ وراجع فنون الاسلام للمرحوم الدكتور زكي محمد حسن صفحة ٢٦ — ٤٠ .

(١٦) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل . العليمي ٢٤١/٢ .
(١٧) انظر البلدان لليعقوبي الذي قال « ومسجدها الذي ليس في الاسلام احسن منه بالرخام والذهب بناه الوليد بن عبد الملك » . ابن الطقطقي صفحة ١٢٧ . وابو الفدا — صفحة ٢١٧ حيث يذكر ان الوليد امر ببناء جامع دمشق في سنة ثمان وثمانين وانه انفق عليه اموالا عظيمة ويذكر المسعودي في مروج الذهب ١٦٦/٣ ان الوليد ابتدا في سنة سبع وثمانين ببناء المسجد الجامع بدمشق وانه انفق عليه وعلى مسجد الرسول بالمدينة اموالا جلية .

وقصير عمرة ، فهو قصر صغير على بعد خمسين ميلا شرقي عمان ، وقد كشفه لأول مرة (موزيل Musil) الذي كان على رأس بعثة علمية للتنقيب في عام ١٨٩٨ م^(١٨) ، وباني هذا القصر غير معروف على وجه التأكيد ، ولكن الباحثين استطاعوا حصر تاريخ بنائه بين معركة شريش التي جرت في عام (٩٢ الهجري) او سقوط مسرقند في سنة (٩٣ الهجري) وبين وفاة الوليد سنة (٩٦ الهجري)^(١٩) .

أما قصر المشتى فهو من اشهر القصور الاموية ، وقد اكتشف من قبل لايارد Layard في عام ١٨٤٠ م . ويقع على بعد عشرين ميلا جنوبي عمان^(٢٠) . وليس لدينا في المصادر التاريخية ما يهدينا الى معرفة تاريخ هذا القصر الكبير ، لذلك قامت حول تاريخه مناقشات وارااء مختلفة وكثيرة ، فذهب فريق من العلماء الى انه من آثار الملوك اللخمين في الحيرة من القرن الرابع الميلادي ، وقال آخرون انه من عتائر الغساسنة في القرن السادس الميلادي ، ونسبه فريق ثالث الى كسرى الثاني حين خضعت له البادية بين عامي ٦١٠ و ٦٢٣ م قبل ان يهزمه هرقل^(٢١) . وقد ذكر كريزويل جميع تلك الآراء والمناقشات^(٢٢) ثم انتهى الى انه بناء أموي . ومهما يكن من أمر ، فإن الذي يهمنا بعد ان اثبت العلماء المتأخرون نسبته

(١٨) العمارة الاسلامية - المختصر . كريزويل صفحة ٨٤ .

(١٩) انظر نفس المصدر صفحة ٩٢ - ٩٣ . فنون الاسلام . زكي

محمد حسن صفحة ٤٧ .

(٢٠) العمارة الاسلامية - المختصر كريزويل صفحة ١٢٤ .

(٢١) فنون الاسلام - زكي محمد حسن صفحة ٥٢ .

(٢٢) انظر العمارة الاسلامية - المختصر . كريزويل صفحة ١٣٧ وما

بعدها وانظر ايضا العرب في سورية قبل الاسلام - رينيه ديسو .

الصفحات من ٣٧ الى ٤٩ .

الى عصر اسلامي ، ان هذا القصر كان مثالا طيبا للعمارة الاموية الاسلامية ، التي نست واازدهرت على ايدي الامويين الحاكمين . بفضل ما كان للعرب في الجزيرة من معرفة في البناء وما استعاروه من اساليب فنية معمارية عن البيزنطيين والسامانيين ، وما اضافوه هم من ابداع خلاق وعبقرية فذة ، حتى استوى بين ايديهم اخيرا فن اسلامي معماري جديد . ولقد كانت واجهة هذا القصر ، بما فيها من زخارف نباتية وحيوانية ، وما تشتمله من افاريز واطر ، آية في العظمة مسا حدا بالقصر غايوم الى الحصول على موافقة السلطان عبد الحميد في عام ١٩٠٣ م في نقل تلك الواجهة الى متحف القصر (فردريك) في برلين . فتم له ذلك ، فأصبحت هذه الواجهة نواة للقسم الاسلامي لمتحف برلين (٢٣) .

وهناك قصور اخرى ، غير هذين القصرين ، اقامها خلفاء بني امية في بادية الشام منها قصر الحير الشرقي (٢٤) ، وقصر الحير الغربي (٢٥) وقصر خربة المفجر (٢٦) ولا ريب ان سورية كانت تضم مجموعة طيبة من الصنائع

(٢٣) فنون الاسلام - الدكتور زكي محمد حسن صفحة ٤٩ .

(٢٤) وهو قصر في الصحراء على بعد ٦٠ ميلا شمالي شرقي بالميرا وحوالي ٤٠ ميلا جنوبي الرصافة .

(٢٥) يقع قصر الحير الغربي بين تدمر وحوارين وقد كشفته دائرة الآثار السورية ثم نقلت اجزاءه الى متحف دمشق .

(٢٦) خربة المفجر - قصر بناه هشام بن عبد الملك ، كشفته دائرة الآثار الفلسطينية شمالي اريحا ، ويتألف القصر من ثلاثة ابنية كبيرة . منها قصر للسكن وبناء آخر كمسجد للصلاة . والثالث حمام . وقد ظهرت في حمام هذا القصر ارض من الفسيفساء يعتبرها مؤرخو الفن الاسلامي ابداع الفسيفساء الاموية . وقد امسكت كتب التاريخ عن ذكر هذا القصر الا ان التنقيبات التي اجريت في عام ١٩٤٧ م عثر خلالها على مخطوطتين اثريتين من الرخام . مكتوبة بالحروف الكوفية معنونة لهشام بن عبد الملك .

والعمال والمهرة من البنائين المحليين ، وقد اسهم هؤلاء في اقامة وتشيد المدن والحصون والعناصر البيزنطية قبل الاسلام . ولا شك ان هؤلاء العمال قد اكتسبوا على توالي السنين والعصور الخبرة والمران ، كل في مجال اختصاصه .

وحينما فتح المسلمون الشام ، تهقر الروم من اراضيها ، فلم ير المسلمون حرجا بالاستعانة من تجارب وخبرات الصناع والمهرة المحليين حينما استدعتهم الحاجة الى البناء والتعمير فاقبلوا على الاستفادة منهم ، ومن هنا امتزجت الاساليب المعمارية السورية المحلية بما كان لدى العرب من خبرة في هذا المضمار ، ومن هذا الامتزاج نشأ الاسلوب الهندسي الاموي المعماري ، ونستطيع ان نؤكد - كما شرحنا ذلك سابقا - ان هذا الاسلوب المعماري الجديد يختلف عن الاسلوب الذي كان سائدا في الشام قبل الفتح الاسلامي . ونحن لا ننكر ، كما أوضحنا قبل قليل الفائدة التي جناها المسلمون من استخدام المهرة من العمال والصناع السوريين المحليين في تشيد العناصر واقامة المباني ولكننا نرى بنفس الوقت ، ان الفن الناشئ لم يكن مشتقا في اصوله وجزيئاته من الفنون السابقة للاسلام ، وعلى وجه الخصوص الفن الهلنستي (٢٧) .

وقد اسهب المستشرقون وعلماء الآثار ، في الكلام عن الفن العربي الاسلامي الذي رعته الايدي الاموية الحاكمة ، فجزأوا هذا الفن - والذي يضم فيما يضم من فنون الفن المعماري - الى اجزاء واقسام أرجعوها الى اصول فارسية ورومانية وقبطية وصينية (٢٨) . ولعل هذه الفكرة قد وجدت

(٢٧) امتزاج الفن اليوناني الغربي بالفن الشرقي المحلي يسمى الفن الهلنستي . Early Muslim Architecture, Vol. I p. 90 and 388, 389

(٢٨) انظر البحوث والكتب التي اوردناها في الصفحة (٤) في الهامش رقم (٣) من هذه الرسالة .

صدي كبيراً لدى البعض من طلاب العلوم الاثرية والباحثين في تاريخها ، فراحوا يبخسون حق العرب والمسلمين ، وتأكيداً لهذه النظرية يقول ديمتري برامكي^(٢٩) : « فالهندسة الاموية المعمارية والفن الاموي مشتقان من الهندسة والفن الرومي والفارسي »^(٣٠) وفي هذا القول خطأ كبير ، وابتعاد عن الحقيقة والواقع ، فضلاً من انه يسلب من امة متحضرة ذات حضارة ، جزءاً من حضارتها فالمعروف عن العرب في فجر الفتوحات الاسلامية ، انهم لم يعيروا التربية الهندسية والمعمارية اهتماماً كبيراً كما كانوا يفعلون في بئ مباديء الدين الجديد ، وطرد الفرس والروم عن مناطق الشام والعراق ومصر ، ولكن الحال اختلفت بعدئذ حين توطدت اركان الدولة وقويت شوكة العرب والمسلمين في المراكز التي احتلوها ، فقد راح العرب والمسلمون يهضمون كل ما اخذوه من الامم المغلوبة ، ويخرجونه في قالب جديد يختلف عن الاصول التي اخذ بعضه منها ، وينسجم كل الانسجام مع طبيعة العرب ومباديء دينهم .

والواقع ان الحضارة الانسانية ، بعد هذا كله ، على اختلاف اساليبها وتباين مظاهرها ليست ملكاً لشعب دون آخر أو لامة دون اخرى وانما هي نتاج لامتزاج التيارات الحضارية لشعوب كثيرة اسهمت جميعها في ارساء قواعد تلك الحضارة .

Muhammadan Architecture
in Egypt, Briggs, p. 47

وانظر ايضا رد (بريجز) على آرائهم في كتابه

وانظر مناقشات المؤلف نفسه (بريجز) في الباب الذي كتبه بعد كتابه السابق عن العمارة الاسلامية في كتاب (تراث الاسلام) الصفحات من ١١١ حتى ١٦٠ من الترجمة العربية .

(٢٩) وهو استاذ علم الآثار بالجامعة الامريكية في بيروت .

(٣٠) المؤتمر الثاني للآثار - بحث الدكتور ديمتري برامكي صفحة ١٤٠ .

والعرب بدورهم كأمة ، اسهموا في العصور الاسلامية المختلفة ، في جزء كبير من الحضارة البشرية ، بفضل ما اقتبسوه من الامم السابقة ، وما اتجودهم من مختلف اوجه التقدم والازدهار ، وفي هذا يعترف مؤرخ غربي منصف بجهود العرب والمسلمين في هذا المضمار فيقول (ان العرب استطاعوا ان يبدعوا حضارة جديدة مستعنيين بما استعاروا من الفرس واليونان والرومان (٣١) .

الفصل الثاني

المدينة المدورة نموذج لتخطيط المدن العربية

تعتبر بغداد - مدينة المنصور - بحق من مفاخر العرب المسلمين في مجال العمارة والتخطيط ، تلك المدينة التي ذكر الخطيب البغدادي ، مؤرخها المشهور ، ان الجاحظ قال في وصفها « قد رأيت المدن العظام والمذكورة بالاتقان والاحكام ، بالشامات وبلاد الروم وفي غيرها من البلدان ، فلم ار مدينة قط ، ارفع سبكا ، ولا اجود استدارة ، ولا انبل نبلا ، ولا اوسع ابوابا ، ولا اجود فصيلا ، من الزوراء ، وهي مدينة ابي جعفر المنصور كانما صبت في قالب وكانما افرغت افراغا (٣٢) » .

وقال عنها البروفسور كريزويل « ان مدينة المنصور المدورة يمكن ان تعد بحق احد الامثلة الشهيرة لتخطيط المدن التي وصلت اليها (٣٣) » . ومثل هذه المدينة ، التي وصفها كاتب قبل عدة قرون كشاهد عيان ، وذكر عنها باحث متخصص بالآثار والعمارة الاسلامية ، بمثل ذلك الوصف المنصف ، والتي اتيح لها من الامكانيات والجهود والخبرات ، في منتصف القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ما جعلها مركزا للثقافة والعلم والادب ، وبوأها مكانة مرموقة في دنيا الهندسة وال عمران والتخطيط .

مثل هذه المدينة ، مع ما رافق تشييدها من خصائص معمارية ، تعكس لاول وهلة ، في ذهن الباحث والقاريء على حد سواء ، النموذج الأمثل لأمة اخذت سبيلها في مدارج الحضارة وال عمران وتوسلت بالعلم لتحقيق غاية الخليفة العباسي الثاني في تشيد مدينة حصينة واسعة قوية ، تتوفر فيها

وسائل الدفاع والهيمنة والراحة .
ولعل آراء الباحثين تختلف في شأن المدينة المدورة ، وهذا الاختلاف ينصب باديء ذي بدء في المصادر المعمارية التي استقاها أبو جعفر المنصور والمهندسين الذين اشرفوا على البناء ، فالمدينة ، كما وصلتنا اخبارها من المؤلفات العربية^(٢٤) تحوي على خصائص ومزايا ، ينبغي على الباحث ان يقف عندها . سمعنا النظر فيها ومتفحصا لها ، وفي رأينا ان هذه الخصائص الفريدة في تاريخ العمارة ، هي التي اثار الباحثين ، فدفعتهم الى ان يبدوا بآرائهم ، سواء اكانت تلك الآراء صادرة عن بحث وتحصيل ، ام كانت نتيجة ارتجال محض .

والاستفسار الاول الذي قد يثار ، هو هل ان بناء هذه المدينة المدورة من العرب والمسلمين ، كانوا يعرفون فنون العمارة والتخطيط ؟ فان كان الجواب بالنفي ، اذن فما هي المصادر والمنابع التي استقى منها العرب والمسلمون اصول تخطيط المدينة المدورة ؟ وان كان الجواب بالاجاب فهل ان خبرة العرب في ميدان التخطيط والبناء قد تكامل واصبح ناضجا في خلال قرن ونصف القرن من الزمان ، ام يا ترى ان لهذا الفن جذورا موعلة في القدم الى الفترة التي سبقت الاسلام .

ولقد ناقشنا في الفصل السابق مثل هذا الرأي ، بروح علمية منهجية خالية من التحيز لفترة دون اخرى ، او لامة دون غيرها ، واعتمدنا في مناقشتنا على بعض آراء المعنيين والباحثين بدراسة الآثار والحضارة التي

(٢٤) فتوح البلدان - البلاذري صفحة ٢٨٣-٢٩٧ . والبلدان . اليعقوبي صفحة ٢٣٣ وما بعدها . الطبري ٢٣٤/٦ وما بعدها وصفحة ٢٦٤ وما بعدها . ومروج الذهب . المسعودي ١٧١/٦ والخطيب ٦٧/١ و ٧٤ . ومعجم البلدان . ياقوت ٤٥٧/١ وما بعدها .

سبقت عصر الاسلام والتي اعقبته •
وعلى ضوء ما تقدم ، ففي وسعنا ان نقول (نعم) ان بناء المدينة
المدورة كانوا يعرفون فنون العمارة والتخطيط ، وقد ورثوا هذه المعرفة
من الخبرة الطويلة التي مارسها اجدادهم العرب في الفترة
التي سبقت الاسلام ، ثم توسعت بعد ذلك في العهود الاسلامية ، حتى غدا
فن تخطيط المدن وهندسة العماير من الاساليب المعمارية المألوفة لدى
المهندسين والفنانين والمهنيين والعمال العرب المسلمين •

الفصل الأول

منطقة بغداد قبل الإسلام

الباب الثالث

منطقة بغداد الغربية

سيفت حمر السلام و التي القوية

وعلى غير ما عهد دعي و سبنا ان القولا حسيب ان سيف القدس
 النبوة كانوا يعرفون قرون العارة والتخليط و بعد و روي على القرية
 من الحيرة الطويلة التي تسمى بالقرية التي هم العرب في القرية
 التي سيف السلام و في يوم بعد ذلك في اليوم الاسطعنة و حتى عدا
 في تحصيل النبوة و حادثة العار من الامام العارفة القارعة ليدور
 الهامس والعاشر واليهين و القليل العرب الميسير

ثالثا بابا

قبيغا علفي حقله

الفصل الاول

منطقة بغداد قبل الاسلام

في بحث نشأة اية مدينة من المدن ، او بتعبير ادق حين يتناول موضوع بناء مدينة ما ، لا بد ان يؤخذ بنظر الاعتبار دراسة الموضع الذي شيدت فيه تلك المدينة ، ومن الطبيعي ان بواعث بناء المدن في الماضي او الحاضر ، يختلف بعضها عن البعض الاخر ، فمن المدن ما شيد لاسباب عسكرية ، وبعضها لاسباب تجارية ، وبعضها لاسباب سياسية ، وقسم آخر منها يشيد للراحة والاستجمام .

والمدن التي تبني لاسباب العسكرية ، يراعى في بنائها اختيار موقع استراتيجي مهم يهيمن على طرق المواصلات ، ويؤمن خط الرجعة ، وتوصيل الامدادات البشرية والغذائية ، فضلا عن متانة البناء وتجهيزه بالابراج والشرفات والمزاغل .

والمدن التي تشيد كمركز تجاري ، يتطلب من المكان المختار ان يكون على مفترق طرق المواصلات البرية منها والنهرية ، وقريبا من مصادر الثروات الحيوانية والغذائية والصناعية . اما المدن التي تشيد لاسباب سياسية ، فأهم الشروط التي تتوفر في بنائها هي ان تكون في مركز متوسط ، حتى تتمكن ان كانت بمثابة عاصمة لدولة كبيرة ان تدير دفة الامور الادارية في اوقات السلم ، وان تسيطر على اعمال التمرد والشغب في فترات الحرب . واما المدن المشيدة للراحة والاستجمام فالمفروض فيها ان تكون اداة للتسلية ، ووسيلة للراحة ، تشبع رغبة بناتها في توفير اوقات هادئة تتوافر فيها الحدائق والبساتين والمنتزهات والميادين والساحات وحدائق الحيوانات والبيوت المريحة .

أما بالنسبة لبناء مدينة المنصور المدورة ، فدراسة موضعها القديم للفترة التي سبقت عهد البناء ، أمر بالغ الأهمية ، ولئن كانت دراسة أحد المواضع لمدينة بنيت لسبب واحد من الأسباب المتقدمة امرأهما وواجبا ، فإن دراسة موضع بغداد القديم ، يصبح أهم وأوجب ، يدعو الى الدقة في البحث وامعان النظر ، وذلك لأنها بنيت لكل تلك الأسباب المتقدمة ، بالإضافة الى ان بناء بغداد يمكن اعتباره تجربة معمارية عربية اسلامية ، ونستطيع القول بانها كانت أهم تجربة معمارية في القرن الثاني الهجري ، وضعت خبرات المهندسين والفنانين والعمال المسلمين ، مع خبرة القيادة والتوجيه والقدرة على التدقيق والابتكار ، امام تجربة عملية تحققت للمنصور كفكرة في بادئ الامر ، ثم لم تلبث ان اخذت طريقها الى حيز التنفيذ .

ونظرة معمقة فاحصة الى خارطة منطقة بغداد في اواخر العهد الساساني وأوائل العهد الاسلامي ^(١) ، ترينا بصورة جلية وواضحة ان المنطقة الواقعة الى غرب نهر دجلة والتي تشمل طسوج ^(٢) قطربل ^(٣) وبادوريا ^(٤)

(١) انظر الخارطة رقم (١) في هذه الرسالة .

(٢) طسوج - لفظة فارسية اصلها تسو ، كما يقول ياقوت ، فعربت بقلب التاء طاء وزيادة الجيم في آخرها واكثر ما تستعمل هذه اللفظة في سواد العراق ، وطسوج اقل من الكورة ، والكورة كما يروي ياقوت - كل صقع يشتمل على عدة قرى ، وبذلك يكون الطسوج جزء من اجزاء الكورة .

(٣) جاء في معجم البلدان لياقوت ١٣٣/٤ عن قطربل بانه اسم لطسوج من طساسيج بغداد ، و اضاف ان ما كان من شرقي الصراة فهو بادوريا وما كان من غربيها فهو قطربل . وعلى هذا الاساس فان مباني المدينة المدورة اقيمت على اراضي هذا الطسوج . والكلمة كما افاد ياقوت اعجمية غير عربية . ويشير مؤلفا دليل خارطة بغداد في الصفحة ٢٠ بان اسم قطربل يوناني الاصل نسبة الى قطربل ثم حذفت النون فصارت قطربل .

(٤) طسوج غربي نهر دجلة يقع اسفل طسوج قطربل يفصل بينهما نهر

تخترقها الاقنية والنهيرات من غربها وتجوس خلال اراضيها حتى تصب في دجلة . وتظهر اهمية هذا الموقع من تصميم ابي جعفر المنصور على اختياره وبناء مدينته فيه ، وبقائها عاصمة خلال العصور العباسية ، الا في فترات سياسية قصيرة ، اتخذت قاعدة لحكم العراق ، واعتبرت حاضرة من اهم الحواضر عندما كانت القسطنطينية عاصمة الدولة الاسلامية . وتتجلى اهمية موضع بغداد من وجود عدد من العواصم في هذه المنطقة ، اتخذت خلال العصور عواصم ومراكز لاقدام الدول التي قامت في العراق حتى انشاء مدينة بغداد امثال بابل^(٥) وطيسفون^(٦)

الصراة ، وهي في زمن ياقوت كما قال محسوبه من كورة نهر عيسى بن علي وفي طرفه بنيت بعض بغداد .

(٥) بابل - وتقع على ما جاء في الدليل التاريخي صفحة ١٧ - على بعد نحو ٩٠ كيلومترا جنوب غربي بغداد . واقدم اشارة تاريخية للمدينة جاءتنا من عهد السلالة الاكدية في حدود ٢٣٥٠ ق. م. واصبح لبابل اهمية كبرى منذ قيام سلالتها الاولى التي اشتهرت بملكها السادس حمورابي حيث اصبحت عاصمة الامبراطورية التي اسسها . وآخر حقبة مجيدة في تاريخ بابل تقع في العهد المعروف بالعهد البابلي الاخير (٦٢٥ - ٥٣٨ ق. م.) الذي اشتهر بحكم الملك الشهير (نبوخذ نصر الثاني) ٤٠٤-٦٥١ ق. م. وبعد غزو الفرس الاخمينيين بابل على يدي كورش (٥٣٨ ق. م) دخلت بابل ومعها جميع القطر تحت حكم الدولة الاخمينية .

(٦) طيسفون - ويرى من بقاياها اليوم طاق كسرى . وموقعها - على ما جاء في سومر ٨ (١٩٥٢) صفحة ٢٦٦ - على بعد بضعة كيلومترات جنوب مصب دبالى في دجلة وتبعد عن جنوب بغداد مسافة ٣٠ كيلومترا كان اسم طيسفون في اللغة المازدية القديمة (كسبيا) او (كسبيا نام) اي (حصن الكسبيين) وعرفت عند الآريين باسم كسفون . وسماها اليونان باسم (كتيسفون)

ودور كوريكالزو^(٧) وسلوقية^(٨) .

ومنطقة غربي نهر دجلة على وجه الخصوص المكان الذي اختاره المنصور موضعاً لبناء مدينته المدورة ، منطقة ذات أهمية في التاريخ القديم الذي سبق التأريخ الاسلامي . وقد أصبحت هذه المنطقة فيما بعد جزءاً من

Ctesiphon) ثم عريت بصورة قطسفون وطيسفون وطسفونج . . وسارت منذ نحو سنة ١٥٠ ق. م مقر اللفرثيين ثم اتخذها الساسانيون عاصمة شائعة لدولتهم واطلق العرب عليها وعلى ما كان في اطرافها اسم المدائن .

(٧) كوريكالزو — عرف هذا الموضع — على ما جاء في الدليل التاريخي صفحة ٢٣ — باسم عقرقوف منذ ازمان بعيدة . وقد زاره منذ منتصف القرن السادس عشر سياح كثيرون وقد ظن بعضهم خطأ ان زقورته هي برج بابل ثم عين بوجه صحيح منذ منتصف القرن الماضي بانه موضع المدينة الكشبية التي اسسها الملك كوريكالزو الاول في بداية القرن الخامس عشر ق. م وقد ايدت التنقيبات التي قامت بها مديرية الآثار العراقية هذا .

(٨) سلوقية — شيدها — كما ورد في فياضانات بغداد صفحة ٢٧٠ — سلوقس نيقاطور في القرن الثالث قبل الميلاد ، على الضفة اليمنى من النهر مقابل ارض المدائن الفارسية ، ولا تزال آثار هذه المدينة تعرف اليوم باسم (تلول عمران) او (تل عمر) وهي تقع مقابل طاق كسرى الحالي في الجانب الايمن لنهر دجلة ويقول بعض المؤرخين ان الاسكندر نفسه كان الباديء بانشاء الابنية في موضع سلوقية وقد اختار موقعها لاقامته حتى مات ، وهناك من يشير الى ان هذه المنطقة كانت معمورة قبل عهد الاسكندر ، وذكر المستوفي في كتابه (نزهة القلوب) ان الملك يامشيد اليشداذي اقام جسراً على نهر دجلة في المدائن وهو جسر مقوس من الاجر الا ان الاسكندر هدمه على اعتبار انه اثر عظيم من آثار الملك الفارسي ولما أعاد اردشير بابكان بناء المدينة رغب في إعادة بناء هذا الجسر لكنه لم يستطع انجازه لذلك اقام جسراً عائماً من السفن مربوطة بعضها ببعض بسلاسل من حديد .

اقليم العراق ، الذي اهتم به المسلمون الفاتحون ، والعباسيون بعدئذ ،
والراجح ان هذا الاهتمام روعيت فيه بصورة خاصة النواحي الاقتصادية ،
والتي تشمل في تنسية الزراعة ورعايتها ، والمعروف ان وسط العراق وجنوبه ،
كانا يرويان من نهري دجلة والفرات وروافدهما ، ولا ريب ان هذين النهرين
لم يكونا يسدان حاجة الاراضى الواسعة المزروعة ، لذلك شق الخلفاء بعض
القنوات والانهر الصغيرة من غربي دجلة وشرقي الفرات ، وكذلك من
الروافد التي كانت تخرج من الفرات فتسير نحو الشرق لتصب في دجلة ،
ولا يغرب عن البال ان بعض هذه الاقنية كانت موجودة منذ العصور التي
سبقت الفتح العربي في العمود البابلية والكشية والآشورية والفارسية .

الفصل الثاني

انهار بغداد الغربية

وسوف نتناول في هذا الفصل البحث عن الانهار ، والقرى والاديرة ، وبعض الاماكن المهمة التي كانت موجودة في الفترة التي اختار المنصور هذا الموضع مكانا لتشييد مدينته المدورة (انظر الخارطة رقم ١) .
اما أهم انهار منطقة بغداد الغربية ، فهو رُفَيْلٌ « الذي يأخذ مياهه من الضفة اليسرى (أي الشرقية) لنهر الفرات عند قنطرة دِمِيسَا^(٩) جنوب مدينة الأنبار^(١٠) ويسير هذا النهر حتى يصل مدينة المَحْوَل^(١١) وعند المحول ينشطر النهر الى فرعين ، الاول يجري نحو الجنوب الشرقي حيث يصب في جنوب بغداد الحالية عند التلول المعروفة باسم تلول خشم

(٩) سهراب - صفحة ١٢٣ . مسالك الممالك للاصطخري صفحة ٨٤ -

الخطيب ١١١/١ . ياقوت ٨٤٢/٤ .

(١٠) تقويم لبلدان - ابو الفدا صفحة ٥٢ .

(١١) يقول ياقوت في معجمه ٤ / ٤٣٢ (ان اشتقاق المحول واضح من حولت الشيء اذا نقلته من موضع الى موضع) والظاهر ان بلدة المحول نشأت في الموضع الذي يتفرع نهر الصراة من نهر عيسى . وكان في هذا الموضع - كما جاء في دليل خارطة بغداد صفحة ٧٣ - سد على نهر عيسى الاعظم لتنظيم المياه فيه وتقسيمها بين صدري فرعي الصراة وعيسى ، وقد سميت هذه البلدة «المحول الكبير» لتمييزها عن المواضع الاخرى التي بهذا الاسم لان السفن التي كانت تأتي من الفرات في النهر الرئيس كانت تقف عند السدود تحول ما تحمله من بضائع الى سفن اخرى في الجانب الآخر من السد لتتجدر من هناك الى دجلة في مجرى نهر عيسى الاعظم .

الدوره (١٢) . اما الفرع الآخر الذي يتفرع من الجهة اليسرى للنهر الرئيس فيجري نحو الشرق ويصب مياهه اسفل الموضع الذي انشأ فيه عيسى بن علي قصره (١٣) .

وليس لدينا من النصوص التاريخية ، ما يهدينا الى معرفة تأريخ حفر هذا النهر الكبير ، على وجه الدقة والتحديد ، كما ان النصوص التاريخية تلتزم جانب الصمت في نسبة تسمية هذا النهر ، الا ما رواه ياقوت في معجمه من انه « منسوب الى الرفيل واسمه مه آذر بن خشيش بن ابرويز بن خشين ابن خسروان (١٤) » ويؤيد المستشرق الانكليزي لسترانج حفر هذا النهر في العهد الساساني حيث قام بحفره احد ملوك الفرس الساسانيين (١٥) . ويعمل ياقوت لماذا اطلق على (مه آذر) - وهو الذي قام بحفر النهر على ما جاء في روايته - اسم الرفيل بانه « لما قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعليه ثوب ديباج يسحب على الارض ، فقال عمر من ذا الرفيل ؟ فصار له اسما علما (١٦) » وفي اعتقادنا ان هذه الرواية ضعيفة ، لا يمكن الاعتماد عليها في تحقيق اصل تسمية النهر الذي نحن بصدد البحث عنه .

اما في العهد الاسلامي ، فقد اصبح يعرف باسم ، نهر عيسى ، نسبة الى عيسى بن علي بن عبدالله بن العباس (١٧) عم المنصور الذي قام باعادة حفر احد الفروع اليسرى للنهر الذي كان ينتهي الى بغداد ويصب في دجلة كما سبقت الاشارة الى ذلك . ان النهر الرئيس ، الذي يأخذ مياهه من

(١٢) دليل خارطة بغداد صفحة ٣ وفيضانات بغداد صفحة ٢١٣ .

(١٣) سهراب صفحة ١٢٣ الخطيب ١١١/١ وياقوت ١١٧/٤ .

(١٤) معجم البلدان - ياقوت ٨٣٩/٤ .

(١٥) بغداد في عهد الخلافة العباسية - لسترانج صفحة ٧٠ .

(١٦) معجم البلدان - ياقوت ٨٣٩/٤ .

(١٧) الخطيب - ٩٢/١ ومعجم البلدان لياقوت ٨٤٢/٤ .

الفرات ، ويتفرع منه عند بلدة المحول ، فرع ثان فقد أصبح يعرف باسم (نهر عيسى الاعظم) والذي سماه بهذه التسمية ، هو اليعقوبي فقد قال عنه « نهر عيسى الاعظم الذي يأخذ من معظم الفرات تدخل فيه السفن العظام التي تأتي من الرقة ويحتل فيها الدقيق والتجارات من الشام ومصر تصير الى فرصة عليها الاسواق وحوائيت التجار لا تنقطع في وقت من الاوقات (١٨) » .

وفي وصف الاصطخري لنهر عيسى ما يوضح هذه الناحية بجلاء فقد ميز هذا الكاتب بين نهر عيسى الاعظم الذي تمر منه السفن أي النهر الرئيس الذي ينتهي الى دجلة جنوب بغداد ونهر عيسى الفرع الذي ينتهي مع بقية الفروع الى دجلة في جوف مدينة بغداد (١٩) .

ومع ان هذا النهر قد اشتهر في العصر الاسلامي باسم (نهر عيسى) كما اشرنا قبل قليل ، مع ذلك ، فان بعض المؤرخين المسلمين ، استعملوا الاسم القديم لهذا النهر (الرفيل) مما يدعوننا الى القول بان التسمية السابقة له لم تست نهائيا . فابن الجوزي مثلا ، ذكر هذا النهر باسم (الرفيل) في حديثه عن سد فوهته في عهد معز الدولة البويهى الذي حكم من ٣٣٤ هـ حتى ٣٥٦ هـ فقال « وكان قد سد فوهة نهر الرفيل وشق النهروانات وعمل المغيض بالسندية ورد لمواريث الحشرية الى ذوي الارحام (٢٠) » كما ذكر مؤلف كتاب تحفة الامراء في تاريخ الوزراء التسمية القديمة للنهر فقال « وقدر للنفقة على بزّاد من بزندات نهر الرفيل ثلاثين ديناراً (٢١) »

(١٨) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٥٠ .

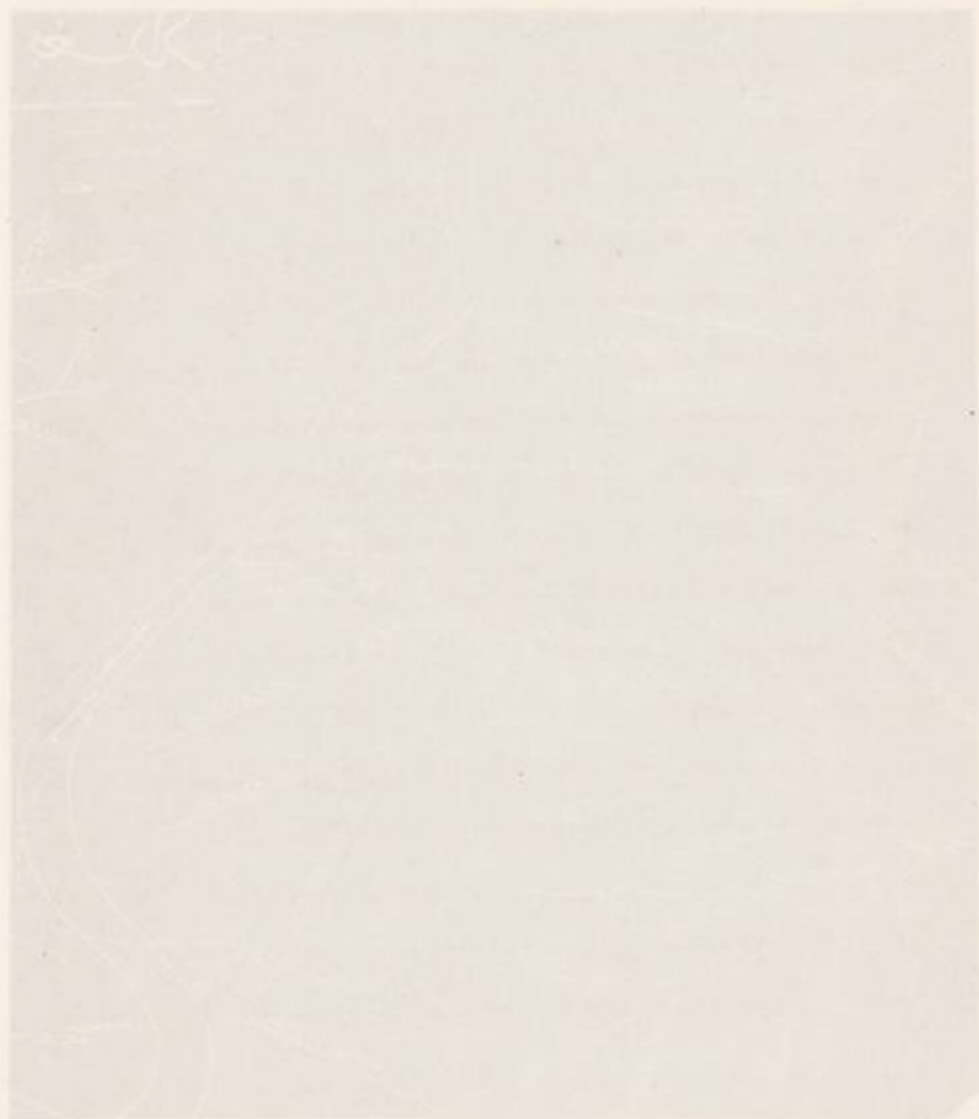
(١٩) دليل خارطة بغداد - صفحة ٦٥ .

(٢٠) المنتظم - ابن الجوزي ٣٩/٧ .

(٢١) تحفة الامراء في تاريخ الوزراء - الصابي صفحة ٢٨٠ .

واستعمل ياقوت ايضا الاسم القديم في اثناء ذكره (قصر عيسى) فقال عنه « قصر عيسى منسوب الى عيسى بن علي بن عبدالله بن عباس وهو اول قصر بناه الهاشميون في ايام المنصور ببغداد وكان على شاطئ نهر الرفيل عند مصبه في دجلة (٢٢) » .

وعلى هذا الاساس فمنطقة بغداد الغربية ، الموضع الذي اقيمت عليه فيما بعد المدينة المدورة ، فيها نهران يحملان اسم (نهر عيسى) نسبة الى عيسى بن علي ، أولهما الفرع الرئيس الكبير الذي سماه اليعقوبي ، كما مر سابقا باسم (نهر عيسى الاعظم) والذي يصب بنهر دجلة في جنوب بغداد وثانيهما (نهر عيسى) مجرد من كلمة الاعظم لانه يتفرع من النهر الرئيس ، (نهر عيسى الاعظم) ويصب في دجلة عند الموضع الذي بنى عيسى فيه قصره



(2020-2021)

المعروف (بقصر عيسى) ، ولا ريب ان مثل هذه التسمية لنهر واحد قد تكون سببا مهما في ارباك بعض الباحثين ، الذين لا يميزون بين التسميتين » فقد وقع اكثر الباحثين في تاريخ بغداد ، وخصوصا اولئك الذين حاولوا رسم خرائط لخطط بغداد القديمة امثال لسترانج وستريك وغيرهما ، في ارتباك وحيرة من أمر نهر عيسى بسبب قصورهم واعتقادهم ان نهر عيسى هو اسم لنهر واحد ، ووضح دليل لتحير لسترانج في هذا الامر انه وضع في اول الامر خارطة لانهار بغداد الغربية عند تحقيقه لبحث ابن سراييون عن انهار العراق رسم فيها نهر عيسى نهرا واحدا يسير في اتجاه نهر عيسى الاعظم الذي يصب في دجلة جنوب بغداد ، وكانت نتيجة ذلك ان جميع الاماكن التي كانت تقع داخل بغداد رسمت في غير مواضعها الحقيقية لان نهر عيسى الاعظم يسير على مسافة بعيدة عن بغداد (٢٣) . ويظهر ان لسترانج شعر فيما بعد بخطئه هذا فحاول تصحيح خارطته في كتابه (بغداد في عهد الخلافة العباسية) ولكنه وقع هذه المرة في اخطاء اخرى يتجلى فيها ارتباكه وتحيره في أمر نهر عيسى فأهمل هذه المرة نهر عيسى الاعظم بالمرّة كأن لم يكن له وجود ورسم نهر عيسى على شكل دائرة يدور حول مدينة المنصور المدورة (٢٤) وكانت محاولته هذه غير مجدية أيضا لأنه اتخذ تخطيط مدينة القديم الذي كان موجودا في هذه المنطقة قبل ان يدخلها المنصور بمسدة طويلة . ومن اهم الاخطاء التي وقع فيها لسترانج بسبب ذلك انه رسم الفرضة التي كانت عند مصب نهر عيسى الاعظم الذي ينتهي الى دجلة

(٢٣) انظر الخارطة (رقم ٢) التي وضعها لسترانج لانهار بغداد الغربية

عند تحقيق بحث ابن سراييون في انهار العراق .

(٢٤) انظر الخارطة (رقم ٣) بغداد في اول ادوارها العباسية كما وضعها

لسترانج .

جنوب بغداد وهي الفرضة التي لا تزال بقاياها موجودة في تلول ام الطبول في غير موقعها الحقيقي فرسمها عند مصب نهر عيسى (الفرع) الذي ينتهي الى دجلة في جوف بغداد . . . واذا رجعنا الى الخارطة التي وضعها المستشرق الالماني ستريك لمدينة بغداد الغربية (٢٥) . . نجد انه لم يكن في وسع هذا المؤرخ اهمال آثار نهر عيسى الاعظم التي لا بد ان تكون قد استوقفت نظره عند تنقيبه عن آثار بغداد القديمة فوقع في عين الخطأ الذي وقع فيه لسترانج في محاولته الاولى لحل مشكلة نهر عيسى المعقدة ، فعين نهر عيسى (الفرع) على نهر عيسى الاعظم ، وبهذا اصبحت المواقع التي في الجانب الغربي من بغداد القديمة بعيدة كل البعد عن مواقعها الاصلية بل وقعت خارج المدينة بسافة بعيدة (٢٦) . »

وبعد تأسيس مدينة بغداد ، انشئت على نهر عيسى (الفرع) بين المحول وموضع مصبه في دجلة عشر قناطر ، ذكرها سهراب في كتابه عند حديثه عن مجرى نهر عيسى فقال « ويسر بقرى وضياع على جانبيه واذا صار الى المحول يتفرع منه انهار مدينة السلام . . . ثم يسر الى الياسرية وعليه هناك قنطرة وهي قنطرة الياسرية (٢٧) ثم يسر في وسط بادوريا من جانبها المشرقي ثم يسر الى الرومية وعليه هناك قنطرة تعرف بقنطرة الاشنان ثم يسر الى موضع باعة الشوك وعليه هناك قنطرة تعرف بقنطرة الشوك (٢٨) ثم يسر

(٢٥) انظر الخارطة رقم ٥ الى رسمها ستريك لمدينة بغداد لغربية .

(٢٦) دليل خارطة بغداد صفحة ٦٩ .

(٢٧) سميت بالياسرية كما روى الخطيب في تاريخه ٩١/١ نسبة الى

ياسر مولى زبيدة وهناك ربح و اب يحمل نفس الاسم .

(٢٨) سميت كذلك نسبة الى باعة الشوك وقد وصفها ياقوت في معجمه

١٩١/٤ بانها قنطرة مشهورة معروفة على نهر عيسى ، وهناك محلة كبيرة وسوق واسع فيه بزازون وغيرهم من جميع ما يباع وقد نسب اليها قوم من اهل العلم بالشوكي .

الى موضع باعة الرمان وعليه هناك قنطرة تعرف بقنطرة الرمان ثم يمر الى قنطرة المغيض^(٢٩) والمغيض ثم يمر الى قنطرة البستان ثم يمر الى قنطرة المعبدى^(٣٠) ثم يمر الى قنطرة بني زُرَيْق^(٣١) ويصب في دجلة اسفل من قصر عيسى^(٣٢) » (انظر خارطة رقم ٤ بغداد في اول ادوارها العباسية) .
والراجع ان بقايا هذا النهر لا تزال ترى حتى يومنا هذا وهي تعرف باسم (نهر الداودي) او (نهر العيساوي) وتمتد في حدود امانة العاصمة السابقة^(٣٣) بمحاذاة هذا النهر القديم وتنقطع آثار هذا النهر بعد ان يصل الى مدخل بغداد حيث يصبح امام قبر الشيخ معروف الكرخي الا انه اذا اتجهنا شرقا في نفس اتجاه النهر نجد انه يستد من ظهر المطار المدني الحالي ، وبعد ان يجتاز قبر معروف الكرخي^(٣٤) من الشمال يدخل مدينة بغداد

(٢٩) وردت في سهراب باسم (المغيض) اما في الخطيب طبعة السعادة بالقاهرة فقد جاءت في صفحة ١١٢ باسم (المغيض) ووردت في طبعة باريس (المغيض) فان كانت الكلمة باسم (المغيض) فمعناه كما ورد في لسان العرب ٦٥/٩ « المكان الذي يغيض فيه الماء » أي ينقص او يذهب . ون كان اصل الكلمة (المغيض) فمعناه المكان الذي فيه ماء كثير يسيل على ضفة النهر .

(٣٠) نسبة الى عبدالله بن محمد المعبدى كما ذكر ياقوت في معجمه ١٩١/٤ وكان له اقطاع في موضعها وبني هذه القنطرة على النهر المجاور واتخذ الى جانبها رحا تعرف به . وكانت داره أيضا هناك ثم صارت بعد ذلك لمحمد ابن عبد الملك الزيات وزير الوائق .

(٣١) نسبة الى دهاقين من اهل بادوربا كما جاء في الخطيب ٩١/١ والمعروف ان اسرة بني زريق هذه اسرة فارسية من البنائين .

(٣٢) سهراب - صفحة ١٢٣ و ١٢٤ .

(٣٣) دليل خارطة بغداد صفحة ٦٤ .

(٣٤) كان الشيخ معروف الكرخي من موالي الامام علي بن موسى الرضا ولد مسيحيا وقيل مجوسيا ثم اعتنق الاسلام . وكان يعاصر هارون الرشيد .

وينتهي الى دجلة بجوار مسجد القمرية (٣٥) .

واشتهر عنه انه كان من جملة المشايخ المشهورين بالزهد والورع دفن في سنة ٢٠٠ هـ - ٨١٦ م في موضع تربته الحالية التي كانت تعرف بمقبرة باب الدير . وفي سنة ٤٥٩ هـ - ١٠٦٧ م احترق المقام الذي شيد فوق قبر معروف الكرخي فأعاد الخليفة القائم بناءه . ودفن في سنة ٦١١ هـ - ١٢١٤ م بالقرب من هذا المقام لأمير علي أصغر ابن الخليفة الناصر لدين الله الملقب بالملك العظيم وقد توفي قبل أبيه ، وربما أعيد بناء القبر بهذه المناسبة . وقد سلم المقام من التخريب في أثناء حصار المغول لبغداد سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م وعند تربة الشيخ معروف منارة المسجد قائمة الى جانب مرقد الشيخ معروف يرجع تاريخ انشائها الى زمن الخليفة الناصر لدين الله . (دليل خارطة بغداد صفحة ٦٠ وفيضانات بغداد صفحة ٢٢١) .

(٣٥) مسجد القمرية - يرتقي الى العهد الاخير من الخلافة العباسية . ويرى البعض ان تسميته هذه منسوبة الى الموضع الذي انشئ فيه وهو الموضع الذي كان يعرف باسم قمرية نسبة الى قمرية أهل بيت الناصر لدين الله الخليفة العباسي او احدى حفاظه مع ان ذكر اسم قمرية لهذا الموضع ورد في حوادث حصار السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه السلجوقي لبغداد سنة ٥٥٢ هـ ، وقد شيد هذا الجامع في سنة ٦٢٦ هـ - ١٢٢٨ م في عهد الخليفة المستنصر بالله وذكر انه انفق عليه (١٨٠٠٠ دينار) ولم يبق من بنائه العتيق الا منارته الحالية وهي قليلة الزخرف . وقد غرقت مسناة هذا المسجد في فيضان سنة ٦٥٤ هـ - ١٢٥٦ م وقد استؤنفت على المسجد عمارات كثيرة من ذلك عمارة السيدة عائشة بنت أحمد باشا والي بغداد سنة ١١٦٣ هـ وهي زوجة عمر باشا الذي كان واليا على بغداد سنة ١١٧٧ هـ كما دل عليه مضمون الابيات المحررة على باب المصلى ثم أعاد عمارته سعيد باشا والي بغداد في سنة ١٢٣٠ هـ وتاريخ آخر عمارة له مذكور على محراب المصلى (فيضانات بغداد صفحة ٢٢٤) .

ومما له علاقة بالموضوع الذي نحن بصدد البحث فيه ، هو المكان الذي كان يُصب فيه نهر عيسى بالنسبة للمواقع والامكنة الحالية لمدينة بغداد ، والذي يظهر ان الباحثين المحدثين الذين تناولوا بحث مدينة بغداد المدورة وتخطيطها ، قد اختلفوا في تحديد المكان الذي كان يصب فيه نهر عيسى (الفرع) وقد يكون اختلافهم هذا شيئا طبيعيا وذلك لان نهاية هذا النهر قد اختفت وليس هناك — في الوقت الحاضر — أي دليل اثري او طوبوغرافي يشير اليه .

وعند دراستي للخارطة التي ارفقها الدكتور عبدالعزيز الدوري مع بحثه عن بغداد في دائرة معارف الاسلام^(٣٦) ، وجدت انه قد حدد في خارطته موضع مصب نهر عيسى الى الجنوب من جسر الشهداء الحالي . أما الدكتور احمد سوسة واضع أطلس بغداد^(٣٧) فانه يجعل مصب نهر عيسى الفرع الى الشمال من موقع جسر الشهداء الحالي ، ويقع مصبه هذا في الدور البويعي عند مشرعة القطانين والى الجنوب منه كان موضع جسر سوق الثلاثاء .

وقد اشار مؤلفا دليل خارطة بغداد الى ان نهر عيسى ينتهي الى دجلة بجوار مسجد القمريه^(٣٨) . وحينما نشر الدكتور احمد سوسة آخر كتاب له (فيضانات بغداد في التاريخ) فانه يذكر بان نهر عيسى يصب في دجلة

(٣٦)

Art. of Baghdad, see the map of the city of Baghdad p. 908.

(٣٧) أطلس بغداد . وضع الدكتور احمد سوسة صفحات ٢ و ٣ وما

بعدها .

(٣٨) دليل خارطة بغداد صفحة ١١ و ٦٥ .

بالقرب من مسجد حبيب العجمي^(٣٩) الحالي على الأرجح^(٤٠) .
 اما خرائط المستشرق الانكليزي لسترنج التي تضمنها كتابه (بغداد
 في عهد الخلافة العباسية^(٤١)) فاننا لا نستفيد منها في تحديد موضع مصب
 نهر عيسى بسبب ما صاحب خرائطه من اضطراب في مجرى الانهر والقنوات ،
 ولعدم تمييزه بين نهري (عيسى الفرع) و (عيسى الاعظم) ومثل هذا الكلام
 نستطيع ان نقوله في الخارطة التي رسمها المستشرق الالماني ستريك في كتابه
 (بلاد بابل القديمة^(٤٢)) .

اما نهر الصراة فكان يأخذ مياهه كما يقول سهراب من نهر عيسى فوق
 قرية المحول الكبير بشيء يسير ويسقي ضياع وبساتين بادوريا^(٤٣) . وكما
 اشرنا سابقا ، ان معظم منطقة بغداد الغربية كانت تسقى من مياه نهر عيسى
 الذي كان يسمى في الفترة التي سبقت بناء بغداد باسم (نهر الرفيل) واطافة
 الى هذا النهر الرئيس ، كانت تلك المنطقة تسقى ايضا من نهر الصراة الذي
 كان يجري بعد تفرعه من النهر الرئيس ، موازيا نحو الشرق ثم ينتهي الى
 دجلة فيصب فيه داخل بغداد .

(٣٩) ينسب هذا المسجد الى حبيب العجمي ، وهو من الزهاد المعروفين
 ويقع على مقربة من مسجد القمرية ، وفي سنة ١٢٣٥ هـ جدد الوزير داود
 باشا آثاره والجامع الذي فيه . وهو اليوم بالقرب من بناية اعدادية الكرخ
 للبنين .

- (٤٠) فيضانات بغداد في التاريخ - احمد سوسة صفحة ٢١٤ .
 (٤١) انظر الخارطة رقم ٣ منقولة عن النسخة المترجمة لكتاب لسترنج .
 (٤٢) انظر الخارطة رقم ٥ كما رسمها لستريك مأخوذة من كتابه صفحة ٤٧ .
 (٤٣) سهراب صفحة ١٣١ وانظر الخطيب ١١٢/١ ومعجم البلدان لياقوت
 ٣٧٧/٣ ومرصد الاطلاع لابن عبدالحق ٨٣٦/٢ .

وقد كتب لسترانج عن مجرى نهر الصراة بعد ان يتفرع من نهر عيسى الرئيس انه « يصل الى الجانب الجنوبي الغربي من المدينة المدورة عند الجسر القديم ولا يبعد كثيرا عن خارج باب الكوفة ومن هنا ينحرف حول سور المدينة فيسر امام باب البصرة ويستمر جاريا نحو الشمال الشرقي مسافة قصيرة حتى يصب في دجلة تحت حدائق قصر الخلد التي تقع خارج باب خراسان (٢٢) .

ومن ملاحظة مجرى نهر الصراة في الخارطة التي وضعها لسترانج لبغداد في اول ادوارها العباسية نرى انه اوجد للنهر مجرى دائريا يسير مع دوران سور بغداد الخارجي وكأنه خندق او سور آخر يحيط بالمدينة



(خارطة رقم - ٢)

خارطة انهر بغداد العربية كما رسمها لسترايج عند تحقيق بحث
ابن سراييون عن انهر العراق



(۳ - پاره‌های)

شماره‌های ۱ تا ۱۰۰ که در این کتاب آمده است، به ترتیب زیر آمده است:

۱ - شماره ۱ تا ۱۰۰ که در این کتاب آمده است، به ترتیب زیر آمده است:

المدورة • ورسم لستراتيج هذا خاطيء لا شك في ذلك ، والملاحظ لجميع الانهار والاقنية اتى رسمها لستراتيج حول المدينة المدورة — ونهر الصراة منها — يرى انه جعل سور مدينة المنصور اساسا بنى عليه اتجاهات الانهار ، مما قاده الى الوقوع في اخطاء كثيرة ، واداه الى ان يرسم شكلا هندسيا غريبا لمجاري الانهار يخالف الواقع مخالفة تامة (٤٥) •

كان نهر الصراة الذي بقي محتفظا باسمه الى ما بعد بناء مدينة ابي جعفر المنصور يسمى نهر الصراة الكبرى او (نهر الصراة العظمى) والظاهر انه كان في بغداد نهران يحملان اسم (الصراة) الصراة الكبرى والصراة الصغرى (٤٦) • ويشير ياقوت بانه لا يعرف الا صراة واحدة (٤٧) • والراجع انه يقصد بنهر الصراة الكبرى •

والذي يبدو انه اصبح لنهر الصراة اهمية كبيرة في عهد بناء المدينة

(٤٥) دليل خارطة بغداد صفحة ٢ •

(٤٦) ان وجود هذين الاصطلاحين الكبرى « او العظمى » والصغرى يلفتان النظر في انهار بغداد الغربية والراجع ان القدماء كانوا قد اعتادوا ان يضيفوا كلمة (الاعظم) او (العظيم) الى اسم الجدول الرئيس للتمييز بينه وبين الفرع الذي يتفرع منه ويحمل اسم الجدول نفسه ايضا • كما كانوا يضيفون هذه الكلمة الى الشارع اذا كان اعظم شارع في المدينة وهكذا فقد سمي نهر الصراة الرئيس باسم نهر الصراة الكبرى او العظمى للتمييز بينه وبين الفرع الذي كان يتفرع منه وصار يعرف باسم نهر الصراة الصغرى وكذلك سمي نهر عيسى الرئيس باسم (نهر عيسى الاعظم) للتمييز بينه وبين الفرع المتفرع منه الذي صار يعرف باسم (نهر عيسى) ويشير مؤلفا دليل خارطة بغداد ايضا في الصفحة ٧ — الى ان اهمية معرفة هذه الاصطلاحات في بحث نظام الارواء لمنطقة بغداد الغربية اذ ان عدم معرفتها تقود الباحثين الى الوقوع في الاخطاء.

(٤٧) معجم البلدان — ياقوت ٣/٣٧٨ •

المدورة والعصور التي اعقبت ، اذ يروي ابن حوقل ان « عليه عمارات كثيرة للجانب الغربي وتتفجر منه انهار كثيرة لعمارات الناحية^(٤٨) » وحينما يصل الى بغداد يمر بقنطرة العباس ثم يمر الى قنطرة الصينيات ثم يمر الى قنطرة رحا البطريق^(٤٩) وهي قنطرة الزبدة . ثم يمر الى قنطرة العتيقة^(٥٠) . ثم يمر الى القنطرة الجديدة^(٥١) ثم يصب في دجلة اسفل الخلد بشيء يسير^(٥٢) ويخرج من الصراة نهر يسمى « خندق طاهر^(٥٣) » سوف نذكره حينما نشير الى أنهار بغداد الغربية .

(٤٨) صورة لارض - ابن حوقل صفحة ٢٤٢ .

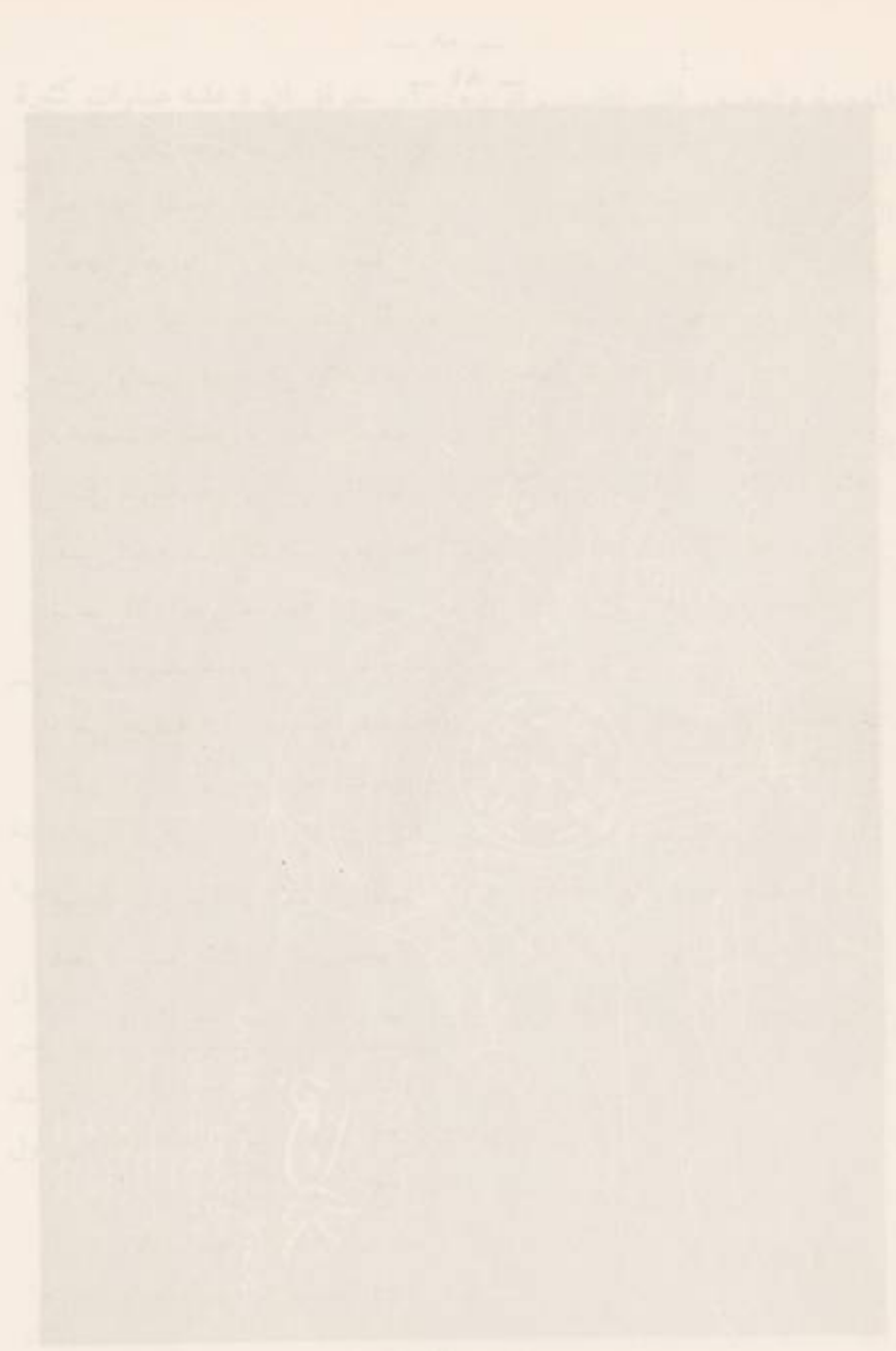
(٤٩) سياني الكلام عن رحا البطريق في الصفحات التالية .

(٥٠) ذكر اليعقوبي في البلدان صفحة ٢٤٣ و ٢٤٤ بأنها كانت معقودة بالجنس والاجر محكمة وثيقة وروى ايضا بأنها سميت العتيقة لانها اول شيء بناه المنصور .

(٥١) سميت كذلك لانها آخر ما بني من القناطر كما روى اليعقوبي في البلدان صفحة ٢٤٥ . والظاهر ان هذه القنطرة قد اصابها الخراب في عصر ياقوت حيث اشار الى انها اصبحت في زمانه في غاية العتق . رغم انها قد جددت مرارا . وذكر ايضا في معجمه ١٨٨/٤ انها سميت بالجديدة لانها اول من بناها المنصور حيث كانت تلي دور الصحابة وطاق الحراني .

(٥٢) سهراب صفحة ١٢٣ .

(٥٣) سهراب صفحة ١٣١ والخطيب ١١٢/١ .



(= ۱۰۰)

والتجارة في مدينة القاهرة

وكان نهر الصراة يفصل بين طسوج قطربل و سطوج بادوريا . فالذي يقع على الضفة اليسرى من النهر ، او كما يدعوها بعض المؤرخين المسلمين بالجهة الغربية^(٥٤) ، فهو طسوج قطربل ، والذي يقع على الضفة اليمنى من النهر او كما يدعوها بعض المؤرخين بالجهة الشرقية ، فهو طسوج بادوريا . ومن الانهار المهمة التي كانت موجودة في موضع بغداد قبل ان يشيد المنصور فيه مدينته المدورة ، نهر يعرف باسم (كرخايا) ذكر عنه سهراب بانه كان يحمل مياهه من نهر عيسى اسفل المحول الكبير بشيء يسير^(٥٥) . والظاهر ان بعض النهرات كانت تتفرع من هذا النهر مؤلفة شبكة من النهرات والقنوات تسقي الاراضي الواقعة بين نهر الصراة ونهر الرفيل اذ يروي سهراب بانه « يمر وسط طسوج بادوريا ويتفرع منه انهار تنبث في بادوريا تسمى وتعرف وعلى جانبيه قرى وضياح وبساتين^(٥٦) » ويضيف ياقوت في وصفه لهذا النهر بانه « نهر معروف مشهور وقد اكثر الشعراء من ذكره والآن لا اثر له ولا يعرف البتة^(٥٧) » وحينما اسست بغداد كان يدخل اليها من باب ابي قبيصه ، ويمر الى قنطرة اليهود ويمر الى قنطرة درب الحجارة ويمر الى قنطرة البيمارستان وباب محوّل فيتفرع منه هناك انهار الكرخ كلها^(٥٨) . وكان يتفرع من يسار نهر كرخايا اربعة فروع رئيسه ، ومن يمينه فرع

(٥٤) معجم البلدان - ياقوت ١/٤٦٠ .

(٥٥) سهراب صفحة ١٣٢ والخطيب ١/١١٢ وياقوت ٤/٢٥٢ .

(٥٦) سهراب صفحة ١٣٢ .

(٥٧) معجم البلدان - ياقوت ٤/٢٥٢ .

(٥٨) سهراب صفحة ١٣٢ والخطيب ١/١١٢ .

واحد ، وكان بعض الفروع التي على الجانب الايسر تصب في دجلة والبعض الآخر ينتهي الى الصراة ، اما الفرع الذي يتفرع من الجانب الايمن فكان ينتهي الى نهر عيسى فيصب البقية الباقية من مياهه فيه^(٥٩) .

وكان الفرع الاول من فروع نهر كرخايا الاربعة اليسرى يسمى نهر رزين وصف سهراب مجراه فقال « اذا جاوز كرخايا قنطرة البيمارستان فأول الانهار يقال له رزين فيأخذ من ربض حميد^(٦٠) فيدور فيه ثم يمر الى سويقة ابي الورد^(٦١) ، ثم يمر الى بركة زلز^(٦٢) فيدور فيها ثم يمر الى

(٥٩) دليل خارطة بغداد صفحة ٧٩ .

(٦٠) سمي كذلك نسبة الى حميد بن قحطبة بن شبيب الطائي وهو من القادة العباسيين الذين ساهموا في ارساء الحكم العباسي فهو الذي فتح المدائن عام ١٣٢ هـ وغزى في عام ١٥٢ هـ مدينة كابل مركز الافغان وانتصر عليهم وقد خرج مع عبدالله بن علي على المنصور في الشام ولكنه عاد فرجع قبل الحرب الى صف جيش ابي مسلم الخراساني ، كما ان المنصور ارسله على راس جيش من خمسة آلاف مقاتل للقضاء على ثورة النفس الزكية . كما عينه المنصور واليا على الموصل عام ١٣٧ هـ وعلى مصر عام ١٤٣ هـ .

(٦١) اورد الخطيب روايتان في تاريخه ٨٧/١ و ٨٨ عن اصل تسمية هذه السويقة بسويقة ابي الورد ، فروايته الاولى مفادها انها سميت كذلك نسبة الى (عمر بن مطرف المروزي) الذي كان يلي المظالم في عهد الخليفة المهدي . اما روايته الثانية فقال انها سميت كذلك لان عيسى بن عبدالرحمن كان يقال له ابو الورد وكان مع المنصور .

(٦٢) كان زلز - كما يروي ياقوت في معجمه ٥٩٢/١ - ضرابا على العود ويضرب به المثل بحسن ضربه وكان من الاجواد عاش في ايام المهدي والهادي والرشيد ، وكان غلاما لعيسى بن جعفر بن المنصور . وقد حفر بركة للمياه في موضع قرية سال ووقفها على المسلمين ونسبت البركة والمحلة التي تأسست جانبها اليه فأصبحت تسمى (بركة زلز) .

باب طاق الحراني^(٦٣) ، ثم يصب في الصراة الكبير اسفل من القنطرة الجديدة^(٦٤) ويعرف هذا النهر في مجراه الاسفل باسم نهر ابي عتاب كما ذكر سهراب .

وأما الفرع الايسر الثاني من فروع نهر كرخايا فيسمى (نهر البزازين) الذي «يعطف في شارع المنصور»^(٦٥) ثم يمر الى دار كعب ثم يخرج الى باب الكرخ ثم يدخل البزازين ثم يمر الى الجزارين^(٦٦) ثم يدخل في اصحاب الصابون ثم يصب في دجلة تحت دار الجوز^(٦٧) .

والفرع الايسر الثالث يسمى (نهر الدجاج)^(٦٨) الذي يمر «فيأخذ مادا الى اصحاب القنى ثم يمر الى اصحاب القصب وشارع القيارين ويصب في

(٦٣) اشار اليعقوبي في البلدان صفحة ٢٤٥ بان هذا الطاق موجود في قطيعة عمرو بن سمعان الحراني ، وهناك من يقول ان الذي بنى الطاق رجل من حران كان مولى للمنصور ثم اصبح مقربا للهادي الذي اسند اليه في اواخر خلافته منصب الوزارة .

(٦٤) سهراب صفحة ١٣٢ .

(٦٥) وردت الكلمة في كتاب عجائب الاقاليم السبعة لسهراب (المصور) وكذا وردت في الخطيب طبعة باريس . اما في الخطيب الطبعة المصرية بالقاهرة فقد جاءت (المنصور) وهي الاصح .

(٦٦) تأتي هذه الكلمة على هيئات مختلفة في طبعات سهراب والخطيب فهي تأتي مرة باسم الخزازين واخرى باسم الجزارين ، واصحهما الجزارين اذ انه من المعلوم لدينا كما روى الخطيب ان المنصور حينما نقل اسواق المدورة الى الكرخ جعل سوق الجزارين في اخر الاسواق .

(٦٧) سهراب صفحة ١٣٣ - وقد ورد هذا الاسم في الخطيب طبعة باريس (ابي الجون) وقال عنه الخطيب ٨٤/١ انه من دهاقين بغداد .

(٦٨) سمي النهر بهذا الاسم لان باعة الدجاج كانوا يبيعون الدجاج على جانبيه كما روى اليعقوبي في البلدان صفحة ٢٤٦ .

دجلة في أصحاب الطعام^(٦٩) » .

أما الفرع الرابع الايسر فيسمى نهر القلائين^(٧٠) الذي « يمر مادا الى السواقيين ثم أصحاب القصب ويصب هناك في نهر الدجاج ويصيران نهرا واحدا ثم يمر النهر الكبير من مربعة صالح الى موضع يعرف بنهر طابق^(٧١) ثم يصب في نهر عيسى في موضع يعرف بمشعة الآس بحضرة دار بطيخ^(٧٢) » .
أما الفرع الايمن وهو الفرع الوحيد الذي يتفرع من الجانب الايمن لنهر كرخايا فيسمى (نهر الكلاب) الذي يصب تحت قنطرة الشوك في نهر عيسى^(٧٣) .

ومن الانهار التي كانت تصل مياهها الى موضع بغداد القديم ، نهر دجيل ، الذي يتفرع من الضفة اليمنى لنهر دجلة في مكان ذكره ياقوت اعلى من بغداد بين تكريت وبينها مقابل القادسية^(٧٤) دون سامراء فيسقي كورة

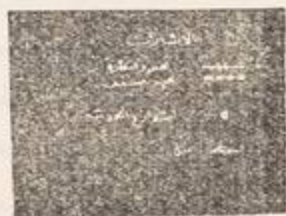
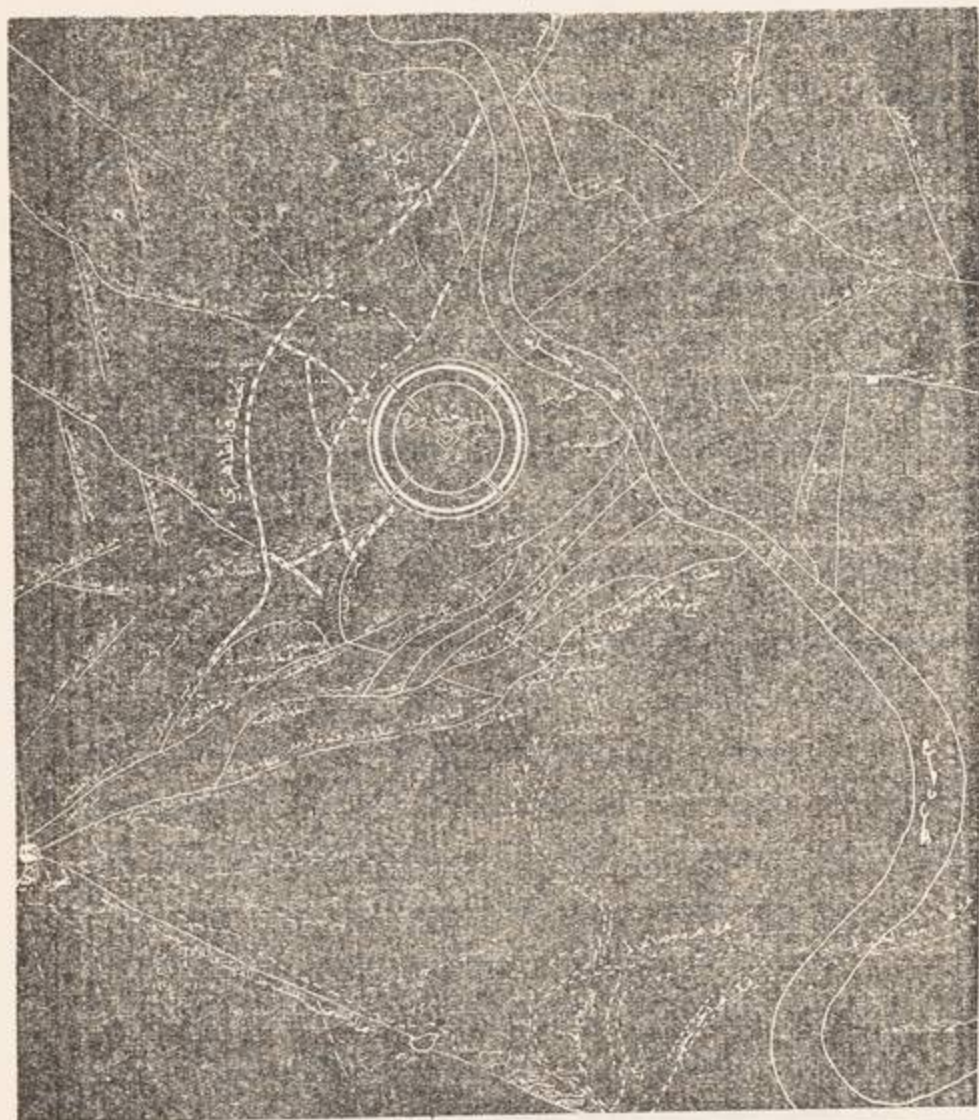
(٦٩) سهراب صفحة ١٣٣

(٧٠) القلائين — كما يقول ياقوت ٨٣٢/٤ — جمع قلاء الذي يقلل السمك وغيره ، وكان هذا النهر يأخذ من كرخايا واصبح موضعه فيما بعد محلة كبيرة في شرقي الكرخ ، وكان في موضع هذه المحلة قبل بناء المدورة قرية (ورثال) .
(٧١) اصبح في موضع هذا النهر بعد بناء المدورة محلة من محال الجانب الغربي لبغداد كما جاء في معجم البلدان ٨٤١/٤ ، وذكر ياقوت ان في سنة ٤٨٨ احرقت محلة طابق وصارت تلولا لفتنة كانت بينهم وبين محلة باب الارحاء .

(٧٢) سهراب صفحة ١٣٣ .

(٧٣) نفس المصدر صفحة ١٣٣ .

(٧٤) القادسية — كما روى ياقوت في المعجم ٩/٤ — انها قرية كبيرة من نواحي دجيل بين حربي وسامراء ويعمل بها الزجاج ، والذي يبدو ان تسمية القادسية قديمة . وقد توسع موضعها بعد ان انشأ الرشيد قصره فيها



(خارطة — رقم ٥)

بغداد في اول ادوارها العباسية كما رسمها ستريك

واسعة وبلادا كثيرة^(٧٥) . ويقع مخرجه في الوقت الحاضر الى جوار اطلال الاصطبلات^(٧٦) وبعد ان يسير مسافة قليلة يتشعب الى فرعين رئيسين يسير احدهما في الاتجاه الجنوبي الشرقي نحو قرية سميكة الحالية مخترقا ناحية مسكن القديسة حتى يصل الى مدينة بغداد الغربية^(٧٧) . وقد وصف ياقوت هذا النهر بانه « يسقي كورة واسعة وبلادا كثيرة ... ثم تصب فضله في دجلة^(٧٨) » وكان ابن عبدالحق في مراصد الاطلاع ادق من ياقوت في مصب دجيل فقال بانه يصب في الطاهرية^(٧٩) .

ويسمى الفرع الذي ينتهي الى موضع مدينة بغداد باسم (نهر بطاطيا) قال سهراب^(٨٠) انه يحمل من اسفل فوهة دجيل بستة فراسخ يسر فيسقي ضياعا وقرى ويسر في وسط مسكن^(٨١) . والذي يظهر مما رواه سهراب

وتوسعت اكثر حينما شرع المعتصم بناء مدينته في سامراء .

(٧٥) معجم البلدان - ياقوت ٥٥٥/٢ .

(٧٦) الاصطبلات - مباني تقع امام مدينة المعتصم في الضفة الغربية من دجلة على بعد حوالي خمسة عشر كيلو مترا من مدينة سامراء الحالية جنوبا، وهي المنشآت العسكرية التي اقامها المعتصم لجنوده والاصطبلات التي بناها لخيله ، وتتألف هذه المنشآت من حيث الاساس من مستطيل صغير متصل بمستطيل كبير ، وان كلا المستطيلين محاطان بسور مدعوم بابرّاج . (لوصف الكامل لهذا المعسكر يراجع نشرة مديرية الآثار العراقية عن سامراء) .

(٧٧) دليل خارطة بغداد صفحة ٩٩ وفيضانات بغداد صفحة ٢١٥

(٧٨) معجم البلدان - ياقوت صفحة ٥٥٥ .

(٧٩) الطاهرية - كما جاء في معجم البلدان لياقوت ٤٩٤/٣ - قرية ببغداد يستنقع فيها الماء في كل عام اذا زادت دجلة فيظهر فيها السمك المعروف بالبني فيضمنه السلطان بمال وافر .

(٨٠) سهراب صفحة ١٣٤ والخطيب صفحة ١١٣ و ١١٤ .

(٨١) مسكن - وهو كما جاء في معجم البلدان لياقوت ٥٢٩/٤ - بانه

عن نهر بباطيا ، انه كانت له ثلاثة فروع تسقي مسوج قطربل ومنطقة الحرية التي انشئت في العهد العباسي ، وهذه الفروع الثلاثة أصبحت تعبر بعد عهد بناء المدينة المدورة فوق الخندق الطاهري (٨٢) .

موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجائليق وبه كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير في سنة ٧٢ فقتل مصعب .
(٨٢) خندق طاهر - وصف هذا الخندق سهراب في الصفحة ١٣١ و ١٣٢ ، ونقل عنه الخطيب في ١١٢/١ وابن الجوزي في مناقب بغداد صفحة ١٨ و ١٩ ان اوله من نهر الصراة اسفل من فوهته بفروسخ يمر فيسقي الضياع ويدور حول مدينة السلام مما يلي الحربية فيمر الى باب الانبار وعليه هناك قنطرة ثم يمر الى باب الحديد وعليه هناك قنطرة ويمر الى باب حرب وعليه هناك قنطرة ويمر الى باب قطربل وعليه هناك قنطرة رحا ام جعفر ويمر وسط قطعة ام جعفر ويصب في دجلة فوق دار اسحاق بن ابراهيم الطاهري بشيء يسير . اما ياقوت في معجمه ٣/٣٧٧ و ٣٧٨ - فقد اخطأ في تعيين مصب خندق طاهر حيث جعل مصبه في دجلة امام باب البصرة . وقد صحح صاحب (مراسد الاطلاع) في ٢/٨٣٦ و ٨٣٧ - فقال معلقا على كلام ياقوت (هذا غلط) فان خندق طاهر هذا هو الذي يسمى الطاهريه وهو درب يأخذ فضلة الماء اذا كثر وعليه قنطرة الحربية وقنطرة اخرى تحتها الى دجلة عند محلة القطيعه وهي محلة كانت مقابل باب التين . . وكان الخندق يصب فوقها واما الذي يصب عند باب البصرة فهو نفس الصراة . والذي يظهر ان هذا الخندق قد حفر بعد عهد المنصور ، ومن المرجح انه منسوب كما يشير ياقوت في معجمه ٣/٣٧٧ و ٣٧٨ - انه منسوب الى طاهر بن الحسين . وهو قائد جيوش المأمون الذي اشتهر بحصاره لبغداد وقضائه على الخليفة الامير في عام ١٩٨ هـ .

ولعل الخندق الطاهري كما يذكر مؤلفا دليل خارطة بغداد صفحة ٧٨ - قد فتح لاغراض عسكرية ترمي الى احاطة الماء بمدينة المنصور من

والفرع الاول يحمل من نهر بطاطيا اسفل من جسر بطاطيا بشيء يسير
يجيء نحو مدينة السلام فيعبر قنطرة باب الانبار ثم يدخل بغداد من هناك
فيمر في شارع باب الانبار ويمر في شارع الكبش ويفنى هناك . والفرع
الثاني كما يروي سهراب اسفل من الفرع الاول يجيء نحو بغداد فيمر على
الخندق الطاهري من عبارة الكرخ بين باب حرب وباب الحديد ويمر في
شارع دجيل الى مربعة الفرس ويتفرع منه هناك فرع يقال له دكان الانباء
وفينى هناك . اما الفرع الثالث فيمر على قنطرة باب حرب ويدخل الى بغداد
بعد ذلك منها (٨٣) .

كافة اطرافها فتكون على شكل جزيرة تحيط بها المياه من كل جانب اذ
تحدها دجلة من الشرق والصراة من الجنوب والخندق الطاهري من الغرب
والشمال وذلك زيادة على الخندق الذي يدور حولها ومما يدل على ذلك انه
سمي باسم «خندق» لا نهر .
(٨٣) انظر سهراب صفحه ١٣٤ .

الفصل الثالث

قرى بغداد الغربية

يلاحظ ان طسوج قطربل وطسوج بادوريا كانت فيهما بعض لقرى والاديرة قبل ان يبني المنصور مدينته ، وقد استوطن المسلمون في بعض اماكن هذه المنطقة بعد احتلالهم للعراق ، اذ يشير المؤرخون العرب الى امتلاك قوم من المسلمين اراضي تقع الى الشمال من نهر الصراة الكبرى . وقد اطلقوا على هذه الاراضي اسما عربيا ، ويروى الطبري بسنده « ان مدينة أبي جعفر المنصور كانت قبل بنائها مزرعة للبغداديين يقال لها المباركة وكانت لستين نفسا منهم فعوضهم عنها وارضاهم » (١) .

وكانت ثمة قرية قريبة الى (مزرعة المباركة) تسمى قرية (الخطابية) ثبت أحمد سوسة موقعها الى الجنوب الغربي من مزرعة المباركة (٢) . ووصف الطبري موقعها من المدينة المدورة فروى بسنده قال « كان حول مدينة أبي جعفر قرى قبل بنائها فكان الى جانب باب الشام قرية يقال لها الخطابية على باب درب النورة الى درب الاقفاص (٣) وكان بعض نخلها في شارع باب الشام الى أيام المخلوع (٤) في الطريق حتى قطع في أيام الفتنة وكانت الخطابية

(١) الطبري - ٦ / ٢٣٨ .

(٢) اطلس بغداد - احمد سوسة صفحة ٢ و ٣ .

(٣) وكان في درب الاقفاص - كما روى اليعقوبي في البلدان صفحة ٢٤٦ -

قطيعة هاشم بن معروف اقطعها له المنصور بين باب الكوفة وباب الشام .

(٤) المخلوع - وهو الخليفة العباسي الامين سمي بالمخلوع على اثر

اصطدام جيشه بقيادة علي بن عيسى مع جيش اخيه المأمون بقيادة طاهر بن

هذه لقوم من الدهاقين يقال لهم بني فروه وبني قنورا ^(٥) .
 وكان الى الشمال من قرية الخطابية ، قرية أخرى تسمى (قرية الشرفانية)
 قال عنها الطبري « ولها نخيل قائم الى اليوم مما يلي قنطرة أبي الجون » ^(٦) .
 واصبح موقعا بعد بناء المدينة المدورة بقرب قنطرة أبي الجون ^(٧) كما روى
 ياقوت ^(٨) .

وكان الى الشمال من قرية الشرفانية قرية تسمى (الوردانية) اقيمت
 فيها بعد تأسيس مدينة بغداد مربعة ابي العباس الفضل بن سليمان
 الطوسي ^(٩) . وهناك قرية أخرى في طسوج قطربل ، تقع في شرقي مزرعة
 المباركة ، على مقربة من مصب نهر الصرافة العظمى بنهر دجلة تدعى (قرية
 سونايا) ويتبين من رواية صاحب مراصد الاطلاع ان اسمها قد تبدل الى
 اسم آخر وهو العتيقة ، وجاء في وصفه لها قوله « قرية قديمة كانت في

الحسين في الري عام ١٩٥ هـ . وحينما تم النصر لظاهر بعث الى المأمون
 كتابا يخبره بالنصر ، فجلس المأمون للناس حيث اخذوا يهتفونه ويدعون له
 بالعز والنصر ويقال انه في ذلك اليوم خلع محمد الامين ودعا الخلافة لنفسه ،
 ومنذ ذلك الحين سمي الامين بالملخوع .

(٥) الطبري - ٦ / ٢٣٩ .

(٦) نفس المصدر - ٦ / ٢٣٩ .

(٧) نسبة الى دهقان فارسي كانت له القرية التي نحن بصدد البحث عنها
 وهي الشرفانية وهي قرية كانت موجودة قبل تأسيس المنصور لبغداد وصارت
 فيها دار سعيد الخطيب في العهد العباسي .

(٨) معجم البلدان - ياقوت ٣ / ٢٧٧ .

(٩) روى الطبري في ٦ / ٢٣٩ - انه ذكر عن محمد بن موسى ابن الفرات
 ان القرية التي في مربعة ابي العباس كانت قرية جده من قبل امه وانهم من
 دهاقين يقال لهم بنو زراري وكانت القرية تسمى الوردانية .

بغداد ينسب العنب الاسود اليها الذي يتقدم ويكر على سائر العنب مجناه، ولما عمرت بغداد دخلت في العمارة وصارت محلة من محالها وهي العتيقة وبها مسجد لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه يعرف بشهد المنطقة^(١٠) واطاف ياقوت بان هذه المحلة قد درست في وقته « (١١) » .

ولا زال مسجد المنطقة الحالي يمثل موضع هذه القرية .
القرى السابقة التي ذكرناها ، تقع جميعها ضمن اراضي طسوج قطربل ، شمال نهر الصراة العظمى ، واما قرى طسوج بادوريا ، فتقع جنوبي نهر الصراة العظمى .

من أهم هذه القرى ، قرية (براتا) وتقع عند البقعة التي يفصل فيها نهر كرخايا عن نهر الرقيل^(١٢) ويرتقي تاريخ هذه القرية الى الفترة التي سبقت عهد تأسيس مدينة بغداد^(١٣) . وحينما تم بناء المدينة المدورة وتوسعها الى خارج اسوارها اندمجت هذه القرية مع محالها الكثيرة ، واشتهرت بعد ذلك اكثر من القرى الاخرى ، وذلك لوقوع جامع براتا في موضعها ، وقد وصف ياقوت هذه المحلة فقال « محلة كانت في طرف بغداد في قبلة الكرخ وجنوبي باب محول وكان لها جامع مفرد تصلي فيه الشيعة ، وقد خرب عن آخره وكذلك المحلة لم يبق لها اثر ، فأما الجامع فادركت أنا بقايا من حيطانه وقد خربت في عصرنا واستعملت في الابنية ، وفي سنة ٣٢٩ فرغ من جامع براتا ، واقامت فيه الخطبة ، وكان قبل مسجدا يجتمع فيه قوم

١٠. مرصد الاطلاع - ابن عبد الحق ٢ / ٧٥٧ .

١١. معجم البلدان - ياقوت ١٩٧/٣ .

١٢. انظر الخارطة رقم (١) المرفقة مع هذه الرسالة .

١٣. معجم البلدان - ياقوت ١ / ٥٣٢ .

من الشيعة يسبون الصحابة فكبسه الراضي بالله^(١٤) واخذ من وجد فيه وجسهم وهدمه حتى سوى به الارض . وانهى الشيعة خبره الى بجكم^(١٥) امير الامراء ببغداد فأمر باعادة بنائه وتوسيعه واحكامه وكتب في صدره اسم الراضي ولم تزل الصلوات تقام فيه الى بعد الحسين واربعمئة ثم تعطلت الى الآن^(١٦) .

ومن القرى المهمة في منطقة طسوج بادوريا (قرية الكرخ)^(١٧) ، وتعتبر هذه القرية من القرى المهمة فقد نسبت اليها المباني التي شادها المنصور

(١٤) هو الخليفة العباسي محمد الراضي بالله ابن المقتدر حكم من سنة ٣٢٢ حتى ٣٢٩ هـ . وجاء في الخطيب ١ / ١٠٩ ان امر مسجد برانا رفع الى المقتدر بالله ان الرافضة يجتمعون في ذلك المسجد لسب الصحابة والخروج عن الطاعة فأمر بكبسه يوم جمعة وقت الصلاة فكبس واخذ من وجد فيه فعوقبوا وجسوا حسب طويلا وهدم المسجد حتى سوى بالارض وعفي رسمه ووصل بالمقبرة التي تليه ومكث خرابا الى سنة ثمان وعشرين وثلاثمئة فأمر الامير بجكم باعادة بنائه وتوسيعه واحكامه .

(١٥) روى ابن مسكويه في تجارب الامم صفحة ٣٦٥ - انه في سنة ٣٢٥ هـ قلد محمد بن رائق وهو امير الامراء ابا الحسين بجكم الشرطة بمدينة السلام ويروي ابن مسكويه ان في سنة ٣٢٦ هـ لقي بجكم الخليفة (الراضي بالله) فقلده الخليفة امرة الامراء مكان محمد بن رائق . وفي عام ٣٢٩ قتل بجكم .

(١٦) معجم البلدان - ياقوت ١ / ٥٣٢ .

(١٧) هناك بعض المواضع تحمل اسم الكرخ ، فمثلا كرخ باجدا ، وكرخ البصرة ، وكرخ سامراء ، وكرخ خوزستان . اما اصل كلمة الكرخ فيذكر ياقوت في معجمه ٢٥٢/٤ - بانها ليست عربية وانما نبطية . وهناك من يظن ان اصلها آرامي معناه (المدينة المحصنة) كما جاء في دائرة المعارف الاسلامية المترجمة ٢ / ٧٦٣ . كما ان هناك من يقول ان اصلها يوناني Charcha , Charase , Careh

ثم عربت الى الكرخ وتعني المكان المسيج .

خارج اسوار المدورة للاسواق ، ثم اصبحت بعدئذ محلة كبيرة ، تنقل المؤرخون اخبارها في المؤلفات والكتب التي صنفوها فقد قال عنها الصابي بانها كانت تتألف من اثنتي عشرة قرية^(١٨) .

والى الجنوب من نهر الصراة العظمى رستاق يدعى (الفروسيج)^(١٩) ويشتمل هذا الرستاق على ثلاثة قرى تسمى الاولى (قرية سال) وموقعها بين قرية الكرخ والصراة وباب المحول وسويقة ابي الورد ، كما روى ياقوت^(٢٠) . وقد اقيمت في موضع هذه القرية في العهد الذي عقب بناء مدينة المنصور ، بركة تدعى بركة زلزل .

واما القرية الثانية فكانت تسمى (قرية ورثالا)^(٢١) التي كانت تسمى من أحد فروع نهر كرخايا المسمى بنهر القلائين ، وانشئت في هذا الموضع محلة في عهد المنصور نسبت الى النهر فدعيت محلة القلائين^(٢٢) . أما القرية الثالثة فكانت تعرف باسم (قرية بناورا) والذي يبدو من احدى روايات الخطيب ان قطيعة الربيع^(٢٣) اقيمت في موضع هذه القرية ، فقد روى الخطيب ان قطيعة الربيع كانت « مزارع للناس من قرية يقال لها بناورى من رستاق الفروسيج من بادوريا اسمها الى الساعة معروف في

(١٨) تحفة الامراء فى تاريخ الوزراء - الصابى صفحة ٢٨١ .

(١٩) الفروسيج - موضع من طسوج بادوريا تحت الصراة العظمى ، وحينما بنى المنصور ادخل - كما يروى ياقوت فى معجمه ٢ / ٨٨٦ - اكثر هذا الموضوع فى عمارتها .

(٢٠) معجم البلدان - ياقوت ١ / ٥٩٢ .

(٢١) نفس المصدر - ٤ / ٨٤٣ .

(٢٢) نفس المصدر ٤ / ٨٤٣ .

(٢٣) الربيع - وهو الربيع بن يونس حاجب الخليفة ابي جعفر المنصور .

الديوان» (٢٤) •

وكان الى الجنوب من نهر الصراة العظمى موضع يدعى (سوق بغداد) ولسوق بغداد هذه أهمية تاريخية كبيرة ، وذلك لان مدينة ابي جعفر المنصور سميت بنفس الاسم الذي كان يطلق على تلك السوق • وجاءنا ذكر هذه السوق في تأريخ بغداد للخطيب وما نقله عنه ابن الجوزي في مناقب بغداد حيث قال « ان اسم بغداد كان يعرف به قديما قبل المنصور، وكانت بغداد في ايام مملكة العجم قرية تقوم بها للفرس في كل سنة سوق عظيمة ويجتمع بها في ذلك الموسم التجار فلما توجه المسلمون الى العراق وفتحوا أول السواد ذكر للشئ بن حارث الشيباني أمر سوق بغداد فقصدها » (٢٥) •

وقد وصف ياقوت هذا الحادث نفسه فقال « قال أهل الحيرة للشئ ان بالقرب منا قرية تقوم فيها سوق عظيمة في كل شهر مرة فيأتيها تجار فارس والاهواز وسائر البلاد يقال لها بغداد » (٢٦) (انظر مواضع هذه القرى في الخارطة رقم ١) •

وبالإضافة الى موضع سوق بغداد ، كانت هناك قرية تحمل اسم بغداد ايضا تسمى (قرية بغداد) وكان موقع هذه القرية على نهر الصراة ، والذي يؤيد ذلك ما جاء في الطبري نقلا عن حماد التركي « ان المنصور بعث رجلا يطلبون له موضعا يبني فيه المدينة فوق اختيارهم على موضع بغداد قرية على شاطئ الصراة مسا يلي الخلد » (٢٧) وفي امكاننا تحديد مكان قرية

(٢٤) الخطيب ٨٨/١ •

(٢٥) الخطيب ٢٥/١ وما بعدها ومناقب بغداد صفحة ٦ و ٧ •

(٢٦) معجم البلدان - ياقوت ١ / ٦٧٩ •

(٢٧) الطبري - ٦ / ٢٣٧ •

بغداد هذه ، بانها تقع الى الجنوب من نهر الصراة في طسوج بادوريا ، ومن المعلوم ، كما مر بنا سابقا ، ان هذا الطسوج كان في جنوب نهر الصراة ، وفي قرية بغداد قال اليعقوبي « ولم تكن بغداد مدينة في الايام المتقدمة نعني ايام الاكاسر والاعاجم وانما كانت قرية من قرى طسوج بادوريا » (٢٨) .

ومن القرى الاخرى التي كانت موجودة في موضع بغداد القديم ، قرية كانت تعرف باسم (قطفتا) (٢٩) ، وقد احتفظت باسمها بعد تأسيس المنصور لمدينة بغداد ، واقيمت في نفس موضعها محلة عرفت باسم (قطفتا) ، وجاء في كتاب اثبات الوصية للمسعودي ان الإمام علي « اجتاز في طريقه الى الشام ببادورنا » (٣٠) فخرج أهل قرية يقال لها قطفتا فشكوا اليه ثقل الوضائع في الخراج وانها مخالفة لساير وضائع السواد بالعراق » (٣١) ووصف ياقوت محلة قطفتا في معجمه فقال عنها « وهي محلة كبيرة ذات اسواق بالجانب الغربي من بغداد مجاورة لمقبرة الدير التي فيها قبر الشيخ معروف الكرخي رضي الله عنه ، بينها وبين دجلة اقل من ميل ، وهي مشرفة على نهر عيسى الا ان العبارة بها متصلة الى دجلة » (٣٢) .

(٢٨) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٣٥ .

(٢٩) قال ياقوت - في معجمه ١٣٧/٤ - عن اصل كلمة قطفتا بانها عجمية ولا اصل لها في العربية . وجاء - في مجلة لغة العرب ٥٨٣/٨ - ان اصل كلمة قطفتا آرامي معناها ما يقتطف او قطافة وسميت كذلك لما كان فيها من وفرة البساتين والثمار .

(٣٠) يقصد بها بادوريا .

(٣١) اثبات الوصية - المسعودي صفحة ١٥٠ (ويقصد بثقل الوضائع ،

اي كثرة ما فرض عليهم من خراج) .

(٣٢) معجم البلدان - ياقوت ١٣٧/٤ ومراسد الاطلاع - ابن عبدالحق

وكان عند مصب نهر الرفيل في دجلة ، قصر ساساني كان يعرف باسم قصر سابور ، وقد نصب عنده جسر يصل الجانب الشرقي بالغربي من دجلة . وقد ذكر البلاذري ان المسلمين عبروا هذا الجسر عند غزوهم لهذه المنطقة في عام ١٢ هـ فقال « ثم عبر المسلمون جسرا كان معقودا عند قصر سابور » (٣٣) وبعد تأسيس مدينة بغداد انشأ عيسى عم المنصور قصرا في موضع قصر سابور المذكور ونسب اليه فسمي « قصر عيسى » وهذا موضح في رواية البلاذري التي ذكر فيها بان « قصر سابور الذي يعرف اليوم بقصر عيسى بن علي » (٣٤) .

واشار ياقوت بان قصر عيسى هو اول قصر بناه الهاشميون في ايام المنصور ببغداد وكان على شاطئ نهر الرفيل عند مصبه في دجلة (٣٥) والذي يبدو ان آثار هذا القصر قد زالت عن الوجود في عصر المؤرخ ياقوت الذي ذكر بانه « ليس للقصر اثر الآن انما هناك محلة كبيرة ذات سوق تسمى قصر عيسى » (٣٦) .

وكان في شمال قرية الخطاية في طسوج قطربل دير يعرف باسم (دير بستان القس) ويفهم من رواية الطبري (٣٧) ان صاحب هذا الدير احد الذين استدعاهم المنصور وسألهم عن مواضعهم فأخبره كل واحد منهم بما يعرف عن منطقته .

وكان على نهر الصراة العظمى ، في الزاوية المكونة من مصب نهر

(٣٣) فتح البلدان - البلاذري صفحة ٢٥٠ .

(٣٤) نفس المصدر - صفحة ٢٥٠ .

(٣٥) معجم البلدان - ياقوت ٤ / ١١٧ .

(٣٦) نفس المصدر ٤ / ١١٧ .

(٣٧) الطبري - ٦ / ٢٣٤ .

الصراة الصغرى بنهر الصراة العظمى^(٣٨) طاحونه تسمى (رجا البطريق)^(٣٩) وقد روى الطبري ايضا ، ان صاحب هذه الرجا كان من جملة من استدعاهم المنصور ليستنير برأيهم ، وقد نسبت هذه الرجا الى بطريق وفد مهنسا الخليفة المهدي ، ثم بنى في هذا الموضع الارحاء التي نسبت اليه^(٤٠) .
ومن الاديرة المهمة في منطقة طسوج قطربل ، دير كان يعرف باسم (دير مار فيثيون) وهو كما جاء في رواية اليعقوبي عند (قرن الصراة) أي عند مصب نهر الصراة العظمى بنهر دجلة وفي هذا يقول اليعقوبي « ولم يكن ببغداد الا دير على موضع مصب الصراة الى دجلة الذي يقال له قرن الصراة وهو الدير الذي يسمى الدير العتيق قائم بحاله الى هذا الوقت نزله الجاثليق رئيس النصارى النسطورية »^(٤١) .

ونستدل من رواية الطبري بان المنصور في اثناء بحثه عن موضع يبني فيه المدينة ، قد نزل (الدير الذي) هو حذاء قصره المعروف بالخلد فدعا بصاحب هذا الدير^(٤٢) وتاريخ بناء هذا الدير كما يظهر من احدى الروايات التاريخية سابق لعهد بناء المدينة المدورة ، وقد ورد ذكره في اخبار الجاثليق (سبريشوع) الثاني المتوفي عام ٨٣٩ م انه (نزل بالدير الكبير وأحب

(٣٨) انظر الخارطة رقم ١ في هذه الرسالة .

(٣٩) موضع هذه الرجا كما اشار اليعقوبي في البلدان صفحة ٢٤٣ انه في آخر العباسية تجتمع الصراتان والرجا العظمى التي يقال لها رجا البطريق وكانت مائة حجر تغل في كل سنة مائة الف الف درهم هندسها بطريق قدم من ملك الروم فنسبت اليه . والرجا كما ذكر ياقوت في معجمه ٧٥٧/٢ الرجا التي يطحن بها .

(٤٠) الخطيب - ٩١/١ و ٩٢ ومعجم البلدان - ٧٥٩/٢ .

(٤١) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٣٥ .

(٤٢) الطبري - ٢٣٥/٦ .

تجديد بناء دير مارفثيون في العتيقة وكان بناؤه في أيام الفرس قبل بناء بغداد مجاورا لعمر صليبا (٤٣) . وكما نلاحظ من نص رواية الجاثليق سبريشوع الثاني السابقة : ان هناك ديرًا مجاورا لدير مارفثيون كان يعرف باسم (عمر صليبا) .

ومن الاديرة القديمة في منطقة بغداد ، دير آخر يدعى (دير الجاثليق) (٤٤) والظاهر انه كان هناك ديران بهذا الاسم احدهما في بغداد وثنائهما في شمالها وقد وصف الشابشتي هذا الدير فقال عنه انه (دير كبير حسن ، نزه ، تحديق به البساتين والاشجار والرياحين ... وهو مقصود مطروق لا يخلو من المتزهين فيه والقاصدين له) (٤٥) وقد كان يسمى هذا الدير ايضا باسم (دير كليشوع) او (دير مر-او مار -) كليشوع (٤٦) وقد تحرفت هذه اللفظة في مراصد الاطلاع الى (كليسيك) (٤٧) ويذكر الاستاذ كوركيس عواد بان هذا هو المصدر الاسلامي الوحيد الذي ذكر الدير بهذه التسمية (٤٨) .

(٤٣) فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجلد لعمر بن متى الطبرهاني
صفحة ٦٩ .

(٤٤) الجاثليق - كما ورد في الديارات للشابشتي صفحة ١٨ - لفظ يوناني catholicos معناه العمومي والمراد به الرئيس الديني عند الكلدان والناصرة في أيام الملوك الساسانيين والخلفاء العباسيين ويقابله في وقتنا هذا البطريك .

وهذا التعليق لمحقق الكتاب السيد كوركيس عواد .

(٤٥) الديارات - الشابشتي صفحة ١٨ .

(٤٦) كليشوع لفظه سريانية معناها اكلي يسوع .

(٤٧) مراصد الاطلاع - ابن عبد الحق ١/٢٢٦ .

(٤٨) الديارات - الشابشتي صفحة ٢١ .

وفي منطقة بغداد الغربية ، دير آخر كان يعرف باسم (دير مديان)^(٤٩)
يقع في طسوج بادوريا على نهر كرخايا كما روى الشابشتي^(٥٠) (انظر
مواضع هذه الدير في الخارطة رقم ١ المرفقة مع هذه الرسالة) .

(٤٩) مديان - لفظة سرمانية معناها كما جاء في دليل الراغبين صفحة

۳.۴ - مودیانی ای المعترفین .

الباب الرابع

اختیار موقع بغداد

الباب الرابع
اختيار موقع بغداد

وفي مقدمة هذا التولية ، من آخر كل بوليفي باسم (دير مديان)^(١٣١)
 يقع في المروج بالديور على البحر الزخابة كطالوت الشايفيني^(١٣٢) (انظر
 بوليفي هذه التولية في التولية وفي المراجعة مع هذه التولية) .

والله بالبا عاتق وقاه باليتا

(١٣١) مديان - هذه التولية مستقلة كما جاء في دليل الزمان مستقلة
 (١٣٢) - مديان - في المراجعة ، هذه التولية مستقلة
 (١٣٣) - مديان - في المراجعة ، هذه التولية مستقلة

الفصل الاول

العواصم العباسية قبل بغداد

١ - الكوفة :

لم تكن الظروف في اول الامر ، عند قيام الدولة العباسية موالية للحكام الجدد لبناء عاصمة ملكهم الواسع فقد انشغلوا في فجر عهد دولتهم بتثبيت اركان الدولة الجديدة وتوطيدها ، والذي يبدو ان جو الكوفة السياسي ، في الدور السري للدعوة العباسية ، كان مساعدا في جعلها مركزا طيبا للدعوة وتوسيع آراء الدعاة السياسية ، وقد استفاد ممثلو الإمام^(١) الذين يقيمون في الكوفة من كره الكوفيين لبني امية وسعيهم لتجريد الامويين من الخلافة . والظاهر ان المختار بن ابي عبيد الثقفي كان قد ادرك هذا الكره ، فخرج على الامويين ، وذهب الى الكوفة ثائرا في عام ٦٦ للهجرة^(٢) .

وحينما تم النصر للجيش العباسي في خراسان^(٣) وفي العراق بعد

(١) الامام - وهو ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

وقد جاء في التنبيه والاشراف للمسعودي صفحة ٢٣٨ - انه لما حضرت محمدا (محمد بن الحنفية) الوفاة اوصى الى ابنه ابراهيم وسمي الامام - وقد قبض الخليفة الاموي مروان بن محمد على الامام ابراهيم بعد ان كشف امره وحبسه في سجن حران حتى مات فيه ويقال انه اوصى بالامامة الى اخيه عبد الله ابن محمد بن علي (ابو العباس السفاح) وهو ابن الحارثية .

(٢) الطبري - ٤ / ٤٨٧ الى ٥٠١ .

(٣) راجع الطبري ٦ / الصفحات من ٢٢ حتى ٥٤ . ومروج الذهب

هزيمة ابن هبيرة^(٤) دخل الجيش العباسي مدينة الكوفة^(٥) ، ثم جاء ابو العباس فنزل اول الامر الكوفة^(٦) .

وفي الكوفة تمت بيعة ابي العباس السفاح ، وكانت بيعته في دارالوليد ابن سعد الازدي^(٧) . وبعد ان بايعه ابو سلمة الخلال « أمره ابو العباس بالانصراف الى عسكره ، فأصرف من ليلته فأصبح الناس قد لبسوا سلاحهم واصطفوا لخروج أبي العباس ، وأتوه بالدواب فركب ومن معه من أهل بيته حتى دخلوا قصر الامارة بالكوفة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر ثم دخل المسجد »^(٨) ثم القى خطبته المشهورة في هذا المسجد^(٩) . وبعد الخطبة خرج ابو العباس السفاح « فعسكر بحمام أعين »^(١٠) في عسكر أبي سلمة ... وأقام في العسكر شهرا ثم ارتحل فنزل المدينة الهاشمية في قصر الكوفة^(١١) وبهذا تكون الكوفة ، أول موضع ظهر فيه اسم الخليفة الجديد ، ومنها شاع اسمه الى بقية المدن والاقاليم الاسلامية الاخرى ، ومن

للمسعودي ٢٥٤/٣ .

(٤) الطبري - ٧٢/٦ .

(٥) المصدر نفسه ٧٥/٦ .

(٦) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٣٧ .

(٧) تاريخ اليعقوبي - ٤١٨/٢ .

(٨) الطبري - ٨٧/٩ .

(٩) انظر نص خطبة ابي العباس السفاح في تاريخ اليعقوبي ٤١٩/٢ و

٤٢٠ .

(١٠) حمام اعين - معسكر للجند بالكوفة على بعد ثلاثة فراسخ منها

كما روى الطبري . وسمي كذلك كما يقول البلاذري في فتح البلدان صفحة

٢٨٠ - نسبة الى اعين مولى سعد بن ابي وقاص .

(١١) الطبري - ٨٧/٦ .

هنا كانت أهمية الكوفة في صدر التاريخ العباسي ، ومبعث هذه الأهمية نزول أبي العباس بها في عام ١٣٢ هجرية (١٢) .

وكما سوف نوضحه في الصفحات التالية ، أنه نزل بعدئذ في مدينة ابن هبيرة ، ثم تحول منها فبنى المدينة الهاشمية ، ثم ان المنصور بنى بظهر الكوفة مدينة سماها الرصافة (١٣) نزلها عدة مرات (١٤) . ولا يعرف موقع هذه المدينة على وجه التأكيد (١٥) كما أن الكثير من الدعاة العباسيين ومؤيديهم قد سكنوها أو زاروها ، وليس من المحال أو المستبعد في شيء ان يستفيد المنصور من تخطيط الكوفة وعمائرها حينما بدأ تخطيط مدينتهم المدورة .

ب - الهاشمية :

روى البلاذري ان (يزيد بن عمر بن هبيرة بنى مدينة بالكوفة على الفرات ونزلها ومنها شيء يسير لم يستتم فأتاه كتاب مروان يأمره بأجتناب مجاورة أهل الكوفة فتركها وبنى القصر الذي يعرف بقصر ابن هبيرة بالقرب من جسر سورا (١٦) . فلما ظهر امير المؤمنين ابو العباس نزل تلك المدينة

(١٢) تاريخ اليعقوبي - ٢ / ٤١٣ .

(١٣) فتوح البلدان - البلاذري صفحة ٢٨٥ والطبري - ٦ / ٢٣٤ .

(١٤) الطبري - ٦ / ٢٤٨ .

(١٥) مجلة كلية الآداب - لسنة ١٩٦٢ (منطقة الحيرة . بحث للدكتور

صالح احمد العلي صفحة ٢٥ و ٢٦ .

(١٦) جسر على نهر سورا - كما جاء في سهراب صفحة ١٢٤ - ونهر

سورا هو قسم من نهر الفرات ، وهو اعظم من الفرات واعرض ، ويمر بقرى وضياح ويتفرع منه انهار كثيرة تسقي طسوج سورا ، ثم يمر بازاء مدينة قصر ابن هبيرة وبينهما اقل من ميل وعلى هذا النهر جسر هو جسر سورا .

واستتم مقاصير فيها وأحدث فيها بناء وسماها الهاشمية (١٧) . ولم يمكث أبو العباس السفاح كثيرا في هذه المدينة ، إذ يلوح لنا بصراحة من رواية البلاذري أن الخليفة العباسي الأول قد ضاق ذرعا بالتسمية التي اقتشرت عن القصر الذي أقامه ابن هبيرة ولم يتنه ، فأتته هو ، حاسبا أن سكناه فيه ، وتسمته لبنائه سوف تنسي الناس اسم بانيه الأول ، فتطلق عليه اسم عائلته ، ومن الواضح أن رغبة الخلفاء أو الملوك أو الإباطرة كانت عظيمة في تخليد ذكراهم عن طريق إنشاء مدينة أو قصر أو معبد ديني . لهذا فإن الحاح الناس الذين كانوا ينسبونونها إلى ابن هبيرة آنذاك (١٨) ، جعل السفاح يقول « ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنها فرفضها » (١٩) . لذلك أحجم عن سكنائها والإقامة فيها « وبني بحيالها المدينة الهاشمية » (٢٠) .

وأبو العباس الذي عاصر الدعوة العباسية في طورها السري والعلني ، وخبر الرجال ، واكتسب مع مرور السنين معرفة بالنوايا الحسنة والسيئة كان قد أدرك أنه من الصعب عليه أن يركن إلى الكوفيين بعد إعلان الدولة ومبادئها .

وإن كانت الكوفة بيئة صالحة لنشر المبادئ العباسية طيلة الفترة السرية فإن الأمر أصبح يختلف كل الاختلاف بعد هذه الفترة ، لذا خشي أبو العباس أن يقيم بين الكوفيين كثيرا فأثر أن يعيش بين جنده الخراسانيين في معسكر حمام عين ومنه كان يدير شؤون الدولة السياسية والإدارية والعسكرية ،

(١٧) فتوح البلدان - البلاذري . صفحة ٢٨٥ .

(١٨) جاء في نفس المصدر صفحة ٢٨٥ (فكان الناس ينسبونونها إلى ابن

هبيرة على العادة) .

(١٩) المصدر السابق .

(٢٠) المصدر السابق .

وأشد ما كان يخشاه أبو العباس في تلك الفترة هو تعاظم الدعوة إلى العلويين .
هذه الدعوة التي كانت تجد صدى بعيد الأثر وتأيدا كبيرا في الكوفة
وبعض الأقاليم والمدن الإسلامية الأخرى ولا يغرب عن البال ، أن بعض
المؤيدين للدعوة العلوية كان من الدعاة الذين قامت على اكتافهم الدولة
الجديدة ، فأبو سلمة مثلا كما يذكر فلهاوزن (ميسال إلى العلويين ، يعبر
عن ميله جهارا كي يجعل مكانا للشك أنه لم يكن وحيدا في عواطفه ولا سيما
أن زمام زعامة الحزب حتى ذلك الحين كانت في يده) (٢١) .

وأود أن أبين بوضوح ، أن اسم الهاشمية قد يكتنفه بعض الغموض
والتشابه ، فالأسماء يرد لمواضع وأبنية متعددة ، والواضع من رواية البلاذري
التي مر ذكرها ، أن أبا العباس أطلق اسم الهاشمية على المدينة التي بناها
ابن هبيرة بالكوفة على الفرات ، ثم تركها بأمر من الخليفة مروان ، كما
نوهنا سابقا ، ثم كره أبو العباس هذه المدينة ، وذلك لأنها لم تشتهر بين
الناس بأسم الهاشمية ، وإنما بقيت تسمى مدينة ابن هبيرة فهجرها لهذا
السبب ، وبنى بجياله مكانا سماه الهاشمية أيضا وهي بالكوفة أيضا (٢٢) ،
وتعرف في كتب التواريخ بهاشمية الكوفة (٢٣) .

وحينما انتقل أبو العباس إلى الأنبار بنى بها مدينة أيضا ، لم يذكر
البلاذري اسمها ، وإنما أشار اليعقوبي صراحة في البلدان إلى اسمها فقال
عن أبي العباس أنه « انتقل إلى الأنبار فبنى مدينة على شاطئ الفرات وسماها
الهاشمية » (٢٤) .

(٢١) الدولة العربية وسقوطها - فلهاوزن صفحة ٤٣٠ و ٤٣٢ .

(٢٢) فتوح البلدان - البلاذري صفحة ٢٨٥ .

(٢٣) تقويم البلدان - أبو الفدا صفحة ٢٩٧ .

(٢٤) البلدان - اليعقوبي . صفحة ٢٣٧ .

وكذلك ذكرها ابن شاکر الکتبی فی فوات الوفيات انه « بنيت له الهاشمية الى جانب الانبار » (٢٥) .

ولما استخلف المنصور بعد وفاة السفاح بنى الهاشمية كما يتضح من رواية اليعقوبي الذي يروى ان أبا جعفر المنصور بنى مدينة الهاشمية (٢٦) . ويشير الطبري كذلك الى ان أبا جعفر بنى حين افضى الامر اليه الهاشمية (٢٧) هذا بينما لا يشير البلاذري الى بناء المنصور للهاشمية ، وانما يذكر ان أبا جعفر المنصور « نزل المدينة الهاشمية بالكوفة واستتم شيئا كان بقي منها وزاد فيها بناء وهيأها على ما أراد » (٢٨) . وهاشمية المنصور تقع حسب ما روى الطبري قبالة مدينة ابن هبيرة بينهما عرض الطريق (٢٩) . وهي تقع حسب ما ذكر اليعقوبي « بين الكوفة والحيرة » (٣٠) . ويحدد لسترانج مكانها على جانب الفرات الغربي في موقع فوق النهر الذي كان يجري في القرن العاشر الميلادي ثم تبدد في المستنقع الكبير او البطيحة (٣١) . ومهما يكن من أمر ، فالذي يبدو ان خلفاء بنى العباس الاول ، ومنهم على وجه الخصوص السفاح والمنصور ، حرصا منهم في تخليد البيت الهاشمي ، وتأكيدهم حب هذا البيت وطاعته ، أطلقوا اسم الهاشمية على مراكز ومدن شادوها في فجر الدولة العباسية .

(٢٥) فوات الوفيات - ابن شاکر الکتبی . ٤٨٦/١ .

(٢٦) البلدان - اليعقوبي . صفحة ٢٣٧ .

(٢٧) الطبري - ٢٣٤/٦ .

(٢٨) فتوح البلدان - البلاذري صفحة ٢٨٥ .

(٢٩) الطبري - ٢٣٤/٦ .

(٣٠) البلدان - اليعقوبي . صفحة ٢٣٧ .

(٣١) بغداد في عهد الخلافة العباسية - لسترانج . صفحة ١٣ .

ولم يظل المنصور كثيرا في الهاشمية ، فقد كرهها كرها شديدا ، وخاصة بعد ثورة الراوندية ، وهم حسب ما يذكر الطبري جماعة من الناس يقولون بتناسخ الارواح ، ويزعمون ان روح آدم حلت في عثمان بن نهيك ، وان ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو ابو جعفر المنصور وأتوا قصر المنصور فجعلوا يطوفون به ويقولون هذا قصر ربنا (٣٢) .

ولم يرض المنصور عن تصرفاتهم المخالفة لمبادئ الاسلام في الوجدانية وأنكر عليهم هذا التأليه المتعمد الذي ينطوي على الفوضى والتخريب ، واقتناص الفرص لقتل الخليفة والوثوب الى الحكم . والظاهر ان المنصور كان يظن في الراوندية الاخلاص في اول الامر ، ولكن حينما ظهرت آراؤهم واضحة جلية ، تصدى لهم ، منكرا وغاضبا ، ونستطيع ان ندرك اهمية هذه الثورة التي انتقلت الى قصر المنصور في الهاشمية ، ان الخليفة نفسه كان الموت يحدق به ، والسيوف مشهورة من حوله تطلب رأسه ، لذا أثر ترك الهاشمية (٣٣) . ولا شك في ان المنصور أدرك ببصيرته النافذة الحكمة - أن ثورة الراوندية - ما هي في الحقيقة الا بدء لسلسلة من الثورات والانتفاضات هدفها تقويض الحكم العباسي وأرهاقه . وحينما عزم المنصور على بناء عاصمة له انتقل من هاشمية الكوفة هذه حسب ما يروى البلاذري واليعقوبي والطبري .

وقد روى البلاذري « واستخلف ابو جعفر المنصور فنزل الهاشمية بالكوفة واستتم شيء كان بقي منها وزاد فيها بناء وهيأها على ما أراد ثم تحول منها الى بغداد فبنى مدينته » (٣٤) أما الطبري فيروى بأنه لما « ثارت

(٣٢) الطبري - ١٤٧/٦ .

(٣٣) انظر صفحة (٨٠) من هذه الرسالة .

(٣٤) فتوح البلدان - البلاذري . صفحة ٢٨٥ .

الراوندية بأبي جعفر في مدينته التي تسمى الهاشمية وهي بحيال مدينة ابن هبيرة كره سكنها لاضطراب من اضطرب أمره على الراوندية « (٣٥) اما الخطيب فيروي « ان أبا جعفر تحول من الهاشمية الى بغداد » (٣٦) .

ج - مدينة وقصر ابن هبيرة :

وهما مدينة وقصر ينسبان الى يزيد بن عمر بن هبيرة ، أحد القادة الامويين الذي تحصن في واسط خلال الحرب بين الجيش الاموي والعباسيين في العراق (٣٧) ثم قتل في مسجده بالقصر الذي ينسب اليه (٣٨) وقد ورد ذكر مدينة وقصر ابن هبيرة في رواية البلاذري حيث قال « كان يزيد بن عمر بن هبيرة بنى مدينة بالكوفة على الفرات ونزلها ومنها شيء يسير لم يستتم فأتاه كتاب مروان يأمره بأجتناب مجاورة أهل الكوفة فتركها وبنى القصر الذي يعرف بقصر ابن هبيرة بالقرب من جسر سورا » (٣٩) .

ومن النص السابق يتبين لنا « ان ابن هبيرة بنى مدينة بالكوفة على الفرات ، وهي غير قصر ومدينة ابن هبيرة المشهورة والتي هي على جسر سورا . نزلها مدة قصيرة قبل ان تتم ثم تركها لاسباب ادارية » (٤٠) .
وموقع مدينة ابن هبيرة كما موضح في رواية البلاذري بالكوفة على

(٣٥) الطبري - ٢٣٤/٦ .

(٣٦) الخطيب - ٦٧/١ .

(٣٧) الطبري ٦ / ١٠٤ .

(٣٨) الاخبار الطوال - الدنيوري . صفحة ٣٧٠ .

(٣٩) فتوح البلدان - البلاذري صفحة ٢٨٥ .

(٤٠) مجلة كلية الآداب - لسنة (١٩٦٢) منطقة الحيرة . بحث للدكتور

صالح احمد العلي صفحة ٢٦ .

الفرات أما قصر ابن هبيرة فيقع « على ضفة الفرات اليسرى او الشرقية فوق الكوفة كثيرا » (٤١) .

ويظهر من رواية المقدسي — الذي عاش في اقرن الرابع الهجري — عن قصر ابن هبيرة انه كان على حالة طيبة فقد كتب عنه يقول « اما قصر ابن هبيرة فمدينة كبيرة جيدة الاسواق تجيئهم الماء من الفرات ، كثيرة الحاكة واليهود . والجامع في السوق » (٤٢) .

والظاهر ان المنصور بعد شروعه ببناء المدورة ، عاد فسكن قصر ابن هبيرة ، اذ يروى اليعقوبي في اثناء حديثه عن خروج محمد بن عبدالله حيث يقول « ... ولم يقر ابو جعفر الا اياما حتى اتاه الخبر بخروج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن وظهور أمره فرجع الى الكوفة فأقام بقصر ابن هبيرة بين الكوفة وبغداد اياما » (٤٣) .

وحينما قضى المنصور على محمد بن عبد الله وأخيه ابراهيم تحول من مدينة ابن هبيرة الى بغداد ليكمل عمارتها (٤٤) وورد ذكر قصر ابن هبيرة في حوادث القتال بين جيوش المأمون وجيش الامين فقد روى الطبري ان طاهرا قائدا جيوش المأمون قد وجه الى قصر ابن هبيرة الحارث بن هشام وداود بن موسى (٤٥) .

(٤١) البلدان — اليعقوبي صفحة ٢٣٧ .

(٤٢) احسن التقاسيم — المقدسي صفحة ١٢١ .

(٤٣) تاريخ اليعقوبي — ٢ / ٤٥٠ و ٤٥١ .

(٤٤) تاريخ ابو الفدا — ٢ / ٤ .

(٤٥) الطبري — ٧ / ٤٢ .

د - الانبار

مدينة تقع على الضفة اليسرى او الشرقية من نهر الفرات جنوبي خط طول ٤٣ ، ٤٣ شرقا ، وخط عرض ٣٢ر٥ ٣٣ شمالا . ويقول جغرافيو العرب أنها على مسيرة اثني عشر فرسخا من بغداد - اي ما يقرب من « ٦٨ » كيلو مترا اذا اعتبرنا ان الفرسخ يساوي « ٧ / ٥ » من الكيلو مترات (٤٦) . الا أن ياقوت يذهب الى انها تبعد عن بغداد بمقدار عشرة فراسخ (٤٧) . وموقع الانبار في شمال منطقة شرقي السواد ، سهل قابل للزراعة ، على مقربة من نهر عيسى ، وهو القناة الاولى الصالحة للملاحة من نهر الفرات الى نهر دجلة . وموقعها هذا جعلها تسيطر على مسر مهم في الفرات (٤٨) . وقد خلط ماريك Marica بينها وبين مسك او مسكن ، ولكن المؤرخين العرب (٤٩) ميزوا بين الاثنين (٥٠) . ويروي ان الذي اختط هذه المدينة هو الملك الساساني سابور الثاني ، الذي حكم من عام ٣١٠ حتى عام ٣٧٩ م . ومن المرجح ان هذه الرواية لم يقصد بها تخطيط مدينة جديدة ، وانما تشير الى اعادة بناء مدينة كانت قائمة في هذا الموضع وتحصينها . لأن دراسة الاطلال القائمة الى الآن تقطع بأنه كانت هناك مدينة ترجع الى ما قبل عهد الساسانيين (٥١) . وبقيت الانبار يقطنها اناس مختلفون الى أن احتوى

Encyclopaedia of Islam, new edition. Vol. I (٤٦)

Art. of Anbar, p. 484.

(٤٧) معجم البلدان - ياقوت ١ / ٣٦٧ .

The Middle Euphrates, Musl, p. 267, 9. (٤٨)

(٤٩) انظر فتوح البلدان - البلاذري صفحة ٢٤٩ و ٢٥٠ .

Encyclopaedia of Islam, Art of Anbar, Vol. I p. 484. (٥٠)

(٥١) دائرة المعارف الاسلامية ٢ / ٢ .

سكانها العنصر العربي في اثناء الفتح الاسلامي (٥٣) .
وجاء ذكر فتح الانبار ضمن الفتوحات التي تمت في العراق على عهد
ال خليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقد ذكر البلاذري
أن خالدا سار الى الانبار فتحصن أهلها ثم بعث خالد المشنى بن حارثة الشيباني
الى سوق بغداد وبعد ان غنموه أتوا الانبار وخالد بها فحصرها أهلها وحرقوا
نواحيها (٥٣) . وكان ذلك في عام ١٢ للهجرة (٥٤) . ثم روى البلاذري « فلما
رأى اهل الانبار منازل بهم صالحوا خالدا على شيء رضي به فأقرهم » (٥٥) .
وبعد مضي فترة من قيام الدولة العباسية انتقل ابو العباس الى الانبار .
وبنى بها مدينة (٥٦) اطلق عليها اسم الهاشمية (٥٧) . وكان انتقاله اليها
سنة ١٣٤ هجرية بحسب رواية اليعقوبي (٥٨) .

وقد اختلف الباحثون المحدثون في تاريخ انتقال ابي العباس السفاح
الى الانبار ، فقد جاء في دائرة المعارف الاسلامية « اتخذها ابو العباس السفاح
اول خلفاء بني العباس مقرا له من عام ١٣٢ الى ١٣٦ هجرية » (٥٩) هذا
بينما جاء في دائرة معارف الاسلام ، الطبعة الحديثة ان « ابا العباس حول

Encyclopaedia of Islam, Vol. I p. 484

(٥٢)

(٥٣) فتوح البلدان - البلاذري . صفحة ٢٤٧ والبلدان لليعقوبي صفحة ٢٣٧

(٥٤) معجم البلدان - ياقوت ١ / ٣٦٨ .

(٥٥) فتوح البلدان - البلاذري صفحة ٢٤٧ .

(٥٦) فتوح البلدان - البلاذري صفحة ٢٨٥ . والبلدان - اليعقوبي صفحة

٢٣٧ . والتنبيه والاشراف للمسعودي صفحة ٣٣٩ .

(٥٧) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٣٧ .

(٥٨) تاريخ اليعقوبي - ٢ / ٤٢٩ .

(٥٩) دائرة المعارف الاسلامية - ٣ / ٣ .

عاصمته الى الانبار في عام ١٣٤ هـ - ٧٥٢ م ^(٦٠) وقد أشار مؤلفا دليل خارطة بغداد الى عام ١٣٢ هـ فكتبا « اتخذها الخليفة العباسي الاول عبدالله السفاح (١٣٢ هـ - ٧٥٠ م) عاصمة لملكته » ^(٦١) الا ان اصح الروايات هي التي تشير الى رواية اليعقوبي في تاريخه حيث يذكر ان انتقال ابي العباس السفاح الى الانبار كان في سنة ١٣٤ هـ ^(٦٢) ويبدو ان السفاح حين ترك الكوفة ، لم يكن قد اتفق على مكان بادىء ذي بدء لينزل فيه ، فسار بأتباعه مع نهر الفرات وأخذ يتفحص الامكنة التي يسر بها تفحصا دقيقا حتى انتهى الى موضع الانبار فاستطابه ورضي عنه . واشترى اراضي هذا الموضع من اصحابها ، ثم قسمها خططا وزعها على قواده وأصحابه واهل بيته ^(٦٣) . وفيها توفي الخليفة العباس السفاح عام ١٣٦ هـ ^(٦٤) . ودفن فيها ^(٦٥) . بقصره ^(٦٦) ، وبويع بالخلافة لابي جعفر المنصور وذلك في اليوم الذي توفي فيه أخوه ، وابو جعفر يومئذ بمكة ، وكان الذي أخذ البيعة بالعراق لأبي جعفر بعد موت السفاح ، عيسى بن موسى ، الذي كتب الى المنصور يعلمه بموت أخيه وبالبيعة له ^(٦٧) .

وقد ورد ذكر الانبار في أخبار خروج ابراهيم بن عبدالله ^(٦٨) . وورد

Encyclopaedia of Islam, Art. — Anbar, Vol. I p. 485. (٦٠)

(٦١) دليل خارطة بغداد - صفحة ٣ .

(٦٢) تاريخ اليعقوبي - ٢ / ٤٢٩ .

(٦٣) نفس المصدر - ٢ / ٤٢٩ و ٤٣٠ .

(٦٤) الطبري - ٦ / ١٢٠ .

(٦٥) البلاذري - فتوح البلدان صفحة ٢٨٥ وتاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٢٤ .

(٦٦) تاريخ اليعقوبي - ٢ / ٤٣٤ .

(٦٧) الطبري - ٦ / ١٢١ .

(٦٨) نفس المصدر - ٦ / ٢٤٢ .

ذكرها في الطبري حينما تناول خبر مقتل ايتاخ الخزري ^(٦٩) في عام ٢٣٥ هـ .
رجاء ذكر الانبار كذلك في الطبري بحوادث عام ٢٥٠ هـ في اثناء حديثه عن
'لفتنة التي وقعت بين أهل بغداد وجنود المعتز في سامراء ^(٧٠) .

ومر بها الرحالة ابن بطوطة في عام ٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م وكتب في رحلته
يقول « ثم رحلت من بغداد فوصلت الى مدينة الانبار ثم الى هيت ثم الى
عانة » ^(٧١) .

والظاهر ، ان آخر ذكر للانبار جاء في حوادث تاريخ العراق لسنة
٨٢٤ هـ - ١٤٢١ م ، حيث ذكر الغياث البغدادي في التاريخ الغياثي « انه
دخل الحلة شخص من الانبار يقال له ابو علي ... مع أخ له اسمه ناصر
الدين ... واقام ابو علي مع نائب الامير ... لاستيفاء المال المقرر » ^(٧٢) .
والذي يبدو ان الانبار بدأ خرابها بعد هذا التاريخ لكثرة الحروب
ثم انتقل فوج منهم الى الكاظمية ولا تزال محلتهم تعرف بمحلة الانباريين ^(٧٣) .
والانبار اليوم اطلال واسعة فوق الفلوجة بشيء يسير بينها وبين ضفة الفرات
مزار يعرف بالفياض ^(٧٤) .

(٧٠) نفس المصدر - ٧ / ٤٤٤ .

(٧١) رحلة ابن بطوطة - ٢ / ١٧٥ .

(٧٢) التاريخ الغياثي - فتح الله البغدادي الملقب بالغياث (مخطوط)

حوادث سنة ٨٢٤ هـ صفحة ١٨٦ .

(٧٣) دليل خارطة بغداد - صفحة ٢ و ٤ .

(٧٤) سومر مجلد ٨ « ١٩٥٢ » صفحة ٢٥٢ و ٢٥٣ .

الفصل الثاني

العوامل التي دفعت المنصور الى اختيار بغداد

كانت للعاصمة أهمية عظمى في الادارة والتنظيم ، وعلى وجه الخصوص في العهود السابقة قبل ان تتطور الانظمة الادارية وتنتقل من مرحلة المركزية كنظام للسيطرة والحكم وتسير دفة الامور الى نظام اللامركزية الذي أخذت به بعض الدول في السنين الاخيرة .

وطبيعة النظام المركزي في تلك العهود كان يحتم على الاقاليم المنضوية تحت أية امبراطورية ، ان تكون مشدودة الى العاصمة المركزية شدا وثيقا ، وهذا النظام الذي أخذت به الدول الاسلامية في الفترات المختلفة من عهود قوة المسلمين منح العواصم الاسلامية - التي اصبحت بعدئذ مراكز حضارية وعسكرية في آن واحد - القوة والسيطرة ، ومن الفترة التي حكم فيها المسلمون في عهد النبي عليه الصلاة والسلام حتى الوقت الذي خسر المسلمون فيه سيادتهم ، تبرز لنا عدة مدن ، يقترن تاريخها مع عظمة المسلمين واشراق حضارتهم ، كعواصم سجلت بكل فخر واعتزاز ، تاريخ العرب والمسلمين عبر الاجيال ، والذي يبدو انه كانت لهذه العواصم ارتباطات وثيقة الصلة بالاسرات الحاكمة التي تابعت في حكم الدولة الاسلامية ، ولقد لفتت هذه الصلة نظر المستشرق الانكليزي لسترانج فكتب يقول « يظهر ان الضرورة قد اقتضت في الشرق ان تتخذ كل اسرة مالكة حديثة عاصمة جديدة لها » (١) .

(١) بغداد في عهد الخلافة العباسية - لسترانج صفحة ٩ .

وهذا أمر بديهي ، بالنسبة لطبيعة الاسرات العربية او المسلمة الحاكمة ويتعلق أشد التعلق بالظروف السياسية التي جاءت فيها الى الحكم ، واذا ما القينا نظرة سريعة عاجلة الى العواصم الاسلامية المهمة ، التي كانت فيما مضى ذات أهمية كبيرة في تأريخ المسلمين وحضارتهم ، نلاحظ ان الرسول عليه الصلاة والسلام ، بدأ دعوته السرية في مكة ، واستطاع فيها ان يجمع حوله نفرا من المؤمنين بالرسالة ، وبعد مضي مدة استبدل الدعوة السرية بالدعوة العلنية ، كان من نتائجها ان اضطهد هو واصحابه مما اضطرهم الهجرة الى يثرب ، والتي سميت فيما بعد باسم (المدينة) او (مدينة الرسول) ، وبعد سنين قليلة فتح المسلمون مكة فدخلوها فاتحين منتصرين واصبحت مكة منذ ذلك الوقت بيد الرسول واصحابه ، ومع وجود الكعبة فيها ومدى ما يكنه العرب والمسلمون لهذا المبنى من قدسية وتعظيم وتكريم مع ذلك فضل النبي عليه الصلاة والسلام ان يبقى في المدينة ، فاتخذها عاصمة له طيلة حياته اكراما لثراها الطيب الطاهر ، وحبا لاهلها الذين آووه ونصروه ، وبقيت كذلك في خلافة الراشدين الثلاثة الاول ابي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) وحينما جاء الإمام علي (رضي الله عنه) الى الحكم لبث فيها قليلا ثم سار الى العراق (٢) ، وبذلك تحولت العاصمة من الحجاز الى العراق . وحينما اخذ الامويون زمام الحكم ، كان لا بد من ان يختاروا دمشق عاصمة لهم ، اذ ان الشام كانت تدين بالطاعة والولاء لمعاوية وعائلته ، ومن غير المعقول ان يترك معاوية منطقة موالية له لينتقل الى منطقة اخرى غير موالية له ، ومعاوية الذي خبر اهل الشام وعرف ودهم واغدى عليهم صلاته ، لا يمكن لمن كان مثله وفي ظروفه ان يتخذ من مكة او المدينة مثلا عاصمة له ، اذ المعروف عن هاتين المدينتين انها مشهورتان بولائهما لشيوخ الصحابة

(٢) تاريخ اليعقوبي - ٢ / ٢١١ وما بعدها .

رضي الله عنهم ، وكذلك لم يكن لمعاوية الخيار في سكنى الكوفة . لذا كانت دمشق ملائمة ومنسجمة كل الانسجام مع الحكم الاموي الجديد . فهي تقع في اخصب بقعة وعلى مسر طريق الحجاز حيث كانت المدينة ومكة المركزين الرئيسيين للسلطة الدينية في الاسلام ، وعدا ذلك فهي محمية بالصحراء العربية التي كان الخلفاء يأتون بجنودهم منها ، ولم يزل اهلها يؤثرون سكنها ويرتعون بها في بحبوحة من العيش وهم في الوقت نفسه مستعدون للحرب عند الحاجة ، كما ان دمشق كانت قريبة من حدود دولة الروم البيزنطيين ، التي كان يجتازها الجيش العربي في خلال التسعين سنة من الحكم الاموي ، فيهجم على آسية الصغرى من حين لآخر^(٣) .

وحينما تم النصر للعباسيين ، كان موضوع اختيار عاصمة جديدة بالنسبة للخليفة الاول ابي العباس السفاح ، من الامور المهمة التي شغلت باله في اول عهد الدولة العباسية ، وقد سبق ان تطرقنا الى هذا الموضوع في مكان سابق ، ولاحظنا ان السفاح قد تنقل بين عدة مراكز ، واشرفنا ايضا الى بعض الاسباب التي دفعته الى تغيير هذه المراكز ، والظاهر انه لم يحسم هذه القضية حسما ناجزا ، وكان لقصر مدة خلافته اثر كبير في ذلك .

ولما استخلف ابو جعفر المنصور ، انتقل اول الامر الى منطقة الكوفة فبنى مدينة الهاشمية قبالة مدينة ابن هبيرة ، كما مر بنا سابقا ، ثم شرع بعد اكثر من ثماني سنوات في بناء بغداد المدورة . ومن الروايات المختلفة للمؤرخين العرب^(٤) يظهر ان الذي اوجد المدينة المدورة كفكرة في اول الامر ، ثم نفذها فأصبحت حقيقة واقعة تشهد بعظمة الدولة العباسية ، هو

(٣) بغداد في عهد الخلافة العباسية - لسترانج صفحة ١٠ .

(٤) انظر البلدان للياقوتى صفحة ٢٣٧ وتاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٤٩ والخطيب

١ / ٦٦ وما بعدها والطبري ٦ / ٢٢٤ وياقوت ١ / ٦٧٧ .

ابو جعفر المنصور ، ومع هذا الاتفاق التام في استحداث المدينة المدورة ، الذي يكاد يجمع عليه معظم المؤرخين المسلمين ، مع هذا يروى المقدسي رواية يستشف منها ان الذي احدث بغداد هو ابو العباس السفاح فيقول « احدثها ابو العباس السفاح »^(٥) .

ولا نستطيع ان نحدد على وجه التأكيد ما الذي يقصد به المقدسي من ان بغداد كان قد احدثها ابو العباس السفاح ، فان كان يقصد من وراء ذلك ان السفاح قد بناها ، او احدث في موضعها بعض العمارات ، فان هذا غير صحيح ، ولا يمكننا بأي حال من الاحوال ان نأخذ برواية المقدسي هذه ، اذ انها لم تؤيد لنا بالنصوص التاريخية الاخرى .

والذي نستطيع ان ندركه من رواية المقدسي السابقة ، هو ان السفاح ربما قد استحسن موضع بغداد القديم في أثناء بحثه عن مكان يبنى فيه مدينة له . ولم يشرع ببنائها ، وانما الذي بنى في موضع بغداد هو المنصور ، وذلك موضح من سياق كلام المقدسي نفسه فهو يعقب بعد جملته تلك مباشرة من ان المنصور بنى « بها مدينة السلام »^(٦) .

ومهما يكن من أمر فان معظم المؤرخين والباحثين المحدثين لا يختلفون في ان موجد مدينة السلام وبانيها هو الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور . أما سبب بناء بغداد ، فيروي الطبري انه لما « ثارت الراوندية بابي جعفر في مدينته التي تسمى الهاشمية وهي التي بحيال مدينة ابن هبيرة كره سكنائها لاضطراب من اضطرب امره عليه من الراوندية مع قرب جواره من الكوفة ولم يأمن أهلها على نفسه فأراد ان يبعد من جوارهم »^(٧) .

(٥) احسن التقاسيم - المقدسي صفحة ١١٩ .

(٦) نفس المصدر - صفحة ١١٩ .

(٧) الطبري - ٦ / ٢٣٤ .

ويروي الطبري رواية أخرى عن سبب بناء المنصور للمدينة المدورة فيذكر انه « افسد أهل الكوفة جند امير المؤمنين المنصور فخرج نحو الجبل يرتاد منزلا » (٨) .

الواضح من الروايات العربية المختلفة ، والتي اشارت الى بناء المدينة المدورة ، كما قدمنا بعضا منها مما رواه الطبري قبل قليل ، ان الباعث الذي حدا بالمنصور الى ايجاد بغداد هو ثورة الراوندية التي خشي المنصور من ان تنطور فتتضاعف بعدئذ ، ومن يدري فلربما توقد ثورة كبيرة تذهب باستقرار دولته وامنها ، وتودي بحياته وخلافته وظهرت حديثا بعض البحوث التي لا تأخذ بهذا الرأي ولا تقر به كأساس لبناء المدينة المدورة ، ففي « مختصر تاريخ بغداد » اورد المؤلف حاشية عند كلامه عن اختيار موقع بغداد جاء فيه انه « لا صحة لما قيل من ان المنصور كره الهاشمية لقربها من الكوفة التي كانت حينذاك مركز الفتن وانه كرهها منذ ثارت عليه جماعة الراوندية سنة ١٤١ هـ . أو انه كان خائفا من اشباع ابي مسلم الخراساني الذي قتله في ساباط » (٩) فبنى بغداد وحصنها وغاية ما هناك انه بناها لاهمية موقعها من جهة ادارة الملك ولا يخفى ما في ذلك من عظيم الغاية بتدبير امر الدولة » (١٠)

(٨) نفس المصدر ٦ / ٢٣٤ .

(٩) المنصور لم يقتل ابا مسلم الخراساني في ساباط كما ورد اعلاه ، وانما تشير الروايات العربية المختلفة ان المنصور قتل (الخراساني) في (الرومية) التابعة للمدائن التي كان المنصور قد نزل بها ، حيث جاء في تاريخ البعقوبي ٢ / ٤٤٠ « فانصرف ابو مسلم واقبل يريد خراسان مغاضبا لابي جعفر فمر بالمدائن وابو جعفر نازل برومية » وقال الدينوري في الاخبار الطوال صفحة ٣٧٧ عن ابي مسلم « حتى وافى ابا جعفر بالرومية » .

١٠. مختصر تاريخ بغداد - على ظريف الاعظمي صفحة ٥ و ٦ .

ويعلل «ريجارد كوك» Richard Coke سبب بناء المدينة المدورة للضرورة السياسية فيقول «ولعل سبب اقدام الخليفة المنصور على بناء المدينة راجع الى ضرورة سياسية آنية ، لا الى مطلب اجتماعي شائع ، ولقد شعر المنصور الخليفة العباسي الثاني ، بعد مضي قرابة عشر سنوات من حكمه ان كيانه الشخصي وكيان اسرته غير مرتكبين الى اساس قويم» (١١) .

مما سبق يتبين لنا ان قسما من البحوث الحديثة لا تلتزم بالنصوص التي اوردها المؤرخون المسلمون ، وانما تحاول ايجاد مبررات تستند الى التأويل وليس الى النصوص . وبعضها منها لا تعير مسألة الراوندية أي اهتمام ، وانما تتجاهل هذه الثورة وترى ان هذه القضية لم تكن امرا ذا أهمية بالغة تستدعي المنصور لان يشيد مدينة كبغداد المدورة ، وانما القضية كما تعرضت للمنصور من خلال تجاربه الادارية والسياسية ان يوجد عاصمة ملكه الواسع ، وفي مثل هذا المعنى قال الدكتور سليم عادل عبدالحق (١٢) . وقد يكون في بعض ما قدمناه شيء من الصحة والحق ، ولكن ليس كل الحق ولا كل الصحة ، وان كانت البواعث الرئيسة التي حفزت المنصور الى الانتقال من الهاشمية وبناء بغداد ، قد بعدت عن بال بعض الباحثين ، فان هذا لايعني اننا نغض النظر فلا تتحرى الحقائق وتلمس الاسباب ، ولقد فطن بعض الباحثين المحدثين الى هذا فأوردوا الحقائق كما هي مجردة عن كل هوى ، حيث اشار الدكتور عبدالعزيز النوري اشارة موفقة مستقاة من المصادر العربية في تعليقه لانتقال المنصور من هاشمية الكوفة ، التي لم يرتح لها لانها لم تكن منيعة كما اوضحت فتنة الراوندية ذلك ثم انها قريبة

(١١) بغداد مدينة السلام - ريجارد كوك . ١ / ٢٣ .

(١٢) محاضرة الدكتور سليم عادل عبد الحق التي القاها في قاعة الشعب

تحت عنوان « تشييد بغداد واثره في فن العمارة والعمران العربي والعالمي » .

من الكوفة العلوية التي كان المنصور يخشى أهلها^(١٣) .
وقد ايد بطرس البستاني في دائرة المعارف سبب البناء خوفا من أهل
الكوفة وكرهه للراوندية الذين كانوا يسكنون فيها ، ولذلك اتقل الى
موضع آخر لبني فيه^(١٤) .

وفي رأينا ان قضية الراوندية أو بتعبير أدق ، ثورة الراوندية لم تكن
قضية بسيطة هيتهكتك البساطة التي يأخذ بها الباحثون المحدثون وانما كانت
مسألة مهمة بالنسبة لابي جعفر المنصور حيث لفتت نظر الخليفة الى موطن
الضعف في عاصمته الهاشمية ، ولو فرضنا ان المنصور كان قد فكر في اثناء
سكنه بالهاشمية اتخاذ عاصمة جديدة لدولته فان هذه الثورة قد حفزته
للاسراع في التنفيذ .

وقد ذكر الطبري في تأريخه رواية ، ومن نص هذه الرواية ، ان كانت
صحيحة نستطيع ان ندرك مقدار الاثر الذي تركته ثورة الراوندية في نفس
المنصور ، ذلك الاثر الذي حرك المنصور لان يعترف صراحة بان يوم
الراوندية كاد يودي بحياته ، ومن هنا نستطيع ان نؤكد في ثقة واطمئنان ان
هذه الثورة كانت حافزا له لبناء المدينة المدورة . فقد روى الطبري بسنده
ان المنصور قال « اخطأت ثلاث خطيات وقاني الله شرها ، قتلت ابا مسلم
وانا في خرق ومن حولي يقدم طاعته ويؤثرها ولو هتكت الخرق لذهبت
ضياعا . وخرجت وم الراوندية ولو اصابني سهم غرب لذهبت ضياعا .
وخرجت الى الشام ولو اختلف سيفان بالعراق لذهبت الخلافة ضياعا »^(١٥) .
وهناك سبب قد يكون مهما لبناء المدينة المدورة ، وهو رغبة الخلفاء

(١٣) انظر العصر العباسي الاول - الدكتور الدوري صفحة ٩٤ .

(١٤) دائرة المعارف - بطرس البستاني ٥٠ / ٥٠٨ .

(١٥) الطبري - ١٤٩ / ٦ .

والحكام المسلمين في اقامة العنائر وتشبيد المدن التي تحفظ اسماءهم وتبقى على ذكرها والامثلة على ذلك كثيرة ، ولا بأس اذا ذكرنا على سبيل المثال لا الحصر ، ان المتوكل حينما شيّد المتوكلية في سامراء وانتقل اليها عام ٢٤٧ هـ ، كان سروره عظيما بعاصمته الجديدة هذه على طريقة غيره من الحكام ولا سيما الشرقيين وقد سجل لنا اليعقوبي سرور المتوكل بقوله : « الآن علمت اني ملك اذ بنيت لنفسي مدينة سكنتها » (١٦) .

واضافة الى الاسباب المتقدمة فهناك اسباب اخرى تعتبر من أهم الاسباب ، سأناولها في الصفحات القادمة .

لقد رأى المنصور ضرورة تغيير عاصمته الهاشمية ، لذا عزم البحث عن موضع يصاح لان يكون عاصمة للملكه الواسع . وقد روى الطبري في حديثه عن بحث المنصور لموضع مدينته المدورة فقال « انه خرج بنفسه يرتاد له موضعا يتخذ مسكنا لنفسه وجنده ويبتني به فبدأ فانحدر الى جرجرايا (١٧) ثم صار الى بغداد ثم مضى الى الموصل ثم عاد الى بغداد فقال هذا موضع معسكر صالح » (١٨) .

ويروي الطبري رواية اخرى مؤكدا الرواية السابقة قال « أفسد أهل

(١٦) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٦٧ .

(١٧) جرجرايا - وهي كما جاء في معجم ياقوت ٢ / ٥٤ - بلد من أعمال النهران الاسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي ، وقد كانت مدينة ولكنها خربت مع ما خرب من النهروانات ، وقد خرج منها جماعة من العلماء والشعراء والكتاب والوزراء ، ومن ينسب اليها محمد بن الفضل الجرجري وزير المتوكل على الله بعد ابن الزيات ثم وزر للمستعين بالله ومات سنة ٢٥١ هـ وكان من أهل الفضل والادب والشعر .

(١٨) الطبري ٦ / ٢٣٤ .

الكوفة جند امير المؤمنين المنصور عليه فخرج نحو الجبل يرتاد منزلا والطريق يومئذ على المدائن فخرجنا على سابط (١٩) فتخلف بعض اصحابه لرمده أصابه فأقام يعالج عينيه فسأله الطبيب اين يريد امير المؤمنين قال يرتاد منزلا» (٢٠) .

ويروي الطبري رواية ثالثة بسنده فقال انه «لما أراد ابو جعفر الانتقال من الهاشمية بعث روادا يرتادون له موضعاً ينزله واسطاً رافقاً بالعامّة والجند فنعت له موضع قريب من بارما» (٢١) وذكر له عنه غذاء طيب فخرج اليه بنفسه حتى ينظر اليه وبات فيه وكرر نظره فيه فرآه موضعاً طيباً فقال لجماعة من اصحابه منهم سليمان بن مجالد وابو ايوب الخوزي وعبد الملك بن حميد الكاتب وغيرهم ما رأيكم في هذا الموضع قالوا ما رأينا مثله هو طيب صالح موافق . قال صدقتم هو هكذا ولكنه لا يحمل الجند والناس والجماعات وانما اريد موضعاً يرتفق الناس به ويوافقهم مع موافقته لي ولا تغلو عليهم فيه الاسعار ولا تشتد فيه المؤونة فاني ان اقمتم في موضع لا يجلب اليه من البر والبحر شيء غلت الاسعار وقلت المادة واشتدت المؤونة وشق ذلك على الناس وقد مررت في طريقي على موضع فيه مجتمعة هذه الخصال فأنا نازل فيه وبأنت به فان اجتمع فيه ما اريد من طيب الليل والموافقة مع احتماله

(١٩) سابط كسرى بالمدائن - وهو موضع معروف كما جاء في معجم

ياقوت ٣ / ٣ .

جبل بارما في وسط الجزيرة مما يلي المغرب والمشرق .

(٢٠) الطبري - ٦ / ٢٣٤ .

(٢١) بارما ذكر ياقوت في معجمه ١ / ٤٦٣ و ٤٦٤ بأنه جبل بين تكريت والموصل وهو الذي يعرف بجبل حميرين ، وتشق دجلة هذا الجبل عند السن، والسن في شرقي دجلة فتجرى بحافته وفي الماء منه عيون للقار والنقط ويمتد

للجند والناس ابتنيه نخبر انه اتى ناحية الجسر فعبر في موضع قصر السلام ثم صلى العصر وكان في صيف وكان في موضع القصر بيعة قس ثم بات ليلا حتى أصبح فبات أطيب مبيت في الارض وارفقه واقام يومه فلم ير الا ما يحب فقال : هذا موضع ابني فيه فانه تأتية المادّة من الفرات ودجلة وجماعة من الانهار ولا يحمل الجند والعامّة الا مثله فخطها « (٢٢) » .

ويروي الطبري ان المنصور لما رجع من ناحية الجبل سأل عن خبر القائد الذي حدثه عن الطبيب الذي اخبره عما يجدون في كتبهم من خبر مقلّص ونزل الدير الذي هو حذاء قصره المعروف بالخلد فدعا بصاحب الدير واحضر البطريق صاحب رحا البطريق وصاحب بغداد وصاحب المخرم وصاحب الدير المعروف ببستان القس وصاحب العتيقة فسألهم عن مواضعهم وكيف هي في الحر والبرد والامطار والوحول والبق والهوام فأخبره كل واحد بما عنده من العلم فوجه رجلا من قبله وامر كل واحد منهم ان يبيت في قرية فبات كل رجل منهم في قرية منها وأتاه بخبرها وشاور المنصور الذي احضرهم وتنحّر اخبارهم فاجتمع اختيارهم على صاحب بغداد فأحضره وشاوره وسأله فهو الدهقان الذي قرّيته قائمة الى اليوم في المربعة المعروفة بأبي العباس الفضل بن سليمان الطوسي . وقباب القرية قائم بناؤها الى اليوم وداره ثابتة على حالها فقال يا أمير المؤمنين سألتني عن هذه الامكنة وطبيها وما يختار منها فالذي ارى يا أمير المؤمنين ان تنزل اربعة طسايج في الجانب الغربي طسوجين وهما قطربل وبادوريا وفي الجانب الشرقي طسوجين وهما نهر بوق^(٢٣) وكلواذي^(٢٤) فأنت تكون بين نخل وقرب الماء

(٢٢) الطبري - ٦ / ٢٣٤ و ٢٣٥ .

(٢٣) طسوج نهر بوق في الجانب الشرقي من بغداد قال عنها ياقوت في

معجمه ١ / ٧٦٢ « نهربوق كورة بغداد نفسها » .

(٢٤) طسوج كلواذي - وهي كما جاء في معجم ياقوت ٤ / ٣٠١ انها

فان أجذب طسوج وتأخرت عمارته كان في الطسوج الآخر العمارات وانت يا أمير المؤمنين على الصراة تجيئك الميرة في السفن من المغرب في الفرات وتجيئك طرائف مصر والشام وتجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة وتجيئك الميرة من أرمينية وما اتصل بها في تامرا^(٢٥) حتى تصل الى الزاب وتجيئك الميرة من الروم وآمد والجزيرة والموصل في دجلة وانت بين انهار لا يصل اليك عدوك وانت بين دجلة والفرات لايجيئك أحد من المشرق والمغرب الا احتاج العبور وانت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله وانت قريب من البر والبحر والجبل . فازداد المنصور عزما على النزول في الموضع الذي اختاره . وقال له يا أمير المؤمنين ، ومع هذا فان الله قد منّ على أمير المؤمنين بكثرة جيوشه وقواده وجنده فليس احد من اعدائه يطمع في الدنو منه والتدبير في المدن ان لا تتخذ لها الاسوار والخنادق والحصون ودجلة والفرات خنادق لمدينة أمير المؤمنين »^(٢٦) .

وروى الطبري رواية أخرى فقال « بعث المنصور رجالا في سنة ١٤٥

» قرب مدينة السلام وناحية الجانب الشرقي من بغداد « واضاف « بانها قد خربت في زمانه واثرها باق » . والظاهر ان الجانب الشرقي من بغداد قد قسم على طريقة مشابهة لتقسيم الجانب الغربي . وطسوجا الجانب الشرقي احدهما شمالي وهو يعرف باسم طسوج نهريوق والقسم الجنوبي يسمى طسوج كلواذي ونهر بين .

(٢٥) قال ياقوت في معجمه ١ / ٨١٢ و ٨١٣ عن تامرا « وهو طسوج من سواد بغداد بالجانب الشرقي وله نهر واسع يحمل السفن في ايام المدود ومخرج هذا النهر من جبال شهرزور والجبال المجاورة لها » .

(٢٦) الطبري - ٦ / ٢٣٥ و ٢٣٦ .

يطلبون له موضعا يبني فيه مدينته فطلبوا وارتادوا فلم يرض موضعا حتى جاء فنزل الدير الذي على الصراة فقال هذا موضع ارضاه تأتيه الميرة من الفرات ودجلة ومن هذه الصراة» (٢٧) .

وروى صاحب تاريخ الفخري ان المنصور خرج بنفسه يبحث عن الموقع فقال « فخرج بنفسه يرتاد له موضعا يسكنه ويبني فيه مدينة له ولعياله ولاهله ولجنده فانحدر الى جرجرايا ، واصعد الى الموصل ثم ارسل جماعة من الحكماء ذوي اللب والعقل وامرهم بارتياح موضع فاختراروا له مدينته التي تسمى مدينة المنصور» (٢٨) .

من الروايات السابقة التي اعتمدنا عليها من تاريخ الطبري وغيره ، وما رواه اليعقوبي (٢٩) واخبر به ياقوت (٣٠) يتضح لنا بصورة جلية ان الخليفة المنصور اهتم اهتماما خاصا في اختيار الموقع الذي سيقوم عليه مدينته المدورة ومن النصوص التاريخية المختلفة تلك ، اصبح معروفا عن المسلمين منذ فجر الاسلام حتى بناء بغداد ، انهم كانوا يتخيرون مواضع مدنهم ، ويتفحصون امكنتها تفحصا طبوغرافيا ، لذلك وضعوا شروطا وقواعد لبناء المدن وتخطيطها (٣١) .

(٢٧) نفس المصدر - ٦ / ٢٣٦ و ٢٢٧ .

(٢٨) الفخري - ابن الطقطقي صفحة ١٦١ .

(٢٩) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٣٧ .

(٣٠) معجم البلدان - ياقوت ١ / ٦٨٠ و ٦٨١ .

(٣١) كتب الاستاذ ناجي معروف بأنه يلاحظ في تخطيط المدن العربية

الاسلامية النقاط التالية .

أولا - لقد عني العرب ببناء المدن في الفتح ، وفي اثناء تأسيس دولتهم ، لاتخاذها معسكرات وحصرنا . ولذلك بنوها على طرف البادية قريبة من الماء كالكوفة والبصرة والفسطاط لاي فصل بينهم وبينها بحرا او ماء وذلك ليتمكنوا

وطبيعي ان هذا خلاف ما ذكره ابن خلدون في مقدمته حيث يقول في الفصل الذي عقده « في ان المباني التي كانت تخطها العرب يسرع اليها الخراب الا في الاقل » ويعلل سبب ذلك بقوله « والسبب في ذلك شأن البداوة والبعد عن الصنائع كما قدمناه فلا تكون المباني وثيقة في تشييدها وله - والله أعلم - وجه آخر وهو أمس به ، وذلك قلة مراعاتهم لحسن الاختيار في اختطاط المدن كما قلناه في المكان وطيب المياه والمزارع والمراعي فانه بالتفاوت في هذه تتفاوت جودة المصر ورداءته من حيث العمران الطبيعي ، والعرب بعزل عن هذا وانما يراعون مراعي الابلهم خاصة ولا يبالون بالماء طاب أو خبث ، ولا قل أو كثر ، ولا يسألون عن زكاء المزارع والمناسبات والاهوية بانتقالهم في الارض وتقلهم الحبوب من البلد البعيد . فأما الرياح فالقفر مختلف للمهاب كلها . والظعن كليل لهم بطيئها لان الرياح انما تخبث

من ان يحموا ظهورهم بالصحراء ويتخذوا منها خطا لرجعتهم عند اشتباكهم مع الاعداء ، لذلك لم يعنوا باحاطتها بالاسوار المنيعة وبناء القلاع الحصينة . . . ولما توغل العرب في البلاد المجاورة لهم واستقروا بها عنوا بوجه خاص عند تخطيط المدن باحاطتها بخنادق وتسويرها بالاسوار المتعددة وتحصينها بالابراج الكثيرة ويظهر ذلك واضحا في تحصينات بغداد . اما في سامراء فلم يعنى العباسيون بالاسوار كثيرا وذلك لانهم امنوا شر اعدائهم بعد ان مضى على تأسيس دولتهم نحو قرن من الزمن .

ثانيا - وكانوا يعنون ايضا بتنظيم الاسواق وترتيبها داخل المدن وتصنيفها حسب ما يباع بها من السلع كما كانوا يعنون بانشاء البرك والمنزهات وحدائق الحيوانات وحلبات السباق .

ثالثا - كان العرب يحرصون في الوقت نفسه ان يكون المحل المختار لبناء المدن صحيا خاليا من الحشرات غير موبوء ولا خم الهواء وان تكون مناظره مما ترتاح له النفس . « انظر عروبة المدن الاسلامية الصفحات من ٢٤ حتى ٢٩ » .

مع القرار والسكنى وكثرة الفضلات . وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان ، كيف لم يراعوا في اختطاطها الا مراعي ابلهم ، وما يقرب من القفر ومسالك الظعن ، فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعي للمدن (٣٢) . وقبل أن تناقش رأي ابن خلدون الذي ذكرناه آنفا ، نحب ان نشير الى ان بعض الباحثين يعتبر الفصول التي عقدها ابن خلدون في مقدمته انما هي « تأملات فلسفية اجتماعية » ولا تعتبر حجة تاريخية (٣٣) والعرب الذين قصدهم ابن خلدون هم فئة العرب « البدو » في مراحل التاريخ المختلفة ، ويؤكد ذلك « البارون ده سلاز » الذي ترجم ابن خلدون في سنة ١٨٦٢ . ويقرر في هذه الترجمة ان ابن خلدون استخدم « كلمة العرب بمعنى البدو » (٣٤) .

ودراسة النصوص التي اوردها ابن خلدون في حديثه عن المباني التي كان العرب يشيدونها والمدن التي يخططونها تدعونا ان نؤكد ان ابن خلدون لم يكن منصفاً او عادلاً في حكمه على العرب ومبانيهم ، واذا لاحظنا النص الذي سبقت الاشارة اليه في رواية ابن خلدون نرى انه يقول « وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان كيف لم يراعوا في اختطاطها الا مراعي المهم وما يقرب من القفر ومسالك الظعن » .

واذا امعنا النظر في النصوص التاريخية التي سجلت بناء هذه المدن الثلاث ، البصرة والكوفة والقيروان ، ندرك ان الذين خطوها وبنوها كانوا من الصحابة والمسلمين من أهل الحجاز واليمن وغيرهم ، والمعروف عن هؤلاء

(٣٢) مقدمة ابن خلدون - ١ / ٦٤٦ و ٦٤٧ .

(٣٣) مساجد القاهرة ومدارسها - الدكتور احمد فكري صفحة ١٠ .

(٣٤) انظر الحاشية (٣٥٩) على صفحة ٤١١ من المجلد الثاني تعليق

الدكتور علي عبد الواحد وافي في مقدمة ابن خلدون .

انهم من سكنة المدن وانهم عرب اقحاح ولم يكونوا بدوا البتة ولا اعرابا .
واضافة الى ذلك ، نلاحظ ان العرب والمسلمين حينما اختطوا تلك
المدن التي اشار اليها ابن خلدون ، تحروا عن الموضع ، وان بناء مدينتي
الكوفة والبصرة تم بسوافة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وتحت
مشورته ، وقد ذكر البلاذري ان عمر كتب الى عتبة بن غزوان حينما
استشاره في اتخاذ منزل للمسلمين يقول « اجمع اصحابك في موضع واحد
وليكن قريبا من الماء والمرعى واكتب الي بصفتة » (٣٥) .

وفي حوادث بناء الكوفة كتب عمر بن الخطاب الى سعد بن ابي وقاص
يامره ان يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيروانا وان لا يجعل بينه وبينهم بحرا (٣٦) .
وروى البلاذري انه (لما فرغ سعد بن ابي وقاص من موقعة القادسية
توجه الى المدائن ... فانزلها جنده فاحتووها فكتب الى سعد ان حولهم
فحولهم الى سوق حكمه وبعضهم يقول الى كوفة دون الكوفة . . .
فأصابهم البعوض فكتب سعد الى عمر يعلمه ان الناس قد بُعِضُوا وتأذوا
بذلك فكتب اليه عمر ان العرب بمنزلة الابل لا يصلحها الا ما يصلح الابل
فارتد لهم موضعا عدنا ولا تجعل بيني وبينهم بحرا » (٣٧) .

وروى البلاذري رواية اخرى مجملها هي ان المسلمين اقاموا بالمدائن
واختطوها وبنوا المساجد فيها ثم انهم استوخموها واستوبوها فجرت بين
سعد بن ابي وقاص وعمر بن الخطاب مراسلات بضرورة تغيير هذه المدينة
فارتاد سعد كوفة ابن عمر فنظروا فاذا الماء محيط بها فخرجوا حتى اتوا

(٣٥) فتوح البلدان - البلاذري صفحة ٣٤١ .

(٣٦) نفس المصدر - صفحة ٢٧٤ .

(٣٧) المصدر السابق - صفحة ٢٧٤ و ٢٧٥ .

موضع الكوفة فاتتوها الى الظهر وكان يدعى خد العذراء^(٣٨) ينبت الخزامى والاقحوان والشيخ والقيصوم والشقائق فاخططوها^(٣٩).

مما سبق يتبين لنا ان العرب حينما اخططوا البصرة عام ١٤ هجرية والكوفة عام ١٧ هجرية حرص الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي يعتبر نفسه حاكما مسؤولا عن راحة وسكنى الجيوش المقاتلة ان ينزل الجند في مكان صالح غير موبوء ، لذلك حينما نزلوا المدائن ، ولم تكن موضعا صالحا ، من مختلف الوجوه تحولوا عنها بأمر من الخليفة كما مر بنا .

وخلاصة ما نريد انؤكد هو ان في قول ابن خلدون بعدا عن الحقيقة واغفالا للنصوص التاريخية الموثوقة بها التي وردت في بعض المصادر العربية ففي قوله « قلة مراعاتهم لحسن الاختيار في اختطاط المدن »^(٤٠) مخالفة تامة وصريحة لما اوردها من الروايات التاريخية التي تشير الى ان المسلمين عند بناء مدينتي البصرة والكوفة تحولوا من موضع الى آخر ، بارشاد من الخليفة عمر بن الخطاب . وفي بناء بغداد رأينا ان المنصور تحرى عن المكان وتفحصه تفحص خبير عارف ، وكذلك فعل المعتصم حين باشر بناء سامراء^(٤١) .

تكلمنا في صفحات سابقة عن منطقة بغداد قبل الاسلام ، وتناولنا بحث انهار وقرى منطقة بغداد الغربية بشيء من التفصيل ، ورأينا ان الخليفة العباسي قد درس هذا الموضوع دراسة مستفيضة عميقة ، وأرسل الوفود الى بعض المناطق ليجمعوا له الاخبار ، ويستفسروا عن المكان ، كما انه لم يكتف

(٣٨) خد العذراء - كانوا كما يقول ياقوت في معجمه ٢ / ٤٠٦ - الكوفة

خد العذراء لنزاهتها وطيبها وكثرة اشجارها وانهارها .

(٣٩) فتوح البلدان - صفحة ٢٧٦ و ٢٧٧ .

(٤٠) مقدمة ابن خلدون - ١ / ٦٣٩ .

(٤١) البلدان لليعقوبي صفحة ٢٥٦ و ٢٥٧ .

بذلك وانما تنقل بنفسه في عدة مناطق ودعا بعض اصحاب تلك المناطق الذين يسكنون فيها ، فشاورهم في الامر وقد أشرنا الى ذلك في الصفحات السابقة . ومن نتائج زيارته الشخصية وما حمله اليه الرسل والوفود ، اضافة الى ما أشار عليه اصحاب القرى آنذاك ، تكونت للمنصور فكرة واضحة وهي ان هذه المنطقة هي احسن منطقة لتشييد عاصمته .

ولم يكن الموضع الذي اختاره المنصور ، موضعاً غير معروف ولا مأهول اذ المعروف من الدراسات الاثرية ، ومما فراه اليوم شاخصاً من الآثار في المناطق المحيطة ببغداد ، في المدائن وسلوقية وبابل وعكر كوف ، ان بعض الشعوب التي عاشت في العراق ، وسجلت تاريخ حضارته القديمة ، كانت قد جذبت الى هذه المنطقة وسكنت في بعض أجزائها كالبابليين ، والكاشيين . والبارثيين ، والاسكندر ، والسلوقيين .

ولقد كان من نتائج قيام الحضارات في هذه المنطقة والاجزاء القريبة منها ، قبل الاسلام وازدهار الحضارة العربية الاسلامية ، بعد الفتح الاسلامي للعراق ، ان خلط بعض السواح والباحثين بين مدينتي بغداد وبابل من جهة وبين بغداد والمدائن او سلوقية من جهة أخرى ، ومن هذا نستنتج ان بعض اولئك الباحثين يعتبر موضع قرية بغداد القديمة هو نفسه موضع المدائن او سلوقية ، ولا شك ان هذا الخلط ناتج من عدم تحرى اولئك الباحثين المواضع بدقة وأناة وناتج أيضاً من تعاقب بعض المدينيات في المواضع التي في جنوبي بغداد وبناء بعض القواعد والمدن الفارسية والسلوقية فيه ، ولقد لفت النظر الى هذا الخلط والاضطراب ديلافا (٤٢) . Pitro Della Vaile

زار هذا الرحالة بغداد في عام ٦١٦ و ١٦١٧ ، قبيل سقوطها على أيدي الفرس

(٤٢)

وصحح بصورة اساسية الغلطة السائدة في هذا الدور في التباس مدينة بغداد مع بابل القديمة ، ويذكر في نفس الوقت ان بغداد ليست مدينة سلوقية كما انها ليست طاق كسرى (٤٣) .

وسوف يتبين لنا في اثناء الكلام عن « اسم بغداد » في فصل قادم ، ان موضع بغداد القديم كان مسكونا الى فترة تمتد عشرات المئات من السنين او بمايزيد على الالف سنة قبل الفتح الاسلامي، وانه « كان مركزا حربيًا واقتصاديًا وتجاريًا وقد انتشر في جواره العيران من كل صوب لوقوعه في بقعة متوسطة بين مراكز المدنات المبابليين والآشوريين والكيشيين واليونان والفرس ، فكان نقطة التقاء بين الامم المختلفة ، فأزدهرت فيه بابل ثم سلوقية ثم طيسفون ... وأخيرا بغداد في عهد المنصور » (٤٤) .

واذا ما تفحصنا موضع بغداد تفحصا دقيقا يتبين لنا ان المكان يمتاز بمزايا عديدة وان الله قد منحه مكانة جعلت منه محلا ملائما للدولة العباسية الجديدة ، وموضعا استراتيجيا طيبا ، فضلا عن وقوعه على طرق قوافل والتجارة كما وانه يتحلى بمزايا صحية ملموسة . وتسهيلا للبحث تقسم العوامل التي حفزت المنصور لاختيار هذا الموضع الى :

- أ - العامل السياسي .
 - ب - العامل العسكري .
 - ج - العامل الاقتصادي والتجاري .
 - د - العامل الطبيعي والصحي .
- وسنحاول شرح كل عامل من هذه العوامل الاربعة .

(٤٣) بغداد كما وصفها السواح الاجانب . ترجمة سعاد العمري صفحة

٢ - العامل السياسي .

أخذ العباسيون من خراسان مركزا رئيسيا لدعوتهم ، واعتمدوا على العراق في كفاحهم مع الامويين ، وكانت الكوفة معقلا لنضالهم ، ولقد ظهر أثر الكوفة هذا في التأييد الكامل للعباسيين عند بدء المناوشات الحربية بين بني العباس وبني أمية ، ونتيجة لهذا التأييد السياسي والعسكري اتخذها ابو العباس منزلا له ولعائلته في اول الامر (٤٥) ، وعند تولي أبي جعفر المنصور الخلافة عاد من الانبار فسكن جوار الكوفة ، كل هذا يجلب نظرنا الى أهمية منطقة العراق بالنسبة للعباسيين ودولتهم كما مر بنا سابقا .

ولم يكن في وسع المنصور ان يتخذ من دمشق عاصمة له ، او يشيد له مدينة في مكان ما من الشام ، اذ كان يدرك كل الادراك ، ان صدور أهل الشام تنطوى على حب لبني أمية ، واتخاذ عاصمة وسط جماعة لاتدين له بالطاعة نوع من المجازفة والخطورة ، اذ يجوز ان تتحين الفرص للاقتضاض عليه كما حدث ذلك في ثورة عمه عبدالله بن علي مع أهل الشام (٤٦) .

وأما المدينة ، فالظاهر ان أهلها قد ملوا الخلافات السياسية وتركوا أمور الخلافة ومشاكلها لابناء العراق والشام وغيرها من الاقطار الاسلامية بعد النكبات المتلاحمة التي اعابت بعضا من رجالها ، وما مقتل عثمان الخليفة الثالث ثم مقتل الامام علي ، وموقعة الحرة بالمدينة ، وفاجعة كربلاء ، ثم مقتل مصعب بن الزبير وأخيه عبدالله بن الزبير ، وغيرها من الأحداث الدامية

(٤٥) انظر الفصل الاول - الكوفة . في الباب الرابع من هذه الرسالة .

(٤٦) ينظر ثورة عبدالله بن علي في تاريخ يعقوبي ٢ / ٣٦٥ و ٣٦٦ والكمال

لابن الاثير ٤ / ٣٤٨ و ٣٤٩ .

التي تركت أثرا عميقا في قلوب رجال مكة والمدينة ، الا عوامل قد هدتهم الى التحفظ في الامور السياسية والابتعاد عنها . لذا امست الحجاز منعزلة عن النشاط الحزبي الذي بدت بوادره في أواخر ايام الدولة الاموية ، حتى تكمل هذا النشاط بنجاح بني العباس وفشل بني امية ، اصف الى ذلك عاملا مهما وهو الترف الذي جعل أهل الحجاز يعنون باللهو والغناء والموسيقى^(٤٧) وطبيعي ان المنصور ، وهو من ساسة العباسيين الافذاذ ، ادرك ان من العسير عليه ان يتخذ من مدن الحجاز عاصمة لدولته الواسعة ، فأنها رغم ما تتمتع به من احترام جميع المسلمين في شرق العالم الاسلامي وغربه ، فان ذلك لا يمنع من كونها مكانا هدأت فيه سوره التحفز السياسي ، والمنصور كان شعلة من طموح ، ومكان راكد كالحجاز لا يشبع في نفسه هذا الطموح الصاعد ولا يحرك في صدره ذلك الاحساس المتنامي في جعل الامبراطورية الاسلامية دولة محكمة الادارة مشدودة بالعاصمة شدا لا يعثره الهزال .

أما خراسان الساعد الايمن لهذه الثورة العارمة ، ومنزل الدعاة الاول فهي طيبة المقام مرضية السكن غير ان بعدها عن المراكز العربية المهمة ، جعل من غير المستحسن اتخاذها عاصمة للدولة العباسية .

(٤٧) الذي يبدو ان أهل المصيرين مكة والمدينة انشغلوا بالشعر والغناء اكثر من اي شيء آخر ولعل ما جاء في بعض المؤلفات العربية عن اخبارهما وخاصة اخبار المدينة يرشدنا الى ذلك . ينظر اخبار طويس وهو اول من غنى بالعربي في المدينة كما جاء في الاغاني للاصفهاني ٢٧ / ٣ ، وقد كانت مكة والمدينة تعجان بكثير من الشعراء . وبعض المغنين والمغنيات ينظر الاغاني ٤ / ٢١٩ حتى ٢٢٢ . وينظر خبر الاحوص في الاغاني ٤ / الصفحات ٢٢٤ حتى ٢٦٨ والدلال في الاغاني ٤ / ٢٦٩ وما بعدها . والترف كان ناشئا عن اموال الفنائم التي افاءها الله عليهم في اثناء الفتح ومن الهبات السخية التي كانت يقدمها الخلفاء الامويون الى أهل الحجاز باستمرار .

كما ان موقع بغداد في وسط العراق له ميزة لاتنكر ، فلقد كان من المستحسن في ذلك الوقت انشاء المدن او العواصم في وسط الاقليم اذ ان المواصلات البطيئة آنذاك كانت تعرقل تقدم الجيوش في حالة قيام اية ثورة، ووجود العاصمة في مكان بعيد في شمال القطر او جنوبه تسبب الارتباك في الدولة ونظمها الادارية فضلا عن انها قد تشجع على التمرد والخروج على السلطة .

ب - العامل العسكري :

اثبتت ثورة الراوندية على المنصور ان الهاشمية التي حدثت فيها هذه الثورة ، لم تكن حصينة وظهر بشكل واضح ان ثورة كثورة الراوندية رغم أنها لم تكن من القوة والتنظيم فقد كادت تودي بحياة المنصور . فكيف ياترى يكون مصير المدينة وجندها وأهلها اذا ما تعرضت لهجوم مسلح منظم كبير من خارج المدينة معزز بثورة أهلية داخلية ، لاشك في ان المنصور قد فكر بشل هذا التفكير ، ودرس مثل هذا الاحتمال ، وانه استعرض تحصينات الهاشمية ، وقصره الذي يعيش فيه ، فرأى ان المكان وان كان محميا بعدد من الجند والمدافعين قد لا يصمد امام قوة طاغية مسلحة ، لذا كان من الواجب عليه ، كحاكم يحرص على حفظ الامن وسلامة الدولة ، ان ينتقل منه الى منطقة حصينة منيعة ليقم عليها مدينة محمية عظيمة . سبق وأشرنا ان المنصور تفحص موضع بغداد القديم فوجده منطقة صالحة فقال عنه « هذا موضع معسكر صالح » (٤٨) ومن هذا النص نستطيع ان نطمئن الى ان الموضع الذي أختاره المنصور كان موضعاً مهماً من الناحية العسكرية ، وبغداد

(٤٨) انظر الفصل الثاني من الباب الرابع صفحة ٨١ من هذه الرسالة .

كما نعلم كان الباعث المهم لبنائها هو الهدف العسكري يدل على ذلك عدم وجود المنتزهات والحدائق وأماكن اللهو والتسلية في المدينة المدورة ، ونستنتج هذا من قول رسول ملك الروم للمنصور « واما العيب الثاني فان العين خضرة وتشتااق الى الخضرة وليس في بناءك هذا بستان » (٤٩) .

وتبرز لنا أهمية موقع بغداد الستراتيجي من حديث صاحب بغدادالذي مثل بين يدي الخليفة حينما استشاره عن موضع بغداد القديم فقال « وانت بين انهار لا يصل اليك عدوك ، وانت بين دجلة الفرات لا يجيئك أحد من المشرق والمغرب الا احتاج العبور وأنت متوسطة للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله ... » (٥٠) .

وأبو جعفر الذي غاصر الدعوة العباسية في طورها السري والعلني وحارب أعدائها ، فأكتسب من ذلك خبرة عسكرية طيبة جعلت منه قائدا فذا ومحاربا قديرا ، وقائد مثل هذا الرجل حين يسمع هذا الوصف ويجده صحيحا غير مبالي فيه ، لا بد وان يختار هذا المكان محلا لمركز دولته ، وتوسعا في بحث أهمية موضع بغداد العسكري أحب ان اتناول كلام صاحب بغداد بالشرح والتفصيل .

قال صاحب بغداد « وانت بين انهار لا يصل اليك عدوك » .
الظاهر ان منطقة بغداد القديمة ، كانت تمتاز بموقعها العسكري الطبيعي ومسا لاشك فيه ، ان هذا الموقع الستراتيجي الممتاز لم يخف على الممالك والدول التي سبقت الاسلام ، فأخذ البارثيون والسلوقيون عواصمهم بالقرب من هذا الموقع لحصاته وقوته في دفع الاعداء فضلا من ان الترع الكثيرة والنهيرات التي أشرنا اليها في بحثنا لانهار بغداد الغربية كانت بمثابة وسائل

(٤٩) الخطيب - ١ / ٧٨ ومناقب بغداد . ابن الجوزي صفحة ١٤ .

(٥٠) الطبري - ٦ / ٢٣٤ و ٢٣٥ .

دفاعية ، تصد الغزاة المعتدين وتعزل تقدمهم (٥١) . ومما قاله صاحب بغداد أيضا « وانت بين دجلة والفرات لا يجيئك أحد من المشرق والمغرب الا احتاج العبور » .

وهذه ميزة أخرى لموضع بغداد اقديم ، تبرز اهميته العسكرية كأحسن نموذج طيب للاستراتيجية الحربية ، اذ ان وجود النهرين الكبيرين ، دجلة في شرق الموضع ، والفرات في غربه ، يؤلفان خطين للدفاع عن العاصمة المنشأة والاراضي المحيطة بها ، فالجيش الغازي لها ، سواء أكان قادما من الشرق أم الغرب ، يتعسر على جنده وفرقه واعتدته وتمويناته العبور من النهر اذا ما قطعت الجسور ، وكذلك يصبح من السهل على جيش الخليفة العباسي احباط كل محاولة ترمي الى اقامة معبر للجند الغزاة بيسر وسهولة ، هذا فضلا عن ان الجيش الغازي يقطع عن نفسه خط الرجعة ، وتمويل القطعات بالمواد الغذائية والامدادات البشرية اذا ما نجح في العبور ، اذ ان وجود النهرين الواسعين يجعلان أمر توفير مثل هذه الامدادات من الصعوبة بمكان .

ج - العامل الاقتصادي :

لاشك في أن المنصور هو الذي اشتهر في التاريخ بتقنيته واقتصاده حتى اطلق عليه الناس في تلك الفترة « ابا الدوايق » (٥٢) كان يدرك أهمية

(٥١) وتظهر هذه من قول صاحب بغداد للمنصور كما جاء في الطبري ٢٣٦ / ٦ « والتدبير في المدن ان تتخذ لها الاسوار والخنادق والحصون ودجلة والفرات خنادق لمدينة امير المؤمنين » .

(٥٢) الطبري - ٢٣٥ / ٦ .

النواحي الاقتصادية والتجارية في انعاش الدولة ، وتنسية مواردها الاقتصادية
وبغداد كعاصمة للدولة الاسلامية الكبيرة ، تشغل حيزا واسعا من قارتي
آسيه وافريقية ، تحتاج اول ما تحتاج الى موضع مهم يكسب المدينة ميزة
الهيمنة على الطرق التجارية ، وموقع مثل بغداد الذي يعتبر مركزا وسطا بين
الاقاليم الاسلامية الشرقية والغربية ، لا بد وان تتوافر فيه هذه الهيمنة الممتازة .
وقد ذكر المنصور موقع قريب من بارما وحبيوه اليه ولكنه اعترض
على ذلك فقال « صدقتم هو هكذا ولكنه لا يحمل الجند والناس والجماعات
وانما اريد موضعا يرتفع الناس به ويوافقهم مع موافقته لي ولا تغلو عليهم
فيه الاسعار ولا تشتد فيه المؤونة فاني ان اقتست في موضع لا يجلب اليه
من البر والبحر شيء غلت الاسعار وقلت المادة واشتدت المؤونة وشق ذلك
على الناس وقد مررت في طريقي على موضع فيه مجتمعة هذه الخصال فانا
نازل فيه وبأنت به فان اجتمع لي فيه ما اريد من طيب الليل والموافقة مع
احتماله المجند والناس أبتنيه » (٣٥) .

ومن خلال اسطر النص السابق نستنتج ، ان المنصور رفض البناء في
ذلك الموقع القريب من بارما ، مع ان المكان الذي ذكر له ، كان قد اعجب
الرواد الذين ارسلهم المنصور ليتفحصوه ، ولم يكتف بذلك ، وانما ذهب
اليه بنفسه واختبره وبات فيه ، ولكنه لم يوافق على اتخاذ مكانا لعاصمته
الجديدة ... لماذا ؟ ان السبب في ذلك كما وضعه المنصور نفسه في جوابه
للمرسلين انه « لا يحمل الجند والناس والجماعات » . وايد موضعا يرتفع
الناس به .. ولا تغلو عليهم فيه الاسعار ولا تشتد فيه المؤونة » .
وهنا تبرز نظرة المنصور الاقتصادية ورغبته في توفير الغذاء الكافي
لجندده واهليهم وللناس الآخرين بأزهد الاثمان واقل التكاليف ، ومثل هذه

الرغبة لا يغذيها مكان مجذب كالمكان القريب من بارما مثلاً وانما يجب البحث عن مكان آخر ، تتوافر فيه المواد الغذائية ، والحاجيات الاستهلاكية التي تجلب في البر والبحر بصورة مستديمة وبأثمان زهيدة .

وموقع بغداد في وسط العراق ، منح المدينة ميزة تجارية عظيمة ، فهي تكاد تكون على مسافة متساوية بين البصرة والموصل ، او انها تتوسط المناطق الشمالية والجنوبية ، وهذا بطبيعة الحال قد جعل من بغداد سوقاً للبضائع والمنتجات التي تنتج في مختلف المناطق في شمال العراق وفي جنوبه ، فضلاً عن ذلك فانها تقع على خطوط التجارة والقوافل ، فهي تقع على طريق البصرة ، بغداد ، الموصل ، وديار بكر والاناضول ، وتقع ايضاً على طريق الشام . العراق . الخليج العربي ، فتسر بها معظم القوافل التجارية البرية والنهرية ، مما جعلها مدينة ذات موقع تجاري مرموق . وهذا موضح في حديث صاحب بغداد للخليفة المنصور حين سألته عن الموضع الذي اختاره لبناء المدورة فقال « وانت يا امير المؤمنين على الصراة تجيئك الميرة في السفن من المغرب في الفرات وتجيئك طرائف مصر والشام وتجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة وتجيئك المياه من ارمينية وما اتصل بها في تامرا حتى تصب الى الزاب وتجيئك المياه من الروم وآمد والجزيرة والموصل في دجلة » (٥٤) .

ولقد فطن الخليفة ابو جعفر المنصور الى هذه الأهمية ، فقال بعد ان تفحص موضع بغداد « هذا موضع ابني فيه فانه تأتية المادة من الفرات ودجلة وجماعة من الانهار ولا يحصل الجند والعامّة إلا مثله » (٥٥) .

(٥٤) الطبري - ٦ / ٢٣٦ .

(٥٥) نفس المصدر - ٦ / ٢٣٦ .

د - العامل الصحي :

وقد اشرنا في الصفحات السابقة الى ان المنصور مال الى موضع بغداد القديم ، واحب ان يقيم عليه عاصمة ملكه الجديدة ، وان هذا المكان المختار قد اشبع في نفسه الرغبات التي حرص على توافرها في مدينته المدورة وكان عليه الى جنب الشروط السياسية والعسكرية والاقتصادية ان يتفحص المكان من الناحية الطبيعية والمناخية والصحية .

اختار المنصور موقعا سهلا منبسطا ، والذي يبدو ان العرب الذين انحدروا من الجزيرة العربية في فترة الفتوحات الاسلامية والعهود التي تلتها كانوا يحبون الاقامة في المواضع المنبسطة السهلة .

وموضع بغداد المختار ، في المنطقة الواقعة الى غربي نهر دجلة والمحصورة في البقعة التي يقترب عندها نهراي الكيران دجلة والفرات ، منطقة سهلة منبسطة ، تمتد في انبساطها على مرمى البصر دون ان يحجزها عارض طبيعي ، تحيطها من الغرب اراضي مستوية ترتفع قليلا كلما اقتربت من وادي الفرات ، ومثل هذه الارض تشبع رغبة العرب والمسلمين الذين اعتادوا السكنى في الاماكن الخالية المفتوحة من جزيرتهم او المدن المحاطة بأراضي خالية منبسطة ، مع فارق توفر المياه والترع الكثيرة في البقعة التي شيدت عندها المدينة المدورة .

ذكرنا ان العرب كانوا يحرصون ان يكون المحل المختار لبناء المدن صحيا خاليا من الحشرات غير موبوء ولا وخم الهواء وان تكون مناظره . مما ترتاح له النفس^(٥٦) ، وهذا ثابت ومؤيد ببعض النصوص التاريخية

(٥٦) انظر صفحة ٨٥ من هذه الرسالة فصل - العوامل التي دفعت

المنصور الى اختيار بغداد .

التي اوردها المؤرخون المسلمون في مصنفاتهم ومؤلفاتهم ، والظاهر ان ابن خلدون يعود الى التجني على العرب متجاهلا النصوص الواردة في المصادر العربية فيقول معللا السبب في ان المباني التي كانت تخطها العرب يسرع اليها الخراب ، يعلل ذلك الى عاملين ، الاول هو بدانة العرب وبعدهم عن الصنائع ، والثاني قلة مراعاتهم لحسن الاختيار في اختطاط المدن ، في المكان وطيب الهواء والمياه والمزارع والمراعي^(٥٧) .

وما ذكرناه سابقا ، وما سنذكره الان يدحض رأي ابن خلدون وغيره من الذين يتجاهلون النصوص التاريخية الثابتة .

روى البلاذري بسنده « ان عمر بن الخطاب كتب الى سعد بن ابي وقاص يأمره ان يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيروانا وان لا يجعل بينه وبينهم بحرا فأتى الانبار واراد ان يتخذها منزلا فكشر على الناس الذباب فتحول الى موضع آخر فلم يصلح فتحول الى الكوفة »^(٥٨) .

وروى البلاذري بسنده ايضا « اقام المسلمون بالمدائن واختطوها وبنوا المساجد فيها ، ثم ان المسلمين استوخسوها واستوبؤوها ، فكتب بذلك سعد ابن ابي وقاص الى عمر فكتب اليه عمر ان تنزلهم منزلا غربيا فارتاد كوفة ابن عمر فنظروا فاذا الماء محيط بها فخرجوا حتى اتوا موضع الكوفة اليوم فأتوها الى الظهر وكان يدعى خد العذراء ينبت الخزامى والاقحوان والشيخ والقيصوم والشائق فاخططوها »^(٥٩) .

مما سبق يتبين ان بناء المدن الاولى في فجر الدولة الاسلامية كانوا

(٥٧) مقدمة ابن خلدون - ٦٤٦/١ و ٦٤٧ .

(٥٨) فتوح البلدان - البلاذري صفحة ٢٧٤ .

(٥٩) فتوح البلدان - البلاذري صفحة ٢٦٧ و ٢٧٧ .

يعيرون الناحية الصحية أهمية كبيرة ، فسعد انتقل من موضع الى آخر ، مبتعدا عن الامكنة الموبوءة حتى استقر في موضع خد العذراء . وارسل الحجاج باني مدينة واسط ، الالباء ليختاروا له موضعا يبني فيه مدينته^(٦٠) . ثم يعود التاريخ فيذكر لنا عن بناء بغداد نصوصا توضح اهتمام المنصور بالشروط الصحية والمناخية ، فقد روى الطبري ان المنصور « نزل الدير الذي هو حذاء قصره المعروف بالخلد فدعا صاحب الدير واحضر البطريق صاحب رحا البطريق وصاحب بغداد ... فسألهم عن مواضعهم وكيف هي في الحر والبرد والامطار والوحول والبق والهوام فاخبره كل واحد بما عنده من العلم ، فوجه رجالا من قبله وامر كل واحد منهم ان يبيت في قرية منها فبات كل رجل منهم في قرية منها واتاه بخبرها وشاور المنصور الذين احضرهم »^(٦١) .

(٦٠) معجم البلدان - ياقوت ٨٨٣/٤ .

(٦١) الطبري - ٦/ ٢٣٥ و ٢٣٦ .

الفصل الأول

أسمى بغداد

الباب الخامس

التهيؤ لبناء بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

الفصل الاول

اسم بغداد

سبقت الاشارة في فصل سابق ، الى ان موضعا كان يقع الى الجنوب من نهر الصراة العظمى يدعى سوق بغداد ، واشرنا ايضا الى روايتين لليعقوبي والطبري ذكر فيهما ان المكان الذي اقيمت عليه المدينة المدورة كما كانت فيه قرية تسمى قرية بغداد ، وهذه الروايات جميعا توضح بجلاء ، ان الاسم الذي اعطي لمدينة ابي جعفر المنصور ، والذي اشتهرت به بعدئذ حتى يومنا هذا لم يكن اسما جديدا على موضع المدينة المدورة استحدث مع بنائها ، او ظهر فيما بعد ، وانما كان اسما قديما يرجع الى الفترة التي سبقت بناء المدينة، او بمفهوم اوسع الى الفترة التي سبقت الفتح الاسلامي للعراق بكثير. ويتبين من دراسة النصوص القديمة التي تناولت البحث في اسم بغداد ان المؤرخين المسلمين قد اجمعوا ان لفظة بغداد فارسية الاصل ^(١) غير انهم اعطوا تفسيرات مختلفة لمعنى هذا الاسم ^(٢) . وفي العقود المتأخرة من القرن الحالي ظهرت بحوث وكتابات لا تلتزم بالنصوص القديمة التي وصلت الينا في المظان العربية والفارسية المختلفة عبر قرون عديدة ، وانما راحت تعطي تفسيرات اخرى لمعنى هذه الكلمة ، بعضها متصيد لا يصمد امام النصوص الكثيرة الواردة والبعض الآخر معقول وهادف كما سنرى في الصفحات التالية .

وفي رأينا ان هذا الخلاف ناتج من ان العراق - وبصورة خاصة إن

(١) الاغلاق النفيسة - صفحة ١٠٨ والخطيب ٥٨/١ وما بعدها، ومعجم

البلدان ٤٧٧/١ و ٤٧٨ .

Encylo paedia of Islam , rol . I P . 616

(٢)

شئنا تحديد المنطقة او الموضع الذي شيدت فيه المدينة المدورة والمواضع
الآخري المهمة الواقعة الى شماليها وجنوبيها — كان مسرحا لبعض
الحضارات القديمة من بابلية وكشية وفارسية وسلوقية ، التي شاء لها القدر
ان تنمو وتترعرع في ارض العراق حيث منحها الله من الخيرات والنعم ما هيا
لها اسباب القوة والنماء في القرون التي سبقت الميلاد والقرون التي اعقبته .
وتعاقب كل حضارة من تلك الحضارات كان معناه انتشار لغة سكان تلك
الحضارة سواء اكان هذا في مجال التجارة والبيع أم في مجال الادارة
والسياسة . وطبيعي ان بقاء كل لغة فترة من الزمن ومجيء لغة أخرى
بعدها ، يؤدي الى انتشار بعض مفردات تلك اللغة ، وعلى وجه الخصوص
اسماء الاعلام منها كالامكنة والانهار واسماء الاشخاص والالهة والملوك .
ولا ريب ان منطقة بغداد الغربية والاقسام الجنوبية منها شهدت
تتابع حضارات متعددة اسهمت جميعها في بناء وتوطيد مجد العراق القديم ،
وحينما جاء الاسلام شهدت مدينة بغداد المدورة بعد حوالي قرن ونصف
القرن من ميلاده ، أول فجر الدولة العباسية ، ثم شهدت بغداد الشرقية بقية
مجد العباسيين ، وظل اسم هذه المدينة يشير الى تألق الحضارة الاسلامية ،
وانبعاث مجدها رغم ما كابدته من مصائب وويلات ، وراح اسمها يذكر
على كل لسان في شرق العالم وغربه .

ونحن في الوقت الذي تقتخر حين يقترن اسم بغداد بأضخم حضارة
شهدتها العالم في القرون الوسطى ، لا يهمننا كثيرا من اين جاء اسمها ، ولا
يهمننا أهو فارسي أم آرامي أم غير هذا وذاك ، لا يهمننا هذا بقدر ما تهمننا
الحضارة التي نشأت ونمت على ثرى الارض الخيرة وعلى أيدي شعبها الذي
خط صفحات التاريخ ، ومع هذا فسوف تتناول في هذا الفصل الآراء التي
قيلت في اسم بغداد على الصفحات التالية .

لم يقتصر ورود اسم بغداد على المصادر العربية التي استشهدنا ببعض منها ، والتي سنذكر قسماً آخر منها بعد حين ، وإنما ورد في وثائق تاريخية واثرية ترتقي الى عصور قديمة قبل الميلاد .

وقد ورد ذكر اسم بغداد في وثيقة قانونية ترتقي الى زمن حمورابي عشر عليها في سبار^(٣) الذي يعرف اليوم بتل ابي حبه^(٤) .

وورد اسم مكان (بيلازى) على شاطيء (نهر الملك) في اقليم بغدادى في حجر من احجار الحدود^(٥) من زمن الملك الكشي (فازى - مارتاش)^(٦) Nazi - Marratash وجاء الاسم في حجر حدود آخر ، عشر عليه قرب ايوان كسرى ، يرجع تأريخه الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، والاسم فيه لارض واقعة قرب مدينة بغداد^(٧) .

وورد في اخبار حرب الملك الآشوري (ادد - نراري الثاني)^(٨) Adad - Nirari II انه حارب الملك البابلي (نبشتم - آكن) Napistum - igun

(٣) سبار - ويعرف موقعها اليوم بتل ابي حبه وتقع على بعد خمسين كيلوا مترا الى شمال غربي بابل .

(٤) انظر العدد (١٩٧) السطر رقم (١) .
Schorr, Altbabylonische Rechtsurkunden

(٥) وتعرف احجار الحدود باللغة الكاشية باسم (قدرو اوكدرو) .
Qudurru وهي احجار لها شكل مخروطي ناقص مقسم الى عدة حقول وعلى وجهها رسوم لرموز الالهة وتعتبر هذه الاحجار حدثاً مهماً في تاريخ فن النحت في بلاد وادي الرافدين في عهد الكاشيين .

(٦) من ملوك الكاشيين حكم في سنة ١٣٤١ ق.م .

(٧) انظر اللوحة رقم ٧٠ في
The cuneiform inscription of western Asia, Rawlinson, Vol. I

(٨) جاء الى حكم الدولة الاشورية بعد آشوردان . واحتل مدينتي كرخي

وكانت بغداد من جملة المواضع التي نهبا^(٩) وعدد الملك الآشوري (تكلات بلاسر) Tiglat - Pileser III القبائل الآرامية التي قهرها في عام ٧٢٨ ق. م فذكر بينها قبيلة منسوبة الى موقع يدعى (بغدادو) وقد وردت الكلمة على هذا النحو^(١٠) Bag - da - du وذكر الملك الآشوري (سرجون الثاني)^(١١) Saryon II اسم زعيم احدى القبائل ويدعى (بكنت) قبض عليه فسلخ جلده في عام ٧١٦ ق. م^(١٢).

من هذه النصوص والوثائق الاثرية القديمة يتبين بصورة واضحة لاتدعو الى الشك او المغالاة ، ان اسم بغداد قد ورد الينا منذ اجيال كثيرة ترتقي الى الالف الثاني قبل الميلاد ، وبقي هذا الاسم يرد في مختلف الكتابات والوثائق البابلية والآشورية والكشية والساسانية حتى فترة قريبة من الفتح الاسلامي للعراق وبذلك نستطيع ان نقرر ان هذه التسمية لم تكن غريبة او غير معروفة لدى سكان منطقة غربي دجلة الوسطى ، وان اسم بغداد ظل يتردد على السنة السكان محافظا على شكله دون تغيير او تحوير ، وقد ورد

وزاموة Kirchi , Zamua وتقعان في منطقة السليمانية .

(٩) يراجع الجزء الثاني صفحة ٢٠٠ من Keilschriftlubbthk.

(١٠) انظر الجزء الثالث صفحة ٥٤ .

(١١) سرجون الثاني - وبعد من عظماء الملوك الآشوريين ، تسنم عرش الامبراطورية عام ٧٢٢ - ٧٢١ ق . م ، ومما اشتهر به سرجون حملته العسكرية على الاراريين التي سميت بالحملة الثامنة في عام ٧١٤ ق. م . وبنى له عاصمة جديدة سماها (دور - شروكين) ويعرف موقعها اليوم بخورصباد نقب فيها المنقب الفرنسي بوتا Botta عام ١٨٤٢ - ١٨٤٤ م وكذلك نقب فيها المنقب الفرنسي بلاس Plas في عام ١٨٥٢ م .

(١٢) انظر Ancient Records, Luckenbill

اسم بغداد في المصنفات والكتب التي وضعها المؤرخون العرب ، ذكروا فيها اسم بغداد وأعطوا معها أيضا التفسيرات الافتراضية لمعنى هذا الاسم .

فقد روى الخطيب أن (بغداد بالباء والdal ، ويقال بغداد أيضا بالباء في أولها والنون في آخرها ، ومغدان بالميم أولا والنون آخرها . قال ابو الحسين — وذلك كله راجع الى ما فسرته ابن أبي رواد انه عطية الصنم وربما قيل عطية الملك . وبغداد أصل هذا الاسم للاعاجم والعرب تختلف في لفظه اذ لم يكن أصله من كلامها ، ولا اشتقاقه من لغاتها ، وبعض الاعاجم يزعم ان تفسيره بالعربية بستان رجل ، فبغ بستان ، وداذ رجل ، وبعضهم يقول — بغ اسم صنم كان لبعض الفرس يعبد ، وداذ رجل ، ولذلك كره جماعة من الفقهاء ان تسمى هذه المدينة بغداد لعله اسم الصنم ، وسميت مدينة السلام لمقاربتها دجلة ، وكانت دجلة تسمى قصر السلام) (١٣) .

وروى الخطيب أيضا فقال « انما سميت بغداد بالفرس لانه أهدي لكسرى خصي من المشرق فأقطعه بغداد ، وكان لهم صنم يعبدونه بالمشرق يقال له البغ ، فقال بغ ، داد ، يقول اعطاني الصنم ، والفقهاء يكرهون هذا الاسم من أجل هذا ، وسموها ابو جعفر مدينة السلام لأن دجلة كان يقال لها وادي السلام » (١٤) .

وروى الخطيب أيضا « يقال بغداد بالباء والdal ويقال بغداد أيضا بالباء في أولها والنون في آخرها ، ومغدان بالميم أولا والنون آخرها » (١٥) . ومهما يكن من امر فان التسميتين المشهورتين عند العرب هما (بغداد)

(١٣) الخطيب — ٥٩/١ و ٦٠ .

(١٤) نفس المصدر — ٦٠ / ١ .

(١٥) نفس المصدر — ٦٠ / ١ .

و (بغداد) فقد انشد ابو بكر المخزومي في مجلس ابي العباس :
سلام مغترب بغداد منزلة ان انجد الناس لم يهيم بانجاد^(١٦)
وقال آخر

ألا انما بغداد سجن اقامة أراحك من سجن العذاب مريح^(١٧)
وجاء في كتاب تقويم البلدان رواية مشابهة لاحدى روايات الخطيب
التي استشهدنا بها قبل قليل قال « وانما سميت بغداد بهذا الاسم لان
كسرى اهدى اليه خصي من المشرق فاقطعه بغداد وكان لهم صنم يعبدونه
بالمشرق يقال له البغ فقال ذلك الخصي (بغ داذ) يقول اعطاني الصنم والفقهاء
يكرهون هذا الاسم من اجل هذا وسموها المنصور مدينة السلام لان دجلة
كان يقال له وادي السلام »^(١٨) .

هذا ما تقوله النصوص العربية والاسلامية ، اما الآن ، وفي الربع
الاول من هذا القرن فقد ظهرت بعض البحوث والمقالات الحديثة التي لا تقر
هذا الرأي وانما تشير الى ان اسم (بغداد) يتحدر من اصل آرامي .
ومما يجدر ذكره بهذا الصدد ان المرحوم يوسف غنيمه هو اول
الباحثين المحدثين من العرب من قال ان لفظة بغداد آرامية وليست بفارسية،
ويبدو ان ما كتبه كان بمثابة اساس بنى عليه الذين جاؤا بأراء مشابهة لرأيه
فقد كتب « ولي رأي خاص في معنى اسم بغداد ولقد عنى لي في تضاعيف
بحثي منذ زمن ولم انشره حتى الان ، فاذا ذكر بكل تحفظ وتوق . الذي
عندي ان اسم بغداد آرامي مبنى ومعنى ، وهو مؤلف من كلمتين من (ب)
المقتضبة من كلمة (بيت) عندهم ، وكثيرا ما تقع في اوائل اسماء المدن مثل

(١٦) الخطيب - ١ / ٥٨ .

(١٧) نفس المصدر ١ / ٦٠ .

(١٨) تقويم البلدان - ابو الفدا صفحة ٢٩٢ .

بعقوبا وباقوفا وبطنايا وباعشيقا وباعذرا وباجرمي وغيرها . واللفظة الثانية (كدادا) بمعنى غنم او ضأن^(١٩) فيكون بكدادا مدينة أو دار أو بيت الغنم والضأن في اول الامر . ومن المشهور ان الآراميين كانوا فلاحين في هذه الديار يربون المواشي . وبقوا كذلك قرونا عديدة بعد استيلاء العرب المسلمين على العراق واني افضل هذا الرأي على التأويل الفارسي . ولا سيما قد ورد اسم بغداد في الآثار القديمة البابلية قبل احتلال الفرس لهذه الربوع^(٢٠) فارجو ان تبدوا رأيكم في هذا التأويل^(٢١) .

(١٩) انظر معجم دليل الراغبين في لغة الآراميين . العمود الثاني . الكلمة الثانية المعنى الثاني صفحة ٩١ .

(٢٠) انظر مجلة لغة العرب لشهر آب سنة ١٩٢٦ صفحة ٨٣ .

(٢١) كتب رزوق عيسى مقالا في مجلة لغة العرب لسنة ١٩٢٦ تحت عنوان « معنى كلمة بغداد » جاء فيه ردا على يوسف غنيمه « لما كنت احد الكتاب الذين نقبوا عن معنى هذه المفردة في كتب الاقدمين والمحدثين ونشروا بعض آرائهم في مجلة لغة العرب في سنتها الاولى والثانية فلا ارى رأي الاستاذ الفاضل ... كنت قد نشرت في لغة العرب ٣٩٠/١ ان كلمة بغداد مقتضبة من (بيت كدادا) وعندى ان بغداد مصحفة عن (بل دودو) أو (بل دادا) ومعناها مدينة الاله المحبوب . لان (بل) تفيد معنى البعل اي الاله عند الاقدمين بمعنى الحبيب والمحبوب والعم والخال ... بين بغداد و (بل دودو) أو (بل دادا) فرق في اللفظ بخلاف ما اذا قلنا - بيت كدادا فان الاكتفاء بالباء للدلالة على البيت اي المكان أو المدينة اشهر من ان يذكر . وكدادا بكاف فارسية فتنتح حينئذ الكلمتان بصورة بغداد فتكون الكلمة اوضح من الاول . لان الكاف الفارسية تنقل الى الفين في اغلب الاحيان وأما الالف الاخيرة فخاصة باللغة الآرامية . اما في العربية فتحدث . فانتقال بيت كدادا الى بغداد واضح فضلا عما فيه من المعنى المثبت المطلوب .

ولا بد ان نشير هنا الى ان بعض الكتاب المحدثين قد ايدوا يوسف غنيمه في رأيه الذي ذهب اليه في اصل كلمة بغداد^(٢٢) . وقد رد الاستاذ توفيق وهبي على يوسف غنيمه في مقال^(٢٣) استخلص منه ان اصل كلمة

(٢٢) ذكر مترجم كتاب بغداد في عهد الخلافة العباسية يوسف بشير فرنسيس في الصفحة ١٨ ان المطران اثناسيوس اغناطيوس نوري قال مثل الذي ادعاه يوسف غنيمه وذلك في كتابه (رحلة الى الهند سنة ١٨٩٩ - ١٩٠٠) في الصفحة ٤ . وذكر كذلك بان الاستاذ فؤاد افرام البستاني كتب بحثا مستفيضا في مجلة المشرق (٤ - ١٩٣٤ صفحة ٦٦ عن اصل كلمة بغداد يتفق مع ماكان قد توصل اليه غنيمه والمطران نوري .

(٢٣) نشر مقال الاستاذ توفيق وهبي في اول الامر بمجلة المجمع العلمي العراقي (مجلد - ١) ثم نشره بعدئذ مستقلا في كتاب تحت عنوان القصد والاستطراد في اصول معنى بغداد (جاء في رده على يوسف غنيمه قوله « ان اسم بغداد ليس بأرامي . فمن الثابت في التاريخ ان الاراميين لم تطأ اقدامهم العراق قبل القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، على حين وجدت آثار مرقومة تبرهن انه كان على عهد الملك حمورابي (القرن ١٨ ق م) مدينة في مملكته مسماة باسم (بكدادا) ثم ان حجرا من حجارة الحدود يعود تاريخه الى عهد الملك الكشي (نازي مارتاش) قد كتب فيه كلمة (بكدادا) وكان حكمه في النصف الاخير من القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وهذا يؤيد ما قدمنا ذكره من ان اسم بغداد ليس بأرامي الاصل . واذا فرضنا محالا ان الاراميين كانوا في العراق على عهد الملك حمورابي في القرن الثامن عشر قبل الميلاد وانهم سموا موضعا جغرافيا بلغتهم الآرامية ، فانه لايسع المرء ان يتصور ان كلمة (بيت) قد اختصرت فاصبحت (ب) ومعنى ذلك ان الكلمة (بيت كدادا) صارت (بكدادا) في تلك العصور ، فان اختصارا كهذا يتطلب عدة

بغداد فارسي وليس بأرامي .

ومهما يكن اصل بغداد فان لكل من الرأيين اللذين ذهب اليهما يوسف غنيسة في ان الكلمة آرامية ، والرأي الذي ذهب اليه توفيق وهبي في انها فارسية ، مؤيدين من الباحثين . وهذان الرأيان يحتاجان الى تعقيب وايضاح فقد وردت بعض المقاطع المسمارية لكلمة (بنغ او بك) في الوثائق التاريخية العراقية القديمة ، ويجدر ان نذكر هنا ان الاستاذ طه باقر قد كتب للاستاذ توفيق وهبي في بحثه عن مظاهر اسم بغداد في المراجع المسمارية القديمة فقال « كتب اول مقطع من اسم المدينة أي (بنغ ، بك) بعلامة مسمارية قيمتها الصوتية المألوفة (خو) ، ولذلك قرأ بعض الباحثين اسم المدينة بصيغة (خدادو) . ولكن مع وجود هذا الاحتمال فان اعتبارات اخرى تشير الى ان القراءة الصحيحة ينبغي ان تكون (بنغ ، بك) وليس (خو) فمن هذه الاعتبارات لا يوجد في العلامات المسمارية علامة خاصة لاداء المقطع (بنغ ، بك) بل انه يعبر عنه بنفس العلامة التي تقرأ كذلك (خو) والى هذا فان الصيغة (بغدادو ، بغداتو) اسم مألوف في الكتابات المسمارية اطلق على اسماء مواضع واسماء اشخاص » (٢٤) .

مما سبق ، يتبين لنا ، ان اسم بغداد قد عرف في المصادر المسمارية قرون حتى يبلغ تمامه ، ونضيف الى ذلك ، ان هذا الاسم (بغداد) منذ عرف في التاريخ حتى اليوم قد حافظ على شكله مع طول تلك الازمنة السحيقة في القدم ... ويحسن بنا هنا ان نقول اننا لم نجد في الكتابات الآشورية - حتى التي يعود تاريخها الى اواخر عصرهم - كلمة (بيت) في اسمائهم الجغرافية متحولة الى (ب) ولذلك لانرى من الصواب اتخاذ اختصار الاسماء المألوف (٢٤) انظر القصد والاستطراد - توفيق وهبي الحاشية في الصفحة ٩ .

منذ عهد حمورابي والعهود التي تلتها في حضارة العراق القديم ، واذا فرضنا ان مقاطع اسم بغداد والقيم الصوتية لها قد عرفت في العراق قبل ان تطأ أقدام الفرس ارضه ، فمن الثابت تاريخيا ان الكاشيين كانوا قد استوطنوا العراق قبل الفتح الفارسي له مقبلين من منطقة جبال زاكروس وهم شعب كانت لغة الطبقة الحاكمة منهم من فصيلة اللغات التي تنسب اليها اللغة الفارسية . وهي فصيلة اللغات الهندية الاوربية . وعلى الرغم من ان تاريخ الكاشيين غامض لحد الآن نظرا لما يشتمل من ادوار وفترات مظلمة لا نعرف عنها شيئا ، ومع ذلك فان المصادر التاريخية تشير الى ان الكاشيين كانوا معروفين في عهد حمورابي وانهم كانوا يعيشون في بلاد بابل ويتعاطون مختلف الحرف فقد كان منهم الفلاحون والعبيد والخدم والتجار . وهناك رقم طينية تحوي عقودا من معاملات البيع والشراء ترجع الى زمن حمورابي وتحمل اسماء كاشية لاناس كانوا يتاجرون بالخيول ، ولا توجد لدينا اخبار تاريخية مدونة تشير الى ان الكاشيين استولوا على بلاد بابل عن طريق الحرب ، وقد اشارت المصادر التاريخية في زمن حكم الملوك المتأخرين من سلالة حمورابي كثيرا الى العنصر الكاشي في بلاد بابل فقد وجدنا اسماءهم تتردد في كثير من العقود والوثائق والمعاملات التجارية والبيع والشراء وانهم كانوا يعملون في الفلاحة والحصاد ، كفلاحين مأجورين ، وهذا يدلنا على تغلغل الكاشيين في بلاد بابل بطريقة سلسة وعن طريق الهجرة بدافع الحاجة الاقتصادية^(٢٥) . ولا يستبعد ان يكون اسم (بغداد) قد تداولته السن اولئك الفلاحين من الكاشيين الذين كانوا يعملون في منطقة بابل

(٢٥) مجلة كلية الآداب - العدد السادس سنة ١٩٦٣ - الكاشيون
صفحة ٥١٧ بحث للدكتور محمود الامين .

وشمالها ، ومن ثم اتشر على شكل موسع بعدئذ حتى سميت احدى القرى الواقعة الى غرب نهر دجلة باسم (قرية بغداد) .

والظاهر من الروايات التي اوردناها في هذا الفصل للمؤرخين المسلمين انهم قد ذهبوا في التقصي عن اصل كلمة بغداد مذهباً قريباً من الواقع ، ولكنهم اعطوا تفسيرات مختلفة لمعنى هذا الاسم ما اشرنا سابقاً ، فقد ذكروا ان بغداد معناها (عطية الصنم) او (عطية الشيطان) او (عطية الملك) ويبدو ان هذا الالتباس الذي اصابهم كان سببه نسيان معنى (بغداد) في الأزمنة التي سبقت اولئك الكتاب الاوائل ، ولانهم قصروا فهمهم لكلمة (بن الفارسية) على (صنم) فترجموا كلمة بغداد بـ (عطية الصنم) ويحتمل انهم قصدوا بالصنم (آلهة الفرس) فلما فسروا (بغداد) بـ (عطية الصنم) أرادوا ان يقولوا (عطية آلهة الفرس) (٢٦) .

والذي يبدو من النصوص التاريخية ، ان الخليفة المنصور لم يرض اطلاق لفظ بغداد على مدينته ، والسبب في ذلك ان المسلمين آنذاك كانوا يفسرون اللفظة الفارسية بغداد بمعنى (عطية الصنم) او (عطية الشيطان) وكما نعلم ان المسلمين كانوا لا يرضون لانفسهم تسمية شيء يشير الى الاصنام او الشياطين ، فقد كانت اولى بوادر الايمان في قلب المسلم النفور من الاشرار ومضاهاة خلق الله ، واسباغ مظاهر الخلق والعظمة لصنم منحوت من الحجارة او الطين او للشيطان مارد كافر ، لذا آثر المنصور ان يطلق على مدينته اسم (مدينة السلام) . وقد اورد ياقوت رواية تؤيد موافقة الخليفة على هذه التسمية الجديدة « قال حمزة بن الحسن : بغداد اسم فارسي

(٢٦) القصد والاستطراد - توفيق وهبي صفحة ٢٦ .

معرب من باغ داذوية لأن بعض رقعة مدينة المنصور كان باغا لرجل من الفرس اسمه داذويه ، وبعضها اثر مدينة دارسة كان بعض ملوك الفرس اختطها فاعتل فقالوا ما الذي يأمر الملك ان تسمى به هذه المدينة ؟ فقال ، هلدوه وروز أي خلوها بسلام ، فحكى ذلك للمنصور فقال سميتها مدينة السلام» (٢٧) .

والذي يبدو من دراسة بعض النصوص ان المنصور لم يكن وحده الذي لايرغب بالتسمية الفارسية ، وانما الفقهاء والعلماء والمفسرون كانوا يكرهون التسمية ايضا ، ولا يستبعد مطلقا ان يكون بعض من الفقهاء قد حادثوا الخليفة في كراهية التسمية السابقة ، ولا يستبعد ايضا ان يكون المنصور قد استجاب الى رغبة اولئك العلماء والفقهاء في تغيير الاسم الفارسي الى اسم جديد لا يحمل معنى الاشراك ، فقد روى الخطيب انه قد « كره جماعة من الفقهاء ان تسمى هذه المدينة بغداد لعله اسم الصنم » (٢٨) .

ونحن لا نعرف بالتأكيد لماذا اختار الخليفة المنصور مدينة السلام اسما لعاصمته المدورة ، اذ ان المؤرخين المسلمين يوردون تعليقات مختلفة لهذه التسمية الجديدة ، فالخطيب يذكر بان بغداد «سميت مدينة السلام لمقاربتها دجلة وكانت دجلة تسمى قصر السلام» (٢٩) وفي مثل هذا المعنى بالضبط يعلل ابن الجوزي تسمية بغداد بمدينة السلام (٣٠) . ويذهب الملك المؤيد

(٢٧) معجم البلدان - ياقوت ١ / ٦٧٧

(٢٨) الخطيب - ١ / ٦٠ .

(٢٩) الخطيب - ١ / ٦٠ .

(٣٠) مناقب بغداد - ابن الجوزي صفحة ٦ .

عماد الدين الى ما ذهب اليه الخطيب وابن الجوزي الا انه يطلق اسم وادي السلام على نهر دجلة محل قصر السلام^(٣١) .

ومن الجائز ان المنصور قد أثر تسميتها (بمدينة السلام) وذلك لان هذا الاسم (السلام) قد ورد في القرآن الكريم في عدة مواضع بمعنى (الجنة) اذ جاء في قوله تعالى « لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم » بما كانوا يعملون »^(٣٢) وذكر هذا الاسم في موضع آخر من القرآن الكريم في قوله تعالى « والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم »^(٣٣) . وهذا وقد وردت لفظة (السلام) و (سلام) و (سلاما) في ثلاثة واربعين موضعا من القرآن الكريم^(٣٤) .

ويبدو ان الاسم الجديد لم ينتشر انتشارا واسعا ، ولم يطغ على الاسم القديم لمدينة المنصور المدورة ، اذ سرعان ما تحول الناس عنه الى اسم بغداد ، واقتصرت استعمال مدينة السلام على الوثائق الرسمية التي تصدر من دار الخلافة وعلى المراسلات التي تدور بين الخليفة في بغداد وولاة الاقاليم وقواد الجيوش .

واستعمل الاسم كذلك في دار الضرب ببغداد ، اذ المعروف ان المنصور قد نقل مكان الضرب اليها سنة ١٤٦ هـ فصار يضرب الدينار بمدينة السلام وان لم ينقش اسمها عليه^(٣٥) وقد وردت بعض الدنانير الاسلامية في عهد الخلافة

(٣١) تقويم البلدان - صفحة ٢٩٢ .

(٣٢) القرآن الكريم - سورة الانعام الآية ١٢٦ .

(٣٣) القرآن الكريم - سورة يونس الآية ٢٤ .

(٣٤) انظر المرشد الى آيات القرآن الكريم صفحة ٢٤٠ و ٢٤١ .

(٣٥) الدينار الاسلامي - ناصر النقشبندى صفحة ١٣٠ .

العباسية وعلى الدينار اسم مدينة الضرب التي سك فيها الدينار تحت اسم
(مدينة السلام) كما في الدينار المضروب في عهد الواثق (٢٢٧-٢٣٢ هـ)^(٣٦)
واستعمل اسم مدينة السلام على النقود في عهد المهدي (٢٥٥ - ٢٣٣ هـ)
والمقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ) والمقتفي (٣٢٩ - ٣٣٣ هـ) والمستنجد (٥٥٥ -
٥٦٦ هـ) والمستضيء (٥٦٦ - ٥٧٥ هـ) والناصر (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ)
والظاهر بأمر الله (٦٢٢ - ٦٢٣ هـ)^(٣٧) .

وبالإضافة الى الاسمين السابقين للمدينة المدورة (بغداد) و (مدينة
السلام) فقد اطلق عليها اسم الزوراء ، وليس هناك من دليل نستطيع
الاعتماد عليه فنجزم جزماً أكيداً عن سبب تسمية بغداد بالزوراء ، اذ ان هناك
عدة اسباب وجيهة لهذه التسمية حيث ذهب بعض المؤرخين الى ان سبب
تسمية بغداد بالزوراء ، وذلك لازورار القبلة في جامع المنصور والذي سوف
تناول البحث فيه في باب آخر^(٣٨) وقيل انما سميت بالزوراء وذلك لان
المنصور حين عمرها جعل الابواب الداخلة مزورة عن الابواب الخارجة أي
ليست على سمتها^(٣٩) .

وربما انها سميت بالزوراء ، وذلك لان نهر دجلة يزور عند جنوب
المدينة المدورة .

(٣٦) نفس المصدر - رقم ١٤٥ لوح - ٥ صفحة ١٣٠ .

(٣٧) نفس صفحة ١٠ وما بعدها .

(٣٨) معجم البلدان - ياقوت ٩٥٤/٢ .

(٣٩) نفس المصدر - ٩٥٤/٢ .

الفصل الثاني

مساحة بغداد

قد يكون من الصعب علينا ابداء رأي قاطع في مساحة المدينة المدورة، وذلك ان الرواة المسلمين اختلفوا في المقاييس لهذه المدينة، ومن المؤرخين الذين نعتد على رواياتهم في هذا المضمار - يعقوبي والخطيب، وان ذكر غيرهما ارقاما فانها مستقاة من روايتي هذين المؤرخين •

وسوف نحاول هنا، ايراد الارقام التي اورداها في كتابيهما (تاريخ بغداد) و (البلدان) •

روى يعقوبي ان المنصور « جعل للمدينة اربعة ابواب بابا سماه باب الكوفة وبابا سماه باب البصرة وبابا سماه باب خراسان وبابا سماه باب الشام، وبين كل باب منها الى الآخر خمسة آلاف ذراع بالذراع السوداء من خارج الخندق »^(١) • والواضح من هذه الرواية ان بين كل بابين من ابواب المدورة خمسة آلاف ذراع، ولما كانت المسافة بين جميع الابواب الاربعة متساوية فان محيط المدينة المدورة يكون (٢٠.٠٠٠) ذراع وهو طول السور الخارجي • ولما كان الذراع حوالي نصف متر فيكون محيط الدائرة (١٠.٠٠٠) متر، وهو طول السور الخارجي وتكون مساحة المدينة المدورة (٧٩٤٥٠٠) مترا مربعا أي ان مساحتها حوالي ثمانية كيلومترات مربعة •

(١) البلدان - يعقوبي صفحة ٢٣٨ •

أما الخطيب فيروي ست روايات عن رواية مختلفين :-

الرواية الاولى - عن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق « خط المدينة ميل في ميل »^(٢) ولما كان الميل العربي حوالي (٤٠٠٠) ذراع أي ما يقارب (٢٠٠٠) متر كما روى ياقوت^(٣) فتكون مساحة المدينة المدورة (٣١٤٢ر٨٥٧) مترا مربعا أي أكثر من ثلاثة كيلو مترات مربعة .

الرواية الثانية - روى الخطيب عن رباح البناء وكان ممن تولى بناء سور مدينة المنصور فقال « وكان بين كل باب من ابواب المدينة الى الباب الاخر ميل »^(٤) ، والخطيب في هذه الرواية يعطي المسافة بين باب وآخر ، وهو غير القطر ، والميل العربي كما قلنا (٤٠٠٠) ذراع أي ما يقارب (٢٠٠٠) متر فيكون قطر المدينة المدورة حسب هذه الرواية حوالي (٢٥٤٥) مترا والمساحة (٥٠٨٤ر٩٤٩) مترا أي حوالي أكثر من خمسة كيلومترات مربعة .

الرواية الثالثة - روى الخطيب عن اطوال قطر بغداد ، فأعطى قطرين مختلفين احدهما ثمانمائة ذراع طول القطر من باب خراسان الى باب الكوفة وستمائة ذراع من باب الشام الى باب البصرة^(٥) . ونبعد هذه الرواية بسبب اننا نعلم ان المدينة المدورة كانت مدورة تدويرا كاملا واعطاء قياسين لقطريها معناه انها على هيئة بيضوية وهذا غير ثابت تاريخيا .

الرواية الرابعة - قال وكيع فيما بلغني « ان المدينة مدورة ٠٠٠ قطرها من باب خراسان الى باب الكوفة الفا ذراع ومائتا ذراع ، ومن باب البصرة

(٢) الخطيب - ١ / ٧٠ .

(٣) معجم البلدان - ياقوت ١ / ٣٨ .

(٤) الخطيب - صفحة ٧١ .

(٥) نفس المصدر ١ / ٧٢ .

الى باب الشام الفا ذراع ومائتا ذراع»^(٦) وهذه الرواية تشير الى ان المدينة كانت دائرية دورانا تاما اذ ان ابعاد ابوابها الاربعة متساوية . ومساحتها حسب هذه الرواية تساوي (٩٥٠٠٧١٤) مترا مربعا أي أقل من الكيلومتر المربع الواحد .

الرواية الخامسة - روى الخطيب عن ابن البربري قال « مدينة ابي جعفر ثلاثون ومائة جريب ، خنادقها وسورها ثلاثون جريبا »^(٧) ، والمساحة تكون حسب هذه الرواية (٢٣٤٠٠٠) مترا مربعا^(٨) .

الرواية السادسة - قال ابو الفضل حدثني ابو الطيب البزاز قال قال لي خالي - وكان قيم بدر - قال لنا بدر غلام المعتضد قال امير المؤمنين انظروا كم هي مدينة ابو جعفر ؟ فنظرنا وحسبنا فاذا هي ميلين في ميلين^(٩) وتكون مساحة مدينة المنصور المدورة حسب هذه الرواية (١٢٠٥٧١٤٣٨) ٢٢ أي أكثر من اثني عشر كيلومترا مربعا .

(٦) نفس المصدر ٧٣/١ و ٧٤ .

(٧) الخطيب - ١ / ٦٩ .

(٨) على اعتبار ان الجريب كما روى الخوارزمي في مفاتيح العلوم صفحة ٤٤ - ان الجريب هو اشل في اشل ومعناه ستون ذراعا طولاً في مثلها عرضاً . يكون تكسيهه ثلاثة آلاف وستمائة ذراع مكسرة ومعنى الذراع المكسرة ان يكون مقدار طولها ذراعا وعرضها ذراعا .

(٩) الخطيب - ١ / ٦٩ .

الفصل الثالث المهندسون والصناع والفعلة

للمهندس أهمية عظيمة في تنفيذ بناء العمارات وتشبيد المدن ، وهو بمثابة حجر الزاوية في كل عمران وبناء ، وقد يكون من الصعب على البنائين والعمال الشروع في بناء ضخمة من غير الاستعانة بخبرة المهندس وتوجيهه ان لم يكن في حكم المستحيل .

وتاريخ العمارة وتخطيط المدن العربية الاسلامية حافل بالكثير من النماذج الحية والنادرة من المنجزات العمرانية التي تم بناؤها على يد الخلفاء والولاة المسلمين في مختلف العهود الاسلامية ، مثل بناء البصرة والكوفة وواسط والقيروان والقسطاط ، والمدن الاخرى . أما العمار الدينية والمدنية فمنها قبة الصخرة التي بنيت في عام ٧٢ هـ - ٦٩١ م على يد عبد الملك بن مروان^(١) ، والمسجد الجامع في دمشق الذي شيده الوليد بن عبد الملك في عام ٨٨ هـ^(٢) ، وجامع القيروان حيث بدأ في بنائه عقبة بن نافع سنة ٥٠ هـ ثم أعيد بناؤه نحو سنة ٧٦ هـ^(٣) .

(١) الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل - العلمي ٢٤١/١ .

(٢) تاريخ البعقوبي - ٢ / ٣٣٩ ، ومروج الذهب للمسعودي ٣ / ١٦٦ والفخري لابن الطقطقي صفحة ١٢٧ .

(٣) اختط عقبة بن نافع القيروان عام ٥٠ للهجرة كما روى البعقوبي في تاريخه ٢ / ٢٧٢ .

هذا بالإضافة الى العنائر والقصور في بادية الشام وشرق الاردن
ك «قصير عمرة»^(٤) و « حمام الصرخ »^(٥) و « قصر المشتى »^(٦) . هذا
بالإضافة الى عشرات العنائر الأخرى المنتشرة في شرق العالم الإسلامي
وغربه ، ثم المدن الكثيرة التي أوردتها الأستاذ ناجي معروف في ملاحق كتابه
الموسوم « عروبة المدن الإسلامية »^(٧) .

بعد الذي تقدم نستطيع ان نقول في ثقة واطمئنان استنتاجا من الأمثلة
الكثيرة التي يعج بها تاريخ العمارة الإسلامية والتي سقنا بعضا منها على
سبيل المثال لا الحصر ، لا بد وان يكون باعثوها الى الوجود معماريين
ومهندسين بلغوا درجة كبيرة من اتقان الصنعة وضربوا بسهم وافر في ميدان
الخبرة والمهنة .

ولا بد لي ، وانا ابحث هذا الجانب من تراثنا المعماري والفني ، أن
أشير بشيء من الأسف والحسرة الى ان المصادر التاريخية العربية لا تذكر
أسماء جميع المهندسين الذين باشروا تنفيذ المشاريع العمرانية المهمة وأسهموا

(٤) قصير عمرة - قصر صيد صغير على بعد خمسين ميلا شرقي عمان،
وقد اكتشف من قبل البعثة العلمية التي يرأسها موزل
Alois Masil
في عام ١٨٩٨ .

(٥) حمام الصرخ - حمام يقع على بعد ثلاثة أميال الى الجنوب الشرقي
من القلعة الرومانية المعروفة باسم قصر الحلابات ونحو عشرين ميلا من حمام
الزرقاء والواقع على طريق الحج على بعد اثني عشر ميلا شمالي عمان كشفته
لعلماء الآثار بعثة جامعة برنستون سنة ١٩٠٥ .

(٦) سبقت الإشارة الى قصر المشتى في الصفحة (٤٧) .
(٧) انظر ملاحق كتاب « عروبة المدن الإسلامية » للأستاذ ناجي معروف
الصفحات من صفحة ٤٣ حتى ٦٧ .

في الاشراف على اقامتها ، وانما تشير الى قسم منهم ، وهم قسم ضئيل اذا ما قيس بالاعداد الكبيرة التي ظهرت على مسرح الحياة العمرانية والهندسية في العالم الاسلامي ، واسهمت بكل فخر اسهاما بلغ الذروة في بلورة العمارة الاسلامية وأضفت عليها مسحة من التمييز بينها وبين الفن المعماري الاجنبي . وقد عرف القلقشندي « مهندس العنائر » بأنه هو الذي يتولى ترتيب العنائر وتقديرها ويحكم على ارباب صناعاتها و اضاف بأن « الهندسة علم معروف فيه كتب مفردة بالتصنيف »^(٨) . وأشارت المصادر العربية في حديثها عن بناء بغداد الى عدد طيب من المهندسين والمشرفين على العمل ، ولا بد لنا ان نتوه هنا ان المهندسين الذين قاموا بتخطيط المدورة واشرفوا على تنفيذ العمل كانوا على اطلاع ببعض علوم الهندسة والرياضيات . وسوف نرى ان اليعقوبي يذكر صراحة اسماء اربعة من المهندسين ، ويشير بعض المؤرخين الى الحجاج بن أرطاة وابي حنيفة النعمان بن ثابت ضمن الذين اختارهم المنصور « من ذوي الفضل والعدالة والفقہ والأمانة والمعرفة بالهندسة »^(٩) .

والذي يبدو من رواية اليعقوبي ان ارباض موضع المدينة المدورة قسمت عند بدء تخطيطها الى اربعة أجزاء ، فهو يذكر ان المنصور « قسم الارباض اربعة ارباع وقلد للقيام بكل ربع رجلا من المهندسين واعطى اصحاب كل ربع مبلغ ما يصير لصاحب كل قطعة من الذرع ومبلغ ذرع ما لعمل الاسواق في ربض ربض ، فقلد الربع من باب الكوفة الى باب البصرة وباب المحول والكرخ وما اتصل بذلك كله المسيب بن زهير والربيع مولاہ

(٨) صبح الاعشى - القلقشندي ٤٦٧ / ٥ .
(٩) الطبري - ٢٢٧ / ٦ واحسن التقاسيم للمقدسي صفحة ١٢١ ومعجم

البلدان لياقوت ٦٨١ / ١ .

وعمران بن الوضاح المهندس . والرابع من باب الكوفة الى باب الشام وشارع طريق الانبار الى حد ريض حرب بن عبدالله ، سليمان بن مجالس وواضحا مولاه وعبدالله بن محرز المهندس . والرابع من باب الشام الى ريض حرب وما اتصل بريض حرب وشارع باب الشام وما اتصل بذلك الى الجسر على منتهى دجلة حرب بن عبدالله وغزوان مولاه والحجاج بن يوسف المهندس . ومن باب خراسان الى الجسر الذي على دجلة مادا في الشارع على دجلة في البغيين وباب قطربل هشام بن عمرو التغلبي وعمارة بن حمزة وشهاب بن كثير المهندس » (١٠) .

وهكذا نرى انه يشرف على كل ريض من هذه الارياض الاربعة ، ثلاثة من الرجال ، اختارهم المنصور من المقربين اليه ، والظاهر كما يلوح من رواية اليعقوبي ان اولهم قائد وثانيهم مولى وثالثهم مهندس . فالقادة الذين أشرفوا على الارياض الاربعة هم « المسيب بن زهير وسليمان بن مجالس وحرب بن عبدالله وهشام بن عمرو التغلبي » أما الموالي فهم « الربيع ، وواضح ، وغزوان ، وعمارة بن حمزة » واما المهندسون فهم « عمران بن الوضاح ، وعبدالله بن محرز ، والحجاج بن يوسف ، وشهاب بن كثير » . وبالإضافة الى هؤلاء ، القادة والموالي والمهندسين ، كان يشرف على البناء بعض المراقبين ، والراجح ان المنصور اختار الحجاج بن أرقطاة وابي حنيفة النعمان بن ثابت ليشرفا على سير العمل ومحاسبة العمال اذا ما تهاونوا في العمل او تقاعسوا عنه ، اختارهما لمكاتبتهما اذ المعروف عنهما انهما من ذوي الفضل والعدالة والفقه والامانة . والذي يبدو ان المنصور كان قد أعد وظيفة القضاء ليشغلها الإمام ابو حنيفة النعمان بن ثابت ، والى هذا

يشير الطبري « ان المنصور أراد أبا حنيفة النعمان بن ثابت على القضاء فامتنع من ذلك فحلف المنصور أن يتولى له وحلف ابو حنيفة ألا يفعل فوله القيام ببناء المدينة وضرب اللبن وعده وأخذ الرجال بالعمل » (١١) .

ويوضح الخطيب مهمة الإمام بقوله « ان ابا حنيفة النعمان بن ثابت كان يتولى القيام بضرب لبن المدينة وعده حتى فرغ من استتمام بناء حائط المدينة مما يلي الخندق . وكان ابو حنيفة يعد اللبن بالقصب ، وهو أول من فعل ذلك فاستفاده الناس منه » (١٢) .

وبذلك يكون ابو حنيفة هو أول مسلم اعتمد على القصب في حساب الآجر واللبن المعد للبناء واهمل الطريقة البطيئة في حسابه بطريق العد . وقد روى اليعقوبي « أن ابا جعفر المنصور لم يبتدىء البناء حتى تكامل له من الفعلة واهل المهن مائة الف » (١٣) وهذا شيء طبيعي ومعقول اذا ما عرفنا عن المنصور الحرص الشديد على ان يكون مشروعه الكبير هذا تاما وكاملا ومشروع كهذا لا يتم الا بعد أن يستكمل جميع الشروط وتهيأ له الاسباب ، وأهم هذه الشروط ، توفر الايدي العاملة والمواد البنائية ، فضلا عن توفر الاموال اللازمة التي تسول المشروع ، وتكاد الشروط أو العوامل الثلاثة المتقدمة ان تكون الاساس الذي تقوم عليه المشاريع العمرانية المختلفة .

وكما لاحظنا من رواية اليعقوبي الآفة الذكر ، ان المنصور لم يبدأ البناء حتى اقبل اليه الفعلة واهل المهن من عمال ومساكين وحدادين ونجارين

(١١) الطبري - ٦ / ٢٣٨ .

(١٢) الخطيب - ١ / ٧١ .

(١٣) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٣٨ .

ومزوقين وغيرهم ، اما عدد هؤلاء فكما قدمنا في رواية اليعقوبي «مائة ألف» وهذا عدد كبير وضخم ، اما الخطيب فيقول بهذا الصدد ان المنصور « لم يتدىء في البناء حتى تكامل بحضرته من أهل المهن والصناعات الوف كثيرة » (١٤) .

ويبدو ان الفترة التي تقع بين استدعاء العمال والوقت الذي حضروا فيه وباشروا العمل ، امضاها المنصور في توجيه المهندسين الى تخطيط المدينة المدورة على الارض التي اختارها مكانا لعاصمته الجديدة .

ويروي اليعقوبي ان المنصور أمر بضرب اللبن العظام قبل وضع الاساس ، حيث كان في اللبنة التامة المربعة ذراع في ذراع ووزنها مائتا رطل ، واللبنة المنصفة طولها ذراع وعرضها نصف ذراع ووزنها رطل وحفرت الآبار للماء وعملت القناة التي تأخذ من نهر كرخايا ، وهو النهر الآخذ من الفرات (١٥) فأثقت القناة واجريت الى داخل المدينة للشرب ولضرب اللبن وبل الطين » (١٦) .

(١٤) الخطيب - ٦٧/١

(١٥) ويشير ياقوت في معجمه ٦٨٤/١ ان المنصور مد قناتين الاولى من نهر دجيل الآخذ من دجلة والاخرى من نهر كرخايا الآخذ من الفرات وجرحهما الى مدينته في عقود وثيقة من اسفلها محكمة بالصاروج والاجر من اعلاها .

(١٦) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٣٨ .

الفصل الرابع

نفقات البناء من الاموال والمواد

أما اعداد الاموال اللازمة فان النصوص التاريخية تشير الى أنه حينما تكامل عدد البنائين والفعلة والصناع من النجارين والحدادين والخفارين الذين وفدوا اليه من مختلف الاماكن والاقطار اجري عليهم المنصور الارزاق واقام لهم الاجرة^(١) . كما تشير هذه النصوص الى شراء المنصور اراضي مدينة بغداد من قوم من ارباب القرى بادوريا وقطربل ونهر بوق ونهر بين واقطعها أهل بيته وقواده وجنده وصحابته وكتابه^(٢) .

عرف المنصور انه مقتصد ، وقد اطلق عليه الناس آنذاك اسم « أبا الدوايق »^(٣) لمحاسنته العمال^(٤) والولاة^(٥) حسابا دقيقا حتى في عملة صغيرة من عملات ذلك الوقت وهي الدائق^(٦) . والى جانب تلك النصوص التاريخية نصوص أخرى تثبت كرمه ، وهذا واضح من رواية الطبري التي يشير فيها الى مساعدة المنصور لبنات عثمان بن بنهيك رئيس حرسه الذي

(١) نفس المصدر صفحة ٢٣٨ والخطيب ٦٧/١ .

(٢) فتوح البلدان - البلاذري صفحة ٢٩٣ .

(٣) الطبري - ٢٣٨/٦ وتاريخ الخلفاء للسيوطي صفحة ٢٥٩ و ٢٦٣ .

(٤) الطبري - ٢٦٥/٦ والكامل لابن الاثير ٢١/٥ وتاريخ الخلفاء للسيوطي

صفحة ٢٦٧ .

(٥) امالي المرتضى - ٢٢٤/١ .

(٦) الدائق يساوي ١/٨ الدرهم حسب ما جاء في كتاب النقود للبلاذري

صفحة ٣٨ و ١/٦ الدرهم كما جاء في كتاب النقود للمقرئزي صفحة ٢٣ .

قتل يوم الراوندية^(٧) .

وفي وسعنا ان نقول ان المنصور لم يكن بخيلا ، قد لازمته هذه الصفة طول حياته كما يصفه البعض^(٨) ، وكان احيانا يجود ويكثر في العطاء^(٩) ، ولكنه كان على الاغلب يميل الى الاقتصاد ، وللمنصور رأي خاص في مسألة هذا الاقتصاد فيقول لولا ان الاموال حصن السلطان ، ودعامة للدين والدنيا ، وعزهما وزينهما ، ما بت ليلة وانا احرز منه دينارا ولا درهما ، لما أجد لبذل المال من اللذذة ، ولما اعلم في اعطائه من جزيل المثوبة^(١٠) .

ومهما يكن من شيء ، فان المنصور كان يرى في توفير المال اللازم والحفاظ عليه لما قد يحدث من طواريء في المستقبل ضمانا لارساء قواعد دولته الفتية^(١١) .

وقد اورد المؤرخون ارقاما تكاد تكون متشابهة ومتقاربة في نفقات البناء ، فالطبري^(١٢) يروي انه ذكر عن عيسى بن المنصور انه قال وجدت في خزائن أبي جعفر المنصور في الكتب انه اتفق على مدينة السلام وجامعها وقصر الذهب بها والاسواق والفصلان والخنادق واقبابها وابوابها اربعة

(٧) الطبري ٢٢٧/٦ .

(٨) تاريخ الخلفاء - السيوطي صفحة ٢٦٧ وبغداد في عهد الخلافة العباسية للسترانج صفحة ٤٤ .

(٩) روى المسعودي في الاشراف والتنبيه صفحة ٣٤١ عن المنصور انه كان يجود بالاموال حتى يقال هو اسمع الناس .

(١٠) الطبري - ٣٣٠/٦ .

(١١) نستنتج ذلك من قوله - كما جاء في الطبري ٣١٧/٦ - ولا تدوم

نعمة السلطان وطاعته الا بالمال . ومن وصيته لابنه المهدي في الطبري ٢٤٢/٦ .

(١٢) الطبري - ٢٦٨/٦ .

آلاف الف وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهما^(١٣) ومبلغها في الفلوس مائة ألف
الف فلس وثلاثة وعشرون ألف فلس . وذلك ان الاستاذ من البنائين كان
يعمل يومه بقيراط^(١٤) والروزكارى بحبتين الى ثلاث حبات^(١٥) .

ويروي المقدسي رواية مشابهة لرواية الطبري^(١٦) . اما الخطيب فيروي
ثلاث روايات واحدة منها مشابهة لما اورده الطبري^(١٧) ، والاخرى يروي
فيها ان المنصور اتفق على مدينته ثمانية عشر ألف ألف^(١٨) وقد نقل ابن
الجوزي هذه الرواية في كتابه مناقب بغداد . اما رواية الخطيب الثالثة
فيقول رأيت في بعض الكتب ان ابا جعفر المنصور اتفق على مدينته وجامعها
وقصر الذهب فيها والابواب والاسواق الى ان فرغ من بنائها اربعة

(١٣) الدرهم ويساوي - حسب ما روى البلاذري في كتاب النقود
صفحة ٢٨ - ثمانية دوانق . اما المقرئ في كتابه النقود صفحة ٢٣ فيذكر
ان الدرهم يساوي ستة دوانق . والدانق لفظة مأخوذة من الفارسية (من دانه)
اي حبه ويساوي الدانق ثمانى حبات كما قال البلاذري في الصفحة ٣٨ .

(١٤) القيراط يساوي نصف الدانق كما ورد في البلاذري الدرهم ثمانية
دوانق ، والدانق قيراطا والقيراط طسوجان والطسوج حبتان .
(١٥) الحبة - وهي حبة الحنطة وتساوي ١ من ٦٤ من الدرهم وهي
ربع القيراط .

(١٦) احسن التقاسيم - المقدسي صفحة ١٢١ .

(١٧) الخطيب ٦٦/١ .

(١٨) الخطيب ٦٩/١ ومناقب بغداد لابن الجوزي صفحة ٩ . ولا يذكر
الخطيب هل ان هذا العدد هو بالدراهم أم بالدنانير .

(١٩) في طبعة باريس اربعة آلاف الف وثمانمائة وثلاثة وثمانين كما اشار
محقق الخطيب لطبعة السعادة بمصر في الصفحة ٦٩ .

آلاف^(١٩) وثمانمائة وثلاثة وثمانين درهما^(٢٠) .

اما ياقوت فيشير ان المنصور اتفق على عمارة بغداد ثمانية عشر الف الف ، ثم ينقل عن الخطيب رواية اخرى يقول فيها ان المنصور اتفق على مدينته وجامعها وقصر الذهب فيها والابواب والاسواق الى ان فرغ من بنائها اربعة الف الف وثمانماية وثلاثة وثمانين الف درهم^(٢١) .

ويروي اليعقوبي ان المنصور وضع اساس المدينة في وقت اختاره نوبخت^(٢٢) وما شاء الله بن سارية^(٢٣) . ثم يذكر في موضع آخر ان المهندسين الاربعة عبدالله بن محرز والحجاج بن يوسف وعمران بن الواح وشهاب ابن كثير الذين هندسوا بغداد وخططوها فعلوا ذلك بحضرة نوبخت وابراهيم ابن محمد الفزاري والطبري المنجمين اصحاب الحساب^(٢٤) .

ويشير الخطيب الى اسم منجم واحد فقط هو نوبخت^(٢٥) .

(٢٠) الخطيب ٦٩/١ .

(٢١) معجم البلدان - ياقوت ٦٨٣/١ .

(٢٢) نوبخت المنجم - وهو رجل فارسي مجوسي ، يقال ان المنصور تعرف عليه في سجن الاهواز ثم التحق بالمنصور عند قيام الدولة العباسية واسلم على يده . وكان يرافق المنصور حيثما توجه ولما ضعف عن خدمته قال له المنصور (احضر ولدك ليقوم مقامك) فاحضره وهو ابو سهل بن نوبخت كما ذكر ابن الففطي في تاريخ الحكماء صفحة ٤٠٩ . اما ياقوت في معجمه ٦٨٤/١ فانه يذكر ان المنصور امر ابا سهل ابن نوبخت باخذ الطالع حينما اراد بناء بغداد .

(٢٣) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٣٨ .

(٢٤) نفس المصدر صفحة ٢٤١ .

(٢٥) الخطيب - ٦٧/١ .

والظاهر ان الخلفاء او لولاة الذين يقومون ببناء مشروع كبير ، كبناء مدينة بغداد مثلا ، كانوا يحرصون في الوقت نفسه على استشارة المنجمين والذين يشتغلون في عد النجوم وحساب دورانها وتعيين بروجها • ويروي اليعقوبي ان المتوكل حينما عزم على بناء مدينة له (٢٦) أمر محمد بن موسى المنجم وبعض المهندسين ان يختاروا موضعا لبنى عليه مدينته (٢٧) •

والذي يبدو ان تعيين يوم العمل في المشروع من قبل المنجم كان يهدف الى شيء من التفاؤل وحسن الطالع ، ومثل هذا الشيء معروف في ايامنا الحاضرة ، وينطبق على بعض نواحي الانسان الحياتية •

وكيفما كان الامر ، فان المنصور استعان بالمنجمين قبل بدء العمل في المدينة وعند الانتهاء منها ، اذ روى عن بعض المنجمين ان المنصور قال له بعد ما فرغ من مدينة السلام « خذ الطالع فنظرت في طالعها وكان المشتري في القوس واخبرته بما تدل عليه النجوم من طول زمانها وكثرة عمارتها وانصباب الدنيا اليها وفقر الناس الى ما فيها • ثم قلت له — وابشرك يا أمير المؤمنين اكرمك الله بخلة اخرى من دلائل النجوم لا يوت فيها خليفة من الخلفاء ابدا فرأيته تبسم لذلك ثم قال — الحمد لله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » (٢٨) •

وقبل ان تشق معاول العمال الارض البكر ، أحب المنصور ان يتبين معالم تخطيط المدينة التي اسهم هو ومهندسوه في وضع الفكرة والتصميم ، فقد روى الطبري « ان المنصور لما عزم على بنائها احب ان ينظر اليها عيانا

(٢٦) وهذه المدينة هي مدينة الجعفرية كما جاء في البلدان لليعقوبي

صفحة ٢٦٦ •

(٢٧) البلدان — اليعقوبي ٢٦٦ •

(٢٨) الخطيب — ٦٨/١ •

فأمر أن يخط بالرماد ثم اقبل يدخل من كل باب ويسر في فصلاتها وطاقاتها ورحابها وهي مخطوطة بالرماد ودار عليهم ينظر اليهم وإلى ما خط من خنادقها فلما فعل ذلك أمر أن يجعل على تلك الخطوط حب القطن وينصب عليه النفط فنظر إليها والنار تشتعل ففهمها وعرف رسمها وأمر أن يحفر أساس ذلك على الرسم ثم ابتدء في عملها» (٢٩) .

ولا بد لي ، وأنا في معرض بحث تخطيط بغداد ، أن أقف عند هذا النص وقفة مسنة فاحصة ، وينبغي لي أيضا أن ألفت بتواضع ، نظر الباحثين والمتخصصين في ميدان العمارة والآثار الإسلامية ، إلى أهمية هذا النص التاريخي ، وما يبنى عليه من بروز نظرية الاستنباط الفكري ، والابداع المعماري التي تحلّى بها الخليفة المنصور والذين اسهموا معه في تنفيذ البناء ، فهذا النص يرشدنا إلى نقطة بالغة الاهمية في طبيعة البحث الذي تتناوله ، ويفسر الكثير من الآراء ووجهات النظر التي نسوقها ونوردها في موضوع بناء المدينة المدورة . ويوضح لنا بجلاء أن المنصور لم يكن حاكما افرغ كل ما لديه من وقت وجهد ومال في الناحيتين السياسية والعسكرية ، وترك ما بقي من أمور الدولة الأخرى لوزرائه وولاته ، وإنما كان يشرف على كل الأمور صغيرها وكبيرها (٣٠) .

واستنتاجا من النص السابق الذي أورده الطبري ، ومن نصوص تاريخية سوف نستشهد بها في مواضع أخرى ، نستطيع القول أن للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور نظرة فاحصة وصائبة في ميدان العمارة ومعرفة

(٢٩) الطبري — ٢٣٧/٦ .

(٣٠) انظر الوزراء والكتاب للجيشياري صفحة ١٣٩ .

بالتواحي الهندسية والمعمارية (٣١) .
ولم تلبث هذه المعرفة ان انعكست على سعيه في بناء مدينته فامتزجت
مع آراء مهندسيه ومعماريه . فكان نتاج هذا الالتقاء ثمرة يانعة في عالم
العسارة يفتخر بها العرب والمسلمون فيما يفتخرون به من مفاخر تراثهم
المعماري والحضاري .

وبعد أن اطمأن المنصور الى تخطيط المدينة على الارض ، وشاهد بنفسه
النيران الملتبهة التي اضرمت في حب القطن والنفط فأظهرت جميع مرافق المدورة
مجسمة . أصبح الشروع في البناء أمرا مؤكدا فحفر الاساس وفق تلك المخططات .
ووضع اول لبنة بيده وقال — بسم الله والحمد لله والارض لله يورثها من
يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال أبناوا على بركة الله (٣٢) .

ويروى الطبري ان أبا جعفر المنصور شاور اصحابه في تخطيط بغداد،
ومن الذين شاورهم خالد بن برمك ، وحينما كان ابو جعفر يعد العدة للبناء
والشروع في التنفيذ احتاج الى الاتقاض فأستشار خالد وقال له « ما ترى
في تقض بناء مدينة أيوان كسرى بالمدائن وحمل تقضه الى مدينتي هذه قال
— لا أرى ذلك يا أمير المؤمنين قال — ولم ؟ قال — لانه علم من أعلام الاسلام

(٣١) انظر النصوص والصفحات التالية :

الخطيب — ٦٧/١ قوله « فمثل لهم صفتها التي في نفسه » وصفا ٧٧
امر النفق الخاص في قصر المنصور وصفا ٧٤ ازورار ابواب المدينة المدورة،
او مداخل مدينة المنصور المنحنية وصفا ٨٠ في امر تحويل اسواق المدورة
الى الكرخ حيث دعا المنصور بثوب واسع فحد فيه الاسواق ورتب كل صنف
منها في موضعه وقال اجعلوا سوق القصاين في آخر الاسواق .

وانظر الطبري ٢٦٧/٦ و ٢٦٨ .

(٣٢) الطبري — ٢٣٥/٦ .

يستدل به الناظر اليه على انه لم يكن ليزال مثل اصحابه عنه بأمر دنيا وانما هو على أمر دين ومع هذا يا امير المؤمنين فان فيه مصلي علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قال — هيهات يا خالدا ابيت ألا الميل الى اصحابك العجم • وأمر بنقض القصر الابيض فنقضت ناحية منه وحمل نقضه فنظر في مقدار ما يلزمهم للنقض والحمل فوجدوا ذلك أكثر من ثمن الجديد لو عمل ، فرفع ذلك الى المنصور فدعا بخالد بن برمك فأعلمه ما يلزمهم في نقضه وحمله وقال له ما ترى قال يا امير المؤمنين قد كنت ارى قبل ان لاتفعل فأما اذ فعلت فأني ارى ان تهدم الآن حتى تلحق بقواعده لئلا يقال انك قد عجزت عن هدمه فأعرض المنصور عن ذلك وأمر ان لا يهدم » (٣٣) •

الباب السادس

التروع بينه وبينه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

الفصل الاول

تخطيط المدينة المدورة

أورد المؤرخون المسلمون اشارات مختلفة عن تأريخ بدء العمل بالمدينة المدورة ، وأشاراتهم هذه تكاد تحصر تأريخ البناء بين سنتي تسع وثلاثين ومائة وسنة خمس واربعين ومائة .

وقد ذكر البلاذري ، وهو أقدم المؤرخين عهدا زمن بناء بغداد « ان المنصور ابتداء في بنائها سنة خمس واربعين ومائة » ^(١) ويذكر اليعقوبي تأريخين مختلفين في كتابيه (التأريخ) و (البلدان) فهو يذكر في تأريخه « وصار ابو جعفر الى بغداد سنة ١٤٤ فقال ما رأيت موضعا اصلح لبناء مدينة في هذا الموضع » ^(٢) ثم يذكر تأريخا مغايرا لهذا التأريخ في مؤلفه الآخر (البلدان) فيروي ان أبا جعفر « اختطها في شهر ربيع الاول سنة إحدى واربعين ومائة » ^(٣) .

ويروي الطبري اربع روايات ، رواية منها تشير الى ابتداء العمل في سنة ١٤٤ ^(٤) والروايات الثلاث الاخرى تشير الى سنة ١٤٥ ^(٥) ، ويشير المقدسي الى التأريخ الاخير ^(٦) . وكذلك يشير الخطيب الى نفس هذا

(١) فتوح البلدان - البلاذري صفحة ٢٩٣ .

(٢) تاريخ اليعقوبي - ٤٤٩/٢ .

(٣) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٣٨ .

(٤) الطبري - ٢٣٧/٦ .

(٥) انظر الطبري - ٦/الصفحات ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨ .

(٦) احسن التقاسيم - المقدسي صفحة ١٢١ .

التأريخ أيضا في روايتين أحدهما قوله ان المنصور ابتداء اساس المدينة سنة خمس واربعين ومائة ^(٧) . وثانيهما قوله انها بنيت في سنة خمس واربعين ومائة ^(٨) وفي رواية ثالثة له يروى ان المنصور (أمر ببنائها ثم رجع الى الكوفة بعد مائة سنة واربع واربعين سنة واربعة اشهر وخمسة ايام من الهجرة) ^(٩) .

وعلى خلاف هؤلاء المؤرخين يعطي الدنيوري وقتا مبكرا لتأريخ بناء المدينة فيقول « وكان بناؤه اياها في سنة تسع وثلاثين ومائة » ^(١٠) يبدو أن اكثر المؤرخين المسلمين يؤيدون بدء العمل في بناء المدورة عام ١٤٥ هـ ، وهذا ما نراه صائبا وقريبا من الواقع ، اذ نستطيع ان نحدد تأريخ بدء البناء بالاضافة الى ما اورده المؤرخون ، بحادثة تأريخية مهمة وهي خروج محمد النفس الزكية بالمدينة و ابراهيم بالبصرة ^(١١) . وكذلك ترجح الكتابات والبحوث الحديثة هذا التأريخ على غيره من الآراء ، فقد أشار المستشرق الانكليزي لسترانج ان المنصور باشر بناء مدينته الجديدة في عام ١٤٥ هـ ^(١٢) وكذلك يذكر الباحث الفرنسي دومنيك سوردل

(٧) الخطيب - ١ / ٦٦ .

(٨) نفس المصدر - ١ / ٩٦ .

(٩) نفس المصدر - ١ / ٦٧ .

(١٠) الاخبار الطوال - الدنيوري صفحة ٣٧٩ .

(١١) يشير اليعقوبي في تاريخه ٢ / ٤٥٢ الى ان محمد النفس الزكية خرج في عام ١٤٥ هـ وكذلك يشير الطبري ٦ / الصفحات ٢٣٨ و ٢٤٠ بان المنصور اوقف البناء وانصرف الى اخمد الثورة ، في حوادث عام ١٤٥ . وكذلك يشير المسعودي في التنبيه والاشراف صفحة ٣٤١ الى سنة ١٤٥ . (١٢) بغداد في عهد الخلافة العباسية - لسترانج صفحة ١٧ .

Dominique Sourdel ان المنصور بنى بغداد في عام ١٤٥ هـ (١٣) .
 أما الدكتور الدوري فانه لم يذكر في بحثه عن بغداد في دائرة معارف
 الاسلام تأريخا قاطعا وانما يشير الى رواية اليعقوبي في البلدان ورواية
 الخوارزمي في تأريخ بغداد للخطيب (١٤) .
 ومهما يكن من امر ، فان الاختلاف في تأريخ بناء مدينة المنصور
 المدورة شأن غيره من الاحداث التاريخية المهمة التي اختلف فيها المؤرخون
 واختلافهم هنا كما عرضنا من النصوص المختلفة التي اوردها في مصنفاتهم
 غير كبير .

ويبدو أن المنصور بعد ان اطمأن اطمئنانا تاما الى الموضع الذي يبني
 فيه مدينته المدورة ، وبعد ان أعد المال اللازم لجميع المصاريف التي يحتاجها
 مشروعه الكبير ، ارسل الى عماله وولاته في مختلف الاقطار الاسلامية يطلب
 معوتهم في توجيه العمال والفنانين اليه . ويشير اليعقوبي الى هذا فيقول
 « ثم وجه في احضار المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة
 وقسمة الارضين حتى اختط مدينته المعروفة بمدينة أبي جعفر وأحضر البنائين
 والفعلة والصناع من النجارين والحداين والخفارين » (١٥) .
 ويذكر المؤرخون الاماكن والمدن التي استعان المنصور بعمالها وفنانها
 ومهندسيها فيذكرون بان المنصور وجه في حشر الصناع والفعلة من الشام
 والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة (١٦) .

(١٣)

Arabica, Vol. spécial, Baghdad, P.251 .

(١٤)

Encyclopaedia of Islam, Art. of Baghdad, Vol. I p.896.

(٥١) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٣٨ . وانظر الخطيب ١ / ٦٦ .

(١٦) الطبري - ٦ / ٢٣٧ . ومعجم البلدان - ياقوت ١ / ٦٨١ وابن

وطلب المنصور الاستفادة من خبرات العمال والفنانين المسلمين ، من مختلف الاقطار الاسلامية نستطيع أن نطلق عليه اسم (نظام الاستدعاء) او أمر تكليف ومعناه جمع وحشر الصناع والعمال من مختلف الاماكن في الدولة وتوجيههم الى عمل رسمي تأخذ الحكومة او السلطة القيام به ^(١٧) . والذي يبدو ان هذا (التكليف او الاستدعاء) كان معروفا لدى الخلفاء والولاة المسلمين ، وتروي لنا كتب التاريخ امثلة طيبة يتجسد فيها هذا النظام كمثل حي ونابط للتعاون المشر والمساعدة القيمة التي يتسابق اليها العمال والمهرة من الفنانين ورجال الهندسة لتشييد العمارات واقامة المباني . ولم يقف الامر عند استخدام العمال المسلمين ، وانما هناك روايات تشير الى الاستعانة بغيرهم من العمال الاجانب ، فقد روى اليعقوبي في اثناء حديثه عن العمارة الكبرى في تجديد مسجد النبي في المدينة على يد الوليد ابن عبد الملك فقال « ان الوليد بعث الى ملك الروم يعلمه انه قد هدم مسجد رسول الله فليعنه فيه فبعث اليه بمائة الف مثقال ذهبا ومائة فاعل واربعين حملا فسيقساء فبعث الوليد بذلك الى عمر ^(١٨) وأصلح به المسجد وفرغ من بنائه في سنة » ^(١٩) .

الاثير - ١٥ / ٥ .

(١٧) ونحب ان نشير ان الولاة او الخلفاء المسلمين الذين كانوا يستدعون العمال والفنانين والمهنيين من اطراف الدولة ويكلفونهم القيام باعمال البناء ، كانوا يدفعون لهم اجرة لقاء اعمالهم ، وفي بناء بغداد دفع المنصور للعمال ما يستحقونه من اجور ، كما مر بنا في الباب لخامس حينما بحثنا في الفصل الرابع منه نفقات البناء من الاموال والمواد .

(١٨) يقصد به عمر بن عبد العزيز في اثناء ولايته للمدينة وقد عين واليا عليها في عام ٨٧ هـ على عهد الوليد بن عبد الملك .

(١٩) تاريخ اليعقوبي - ٢ / ٣٤٠ .

ونهج الخليفة العباسي المعتصم عند تشييده لمدينة سامراء نهج الاستعانة بالأيدي العاملة في شتى الاقطار الاسلامية فقد روى يعقوبي بهذا الصدد ان المعتصم « كتب في اشخاص الفعلة والبنائين وأهل المهن من الحدادين والتجارين وسائر الصناعات وفي حمل الساج وسائر الخشب والجذوع من البصرة وما والاها من بغداد وسائر السواد ومن انطاكية وسائر سواحل الشام وفي حمل عملة الرخام وفرش الرخام فأقيمت باللاذقية وغيرها دور صناعة الرخام » (٢٠) .

وروى يعقوبي في موضع آخر ان المعتصم استعان برجال الفنون والمهنيين فقال « وأقدم المعتصم من كل بلد من يعمل عملا من الاعمال أو يعالج مهنة من مهن العمارة والزرع والنخل والغرس وهندسة الماء ووزنه واستنباطه والعلم بمواضعه من الارض وحمل من مصر من يعمل القراطيس وغيرها وحمل من البصرة من يعمل الزجاج والخزف والحصر وحمل من الكوفة من يعمل الخزف ومن يعمل الادهان ومن سائر البلدان من أهل كل مهنة وصناعة » (٢١) .

ولا ريب ان المسلمين قد استفادوا كثيرا من هذا التعاون ، اذ بفضلهم انتقلت الاساليب الفنية والطرز المعمارية في مختلف مجال الفن الاسلامي من قطر الى آخر ومن مدينة الى أخرى ، وقد أدى انتقال هذه الاساليب الفنية المختلفة الى امتزاج المدارس والانماط الفنية والتقاء فروعها بعضها مع البعض الآخر مما كان له أبعد الاثر في وحدة الفن الاسلامي .

وفي بناء بغداد ، كما قدمنا ، لاحظنا ان المنصور قد حشر الصناع وأصحاب المهن من الشام والموصل والجل والكوفة وواسط والبصرة ، وما

(٢٠) البلدان - يعقوبي صفحة ٢٥٨ .

(٢١) نفس المصدر - صفحة ٢٦٤ .

لاشك فيه ان الطرز الفنية التي ازدهرت في الشام وواسط على يد الامويين لا بد وانها قد التقت بالطرز الفنية المتواضعة التي نمت وترعرعت في المدن الاسلامية الاولى كالكوفة والبصرة بالاضافة الى منطقتي الموصل والجزيرة . ومن هنا نستطيع ان نقرر في ثقة اكيدة ان الذين أشرفوا على بناء المدورة والذين قاموا بالبناء والذين زوقوا المدينة بالطرز الفنية كانوا من العرب المسلمين الذين عاشوا في مدن اسلامية وتحت حكم الامويين تارة وحكم العباسيين تارة أخرى . وسوف تؤكد في الابواب والفصول التالية حينما تتناول بحث بعض المظاهر المعمارية والهندسية التي برزت في بناء المدينة المدورة ، ان الاصول المعمارية لهذه المظاهر الهندسية ليست غريبة على المهندسين والعمال وبقية المعماريين المسلمين ، وانما هي أحد اثنتين ، اما مستنبطة من فكرهم وأبداعهم المعماري ، واما متحدرة مع شيء من التطور عن نماذج وأصول كانت معروفة لديهم في الاقطار التي اقبلوا منها .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ، ان مشروعاً ضخماً كمشروع المنصور هذا ، لا بد وان يكون قد وضع له في اول الامر نموذج مجسم (٢٢) ، اذ المعروف ان الكثير من تخطيط العمار كالتقصير والربط والمساجد ودور العلم ، وما تشتمله من مزايا هندسية وتفاصيل معمارية يصعب على المعمار أو البناء تنفيذ مثل هذه العمار من غير رسم هندسي مخطط مسبق مثل الزخارف الجصية والخشبية والنحاسية والرخامية والواجهات الحجرية ، والقباب والمآذن وأحواضها والمقرنصات (٢٣) انها تنفذ وفقاً لرسوم واشكال

(٢٢) وعلى كل حال فاننا نستطيع ان نعتبر فكرة ايقاد النار في حب القطن في تخطيط اساس المدورة ، كما سيأتي الكلام عنه كنموذج لتخطيط مدينة بغداد .
(٢٣) انظر نماذج من الزخرفة الاجرية للمدرسة الشرايية في كتاب الاستاذ ناجي معروف (المدرسة الشرايية) اللوحات رقم ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ،

معينة ، حيث كان المهندس يقوم برسم المخططات وكان المعمارون ينفذون ما يرسمه المهندس . على ان المعمار يكون احيانا هو المهندس وهو المعمار كما هو الحال في العراق اليوم ، حين يكون المعمار الذي يبني المئذنة هو الذي ينفذ ما يرسمه هو بنفسه كذلك عند بناء المقرنصات ، فالمعروف أن الذي يقوم بتنفيذ هذه المقرنصات هو المعمار نفسه وليس المهندس . وكذلك شأن ازخارف الاخرى ، وقلما نجد أثر المهندس في مثل هذه الامور . ومن حق أي انسان أن يتساءل ، وهو يشهد ثروة عظيمة من المخلفات والعناصر والمباني العربية الاسلامية تنبت هنا وهناك في اراضي واسعة من العالم الاسلامي ، هل ان هذه الآثار المعمارية على اختلاف طرزها وتباين أساليبها وبما فيها من فنون زخرفية وأساليب معمارية قد خرجت الى الوجود وفقا لنماذج مصغرة لها وتصميمات هندسية اولية ، ومن الذي أشرف على تصميمها وتخطيطها حتى أبرزها بهذا الامار الجميل ، أهم مهندسون أقنوا الصنعة أم معمارون ؟ وجوابنا يستند الى النصوص التاريخية والوثائق الاثرية ، ودراسة هذه النصوص والوثائق تدفعنا بأن نجيب على مثل الاسئلة السابقة ، بأن عددا من المهندسين وعددا من المعمارين قاموا بهذه الاعمال وباشروا بأنفسهم الاشراف على العناصر والمباني ، التي يستدعون الى تشييدها والنصوص التاريخية تشير الى انهم كانوا يضعون تصميمات شاملة للعناصر تصاحبها احيانا تصميمات شاملة للعناصر تصاحبها احيانا تصميمات تفصيلية لأجزاء تلك العناصر على الورق او القماش او الجلود ، ولم يقتصر الامر

٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ . وانظر تاريخ علماء المستنصرية للاستاذ ناجي معروف صفحة ٤٥ و ١٣٨ واللوحات ٣ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ .

وانظر : جوامع الموصل) لسعيد الديوه جي اللوحات في صفحة ١٧

على التصميمات المخططة ، بل اننا نلاحظ ان المهندسين الذين أشرفوا على بعض العناثر الاسلامية المهمة وضعوا نماذج مجسمة لها ، ومن ثم فقدت طبقاً لتلك النماذج المجسمة .

ولابد لنا من الاشارة الى ان التصميمات المخططة ، والنماذج المجسمة تتطلب معرفة ببعض المبادئ الهندسية ، وإلمام بالعلوم الرياضية فضلاً عن توافر الخبرة في الرسم والتصوير .

واذا رجعنا الى المصادر ، فاننا نجد ان المصادر والمؤلفات العربية قد تناولت العلوم الهندسية والتخطيطية والرياضية ، وبحث في الحيل الميكانيكية وجر الاثقال (٢٤) ، وقام قسم من المصورين المسلمين بتزيين هذه الكتب باللوحات التصويرية التي توضح ما جاء في تلك الكتب (٢٥) .

غير ان معظم النماذج والمخططات قد فقدت ولم يصلنا منها شيء كي يبقى مثلاً حياً وطيلاً ، تراثنا المعماري والهندسي ، ومع ذلك فان المصادر العربية والاسلامية اشارت الى روايات وأخبار تاريخية تثبت ما قلناه سابقاً بأن المسلمين قد وضعوا رسومات وتصميمات لمبانيهم وعمائرهم .

(٢٤) الفهرست — ابن التديم صفحة ٣٨٥ و ٣٨٦ ، ومفاتيح العلوم للخوارزمي صفحة ١٤١ — ١٤٥ .

(٢٥) من المخطوطات التي عني بتزويقها المصورون المسلمون — كما جاء في مدرسة بغداد في التصوير الاسلامي للدكتور زكي محمد حسن صفحة ١٦ — كتاب الحيل الميكانيكية او كتاب الحيل الجامع بين العلم والعمل (لابن الرزاز الجزري ، الفه لامي من آل ارتق في أواخر القرن السادس للهجرة ١٢١٤ للميلاد) وتكلم فيه على الآلات الضاغطة والرافعة والناقلة والمتحركة حركات خفيفة .

ففي بناء مدينة المنصور المدورة ، ذكرت المراجع العربية (٢٦) ان نموذج تخطيط المدينة قد تم في الموضع الذي شيدت فيه المدينة المدورة وبنفس المساحة والابعاد روى الطبري * « ان المنصور لما عزم على بنائها أحب ان ينظر اليها عيانا فأمر أن يخط بالرماد ثم أقبل يدخل من كل باب ويسر في فصلاتها ومطاراتها ورحابها وهي مخطوطة بالرماد » (٢٧) .

ولكننا نعتقد انه لا بد ان المهندسين الذين وكل اليهم الاشراف على التخطيط الابتدائي وتنفيذ البناء فيما بعد على الارض المهيأة لاقامة العاصمة عليها ، لا بد انهم قد وضعوا النموذج الاول والتصميم الابتدائي المصغر ليطلع عليه المنصور ، اذ المعروف ان من المتعذر على المهندس والبناء قتل وتثبيت المقاييس المطلوبة من دون الاستعانة بالتصميم المصغر ، ولا يستبعد ان المهندسين قد وضعوا مثل هذا التصميم الابتدائي المطلوب ، ولا نستطيع معرفة هيئة ذلك التصميم ، فهو قد يكون على هيئة نموذج مجسم من الخشب او الجبس او الطين ، والذي يجعلنا نرجح ان بناء بغداد والمشرفين على التخطيط فيها قد وضعوا تصميم المدينة الابتدائي المصغر * ما روته كتب التاريخ من عمل النماذج المجسمة لبعض المشاريع العمرانية المهمة ،

(٢٦) البلدان - لليعقوبي صفحة ٢٣٣ وما بعدها ، الطبري - ٢٣٧/٦ والخطيب ١ / ٦٦ وما بعدها ومعجم البلدان لياقوت ١ / ٦٧٧ وما بعدها ومناقب بغداد لابن الجوزي صفحة ١٥ .

(٢٧) الطبري - ٢٣٧ / ٦ .

وهناك مثل يعاصر بناء المدينة المدورة اشارت اليه المصادر العربية ، فقد ذكر الجهشيارى ان المورياني (٢٨) اشار على ابي جعفر باقطاع قطيعة الى ولده صالح (٢٩) وهب المعروفة بالسيطرة من أعمال البصرة ، طلب ابو جعفر الى بعض المهندسين بتصويرها له ، فصورها ، وعرض الصورة عليه فاستحسنها (٣٠) . وهناك مثل آخر سابق عن تأريخ المثال المتقدم ، فقد ذكر العليبي في اثناء كلامه على بناء عبد الملك بن مروان لقبة الصخرة ببيت المقدس قال « فجمع الصناع لعلها وأرصد للعمارة مالا كثيرا يقال انه خراج مصر لسبع سنين ووكل على صرف المال أبا المقدام رجاء بن حياة الكندي وكان من العلماء الاعلام ويقال ان عبد الملك وصف ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها للصناع ، فصنعوا له وهو بيت المقدس القبة الصغيرة التي هي شرقي قبة الصخرة التي يقال لها قبة السلسلة فأعجبه تكوينها وأمر

(٢٨) المورياني - هو سليمان بن مخلد الخوزي يكنى بأبي ايوب المورياني تعرف عليه المنصور في الاهواز حينما سجن في عهد بني امية ، على يد سليمان بن حبيب بن المهلب ، ودافع عنه ابو ايوب المورياني . وحينما استخلف ابو جعفر أصبح كاتبه في اول الامر ثم استوزره بعد ذلك فأصبح وزيرا له . كما جاء ذلك في كتاب الوزراء والكتاب للجهشيارى صفحة ٩٨ .

(٢٩) صالح هذا هو ابن المنصور وقد جاء في كتاب الوزراء والكتاب للجهشيارى صفحة ١١٧ - وكان المنصور يحب ابنا له يقال له صالح ويرق عليه وكان اقطع اولاده جميعا قطائع الاخلاق وكان يقول ابني هذا المسكين لاشيء له ، فلقب بصالح المسكين فقال له ابو ايوب يا امير المؤمنين قد أصبحت ضيعه تقرب من الاهواز وتشرب من دجلة ، وتفيض فيها ، وهي بلد واسع وقد دثرت رسومها وانطمست انهرها... فاقطع المنصور صالحا بتلك الضيعة.

(٣٠) الوزراء والكتاب - الجهشيارى صفحة ١١٧ .

بينائها كهيئاتها » (٣١) .

وقد اشتملت بعض الكتب التاريخية والجغرافية على رسومات هندسية وفي كتاب تحفة الالباب لابي حامد الاندلسي الغرناطي صور منها صورة للهرم وأخرى لمئارة الاسكندرية (٣٢) .

وقد أورد الاستاذ ناجي معروف في كتابه « عروبة المدن الاسلامية » امثلة كثيرة للتصاميم المجسمة (٣٣) . ولا ريب ان مثل هذه الامثلة الكثيرة التي حوتها المصادر العربية تشير الى ان الفنانين والمهندسين المسلمين قد عرفوا صنع هذا النوع من النماذج والتصاميم المجسمة ، سواء اكان ذلك قبل بناء بغداد أم بعدها . وان كان المهندسون والمعمارون المسلمون لمدينة أبي جعفر المنصور، لم يضعوا التصميم المجسم لها ، فانه من الجائز ان يكونوا قد رسموه او صوروه على سطح مستو من الورق أو اقماش أو الجلد ولسنا نقول هذا اعتباطا وانما نستنتج مما رواه الخطيب ، الذي اشار في معرض حديثه عن نقل الاسواق من داخل المدورة الى خارجها في منطقة الكرخ ان الخليفة المنصور دعا (بثوب واسع فحد فيه الاسواق ، ورتب كل صنف منها في موضعه وقال أجعلوا سوق القصايين في آخر الاسواق) (٣٤) .

وان كان المنصور قد وضع تخطيط الاسواق في الكرخ على ثوب واسع ، أي انه وضع للاسواق مخططا مصغرا ، فان من الجائز جدا ، بل وفي حكم المعقول ، ان يأمر برسم تخطيط المدينة المدورة قبل بنائها على

(٣١) الانس الجليل باخبار القدس والخليل - العلمي ١ / ٢٤١ .

(٣٢) المؤتمر الثاني للآثار صفحة ١١٧ .

(٣٣) وللإستزادة بأمثلة أخرى للتصاميم المجسمة ينظر الصفحات ٣٥ ،

٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ من كتاب عروبة المدن الاسلامية .

(٣٤) الخطيب ١ / ٨٠ ومناقب بغداد لابن الجوزي صفحة ١٣ .

قطعة من الورق أو القماش أو الجلد (٣٥) .
فإن لم يكن قد صنع مثل هذا النموذج ، فإن تخطيط الخندق ،
والاسوار ، والفصلان ، والرحبات ، والقصر ، والمسجد ، وبقية مخططات
المدينة المدورة ، قد تم على الارض المستوية التي اقيمت عليها المدينة وبنفس
المساحة والابعاد كماورد ذلك في رواية الطبري التي سبق وأشرنا اليها (٣٦) .
ويستعاض أحيانا عن عمل الرسومات بالتخطيط على الارض لعرض المشروعات
الكبيرة بايضاح اوسع ، وقد فعل ذلك حسن الصياد المهندس حينما طلب
منه السلطان الغروي في سنة ٩١٦ هـ - ١٥١٠ م ان يعرض عليه رسم مدينة
الاسكندرية (٣٧) .

ولم يكتف المنصور بفحص خطوط الرماد أو غيره مما وضع في تعيين
مخططات مدينته المدورة ، وانما امر كما روى الطبري « ان يجعل على تلك
الخطوط حب القطن وينصب عليه النفط فنظر اليها والنار تشتعل ففهمها
وعرف رسمها وأمر ان يحفر أساس ذلك على الرسم » (٣٨) .

(٣٥) سبق وان اشرنا الى ان بعض المهندسين كان قد صور ضيعة
السيطية من اعمال البصرة للمنصور . هذا وقد اشار الاستاذ ناجي معروف
في كتابه (عروبة المدن الاسلامية) الى امثلة مختلفة من التصوير على الجلود
والورق وغيرهما في الصفحات ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ .

(٣٦) الطبري ٦ / ٢٣٧ ومناقب بغداد لابن الجوزي صفحة ٨ .

(٣٧) المؤتمر الثاني للآثار - بحث الاستاذ حسن عبد الوهاب صفحة ١١٧

(٣٨) الطبري - ٦ / ٢٣٧ .

الفصل الثاني

شكل المدينة المدورة

لقد أشرنا الى ان مدينة أبي جعفر المنصور قد اشتملت على بعض العناصر المعمارية المهمة ، والتي تكاد ان تكون بمثابة الامثلة المعمارية الفريدة في العمارة ، والفن ، والتخطيط . وأشرنا أيضا الى ان بعض علماء الآثار الاسلامية الذين تسنى لهم دراسة مدينة بغداد الغريبة في الكتب والمصادر العربية ، وتسنى للبعض الآخر منهم التنقيب في العراق لقتت نظرهم تلك العناصر المعمارية المهمة ، فكتب بعضهم عنها امثال العالم الآثاري البريطاني كريزويل^(١) والعالم الالماني الدكتور هرتسفيلد^(٢) .

(١) ولد كريزويل Creswell باتكلتر عام ١٨٧٩ م ، وبدا دراسته للآثار الاسلامية في عام ١٩١٠ م ، وجاء الى الشرق الاوسط في عام ١٩١٦ ، وزار مصر ضمن (سلاح الطيران الملكي البريطاني) وتسنى له وجوده في الشرق الاوسط زيارة معظم مواضع الآثار الاسلامية في مصر وفلسطين والاردن وسورية . وكتب بحوثا كثيرة ، ويعتبر اضعف مشروع علمي قام به طبع كتابه المرسوم بالعمارة الاسلامية الاولى الذي طبع بمطبعة جامعة اكسفورد بلندن تناول فيه العمارة الاموية والعباسية والطلونية Early Muslim Architecture
واخيرا اوجز مؤلفه في كتاب صغير سماه مختصر العمارة الاسلامية الاولى A short account of Early Muslim Architecture

(٢) الدكتور هرتسفيلد - احد اساتذة جامعة برلين ، وقد كان ضمن البعثة الالمانية التي تولت التنقيب في سامراء عام ١٩١١ م ، حيث نال الامتياز في الحفر فيها (فردريك سارة) Fredric Sarre فعهد هذا الى الدكتور

فقد روى اليعقوبي أن المنصور « جعلها مدورة »^(٣) كما أشار الخطيب إلى « أن أبا جعفر بنى المدينة مدورة »^(٤) وكذلك وضع ياقوت أن المنصور بنى مدينته مدورة^(٥) وذكر الطبري « وبنيت المدينة مدورة »^(٦).
والواضح من حديث اليعقوبي وغيره من المؤرخين ، أن مدينة بغداد الغربية ، كانت دائرية الشكل ، ولكن لم يعقب أي مؤرخ منهم على حياة التدوير التي كانت تمتاز به المدينة ، ولم يشيروا في معرض حديثهم عن تدوير بغداد ، هل كانت على شكل دائرة هندسية منتظمة ، أم انها كانت بيضوية ؟

الذي نستطيع ان نؤكد من روايات الخطيب ، حينما يذكر مساحة بغداد والمسافة بين أبوابها الاربعة ، فهو يذكر عدة روايات في كل رواية

هرتسفيلد Herzfeld مهمة التنقيب والحفر . وقد اهتم هرتسفيلد في تنقيبه بالقصور العباسية البارزة كدار الخليفة او باب العامة وقصر المنقور وقصر العاشق ، وقد اقتصر في ابحاثه على فن الابنية وتزيينها وتزويقها ومختلف النقوش الاسلامية كالنقوش والزخارف الجصية والتخاريم . ولقد عنى الدكتور هرتسفيلد بصورة خاصة بالزخارف الجصية فنشر عنها مؤلفا ثمينا في السلسلة التي نشرتها البعثة الالمانية عن تنقيباتها في سامراء وعنوان

هذا الجزء ، تزيين الجدران وزخارفها في سامراء
Der Wandschmick der Bauten, Von Samarra und seine Ornamentish,
Berlin. 1923.

كما أن له كتابا آخر كتبه بالاشتراك مع زميله سارة ، وهو في جزئين كبيرين:
Archäologische Reise im Euphrat und Tigris Gebiet.

(٣) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٣٨ .

(٤) الخطيب - ١ / ٧٢ .

(٥) معجم البلدان - ياقوت ١ / ٦٨٣ .

(٦) الطبري - ٦ / ٢٦٥ .

منها مسافة معينة ، ولكنه رغم اختلاف رواياته ، فإن شيئا واحدا يتوضح لنا بجلاء وهو انه اورد مسافة معينة واحدة في ثلاث رواياته بين باب وآخر ، فهو يروي عن يحيى بن الحسين بن عبد الخالق فيقول « خط المدينة ميل في ميل »^(٧) ويروي رواية أخرى عن وكيع ان مدينة المنصور المدورة «قطرها من باب خراسان الى باب الكوفة الفا ذراع ومائتا ذراع ، ومن باب البصرة الى باب الشام الفا ذراع ومائتا ذراع »^(٨) ، وهذه الرواية تشير الى ان المدينة مدورة تدويرا كاملا ، وان ابعاد ابوابها الاربعة متساوية . ولقد كبر على بعض علماء الآثار الاسلامية ان يروا مثل هذا التخطيط الدائري لمدينة بغداد ، وشق عليهم ان يكون الفكر العربي الاسلامي قد نضج في منتصف القرن الثاني للهجرة ، الثامن للميلاد ، وتخطى مجال السياسة والثقافة والعقيدة الى عبقرية فذة متألفة في ميدان العمارة والتخطيط ، ويقيني انه اصبح من الصعب عليهم ان يعترفوا بالطاقة الحضارية الكامنة في وجدان الامة حتى تملي على دنيا العمارة حدثا مهما في الهندسة والتخطيط .

يذكر كريزويل بأنه من الواضح ان الاسوار الدائرية المبكرة كانت عبارة عن معسكرات حربية آشورية^(٩) حيث ان هرتسفيلد قد جمع منها عددا يرجع الى عهد شلمنصر الثالث Shalmaneser III ٨٥٨—٨٢٤ ق.م^(١٠)

(٧) الخطيب - ١ / ٧٠ .

(٨) نفس المصدر - صفحة ٧٣ و ٧٤ .

(٩) Early Muslim Architecture, Vol. II p.18.

(١٠)

History of Art in Chaldea and Assyria, Perrot and Chipiez, II, Plate XII.

وصورة المعسكر الآشوري موجودة بالنسخة

الفرنسية أيضا لهذا الكتاب في الصفحة ٣٤٢ ، الشكل رقم ١٥٥ .

وبعضها كان بيضويا تاما ، الا ان واحدة فقط ترى على لوحة عشر عليها
لايارد^(١١) في نينوى ، وكانت دائرية تماما مع شوارع متقاطعة من الشمال
الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب^(١٢) كما في الشكل - ٦ .

(١١) لا يارد Layard كان ممثلا سياسيا في العراق . اهتم بخرائب
نمرود بالدرجة الاولى فخصها بحفرياته عام ١٨٤٣ ونقب ايضا في تلول اثرية
كثيرة ولكن على نطاق ضيق ، وحفر لا يارد في مدينة نينوى في التل المعروف
بتل قوينجق ووجد في مدينة النمرود منحوتات كبيرة نقل الكثير منها الى المتحف
البريطاني .

(١٢)
A short account of Early Muslim Architecture, Creswell, p.170

وفي ردنا على هذا قول ، ان الامثلة التي اوردها كريزويل هي عبارة عن بعض المعسكرات أو المخيمات الحربية ، وطبيعي ان بلاد آشور وهي بلاد جبلية ، كانت معسكرات للجنود تقوم على قمم الجبال ، او على ربايا مرتفعة ، وقمم هذه الجبال تكون على الاكثر على هيئة دائرية ، فلا بد والحالة هذه ان تأخذ المعسكرات شكل القمة المدورة تقريبا ، ثم انه ليصعب علينا ان نتخيل ان بناء المدينة المدورة ، حينما خططوا المدينة قد تأثروا بتلك المعسكرات الآشورية سواء في ناحية الفكرة او الاسلوب أو التنفيذ ، اذ انها في الواقع ، لم تكن ظاهرة للعيان في عهدهم ، وانما كانت عبارة عن خرائب مطمورة تحت الانقاض هي والالواح التي عثروا فيها على اشكال المعسكرات الآشورية ، والتي استطاع المنقب لا يارد ان يعثر عليها في نينوى .

ولقد حاول بعض الباحثين ، لفت النظر الى اوجه الشبه بين مخطط قصر الأخيضر ومخطط المدينة المدورة^(١٣) . غير اننا لا نذهب الى هذا الرأي ونرى ان محاولة هرتسفيلد وغيره من الباحثين في هذا الميدان غير مثمرة ، وذلك لان اوجه الشبه التي يذكرونها متصيدة وغير واضحة . هذا وقد راح كريزويل يبحث عن بعض المدن القديمة ذات التخطيط الدائري أو الشبيه بالدائري ، فذكر عدة امثلة منها^(١٤) :

(١٣) انظر مخطط مدخل قصر الاخضر ، وتخطيط بغداد لهرتسفيلد نقله عنه كريزويل في كتابه ٩ العمارة الاسلامية الاولى (الجزء الثاني صفحة ١٢ وانظر المخطط على الصفحة (١٧١) من كتابه المختصر . وشكل ٩ - المرفق مع هذه الرسالة .

(١٤) انظر Early Muslim Architecture, Vol. II p.18, 19. كتاب العمارة

وتقع على بعد خمسين ميلا من الاسكندرونه وقد اكتشفتها (الجمعية
الامانية الشرقية Deutsch Orient Gesellschaft ويظهر انها سكنت
منذ القدم في الالف الثاني قبل الميلاد واصبحت في القرن الثامن قبل الميلاد
مدينة مهمة لها سور مزدوج على شكل دائرة كاملة قطرها حوالي (٧٠٠ متر)
وفيها ثلاث بوابات مزدوجة وعلى جانبي كل منها برجان و ٩٤ برجا بين
مدخل وآخر وكانت القلعة في الوسط (١٥) .

تقع على بعد ٦٠ كيلومترا شرقي نصيبين على طريق الموصل ، وهي
ذات سور دائري محيطه (٤٥٠) مترا . له (٣٥) برجا موزعة بين مسافات
متساوية مبنية من كتل حجرية ضخمة ، وقد اجريت ترميمات للسور من
احجار طينية (١٦) .

الاسلامية لكزويل . الجزء الثاني صفحة ١٨ و ١٩ وانظر الصفحة (١٧٢)

من كتابه المختصر .

Koldewey, in Von Luschan, Ausgrabungen in Sendschirli. (١٥١)

Mission archeologique in Haute Djezire in Syria, XI, p.40. (١٦)

٣ - أكباتانا • Hagmatana

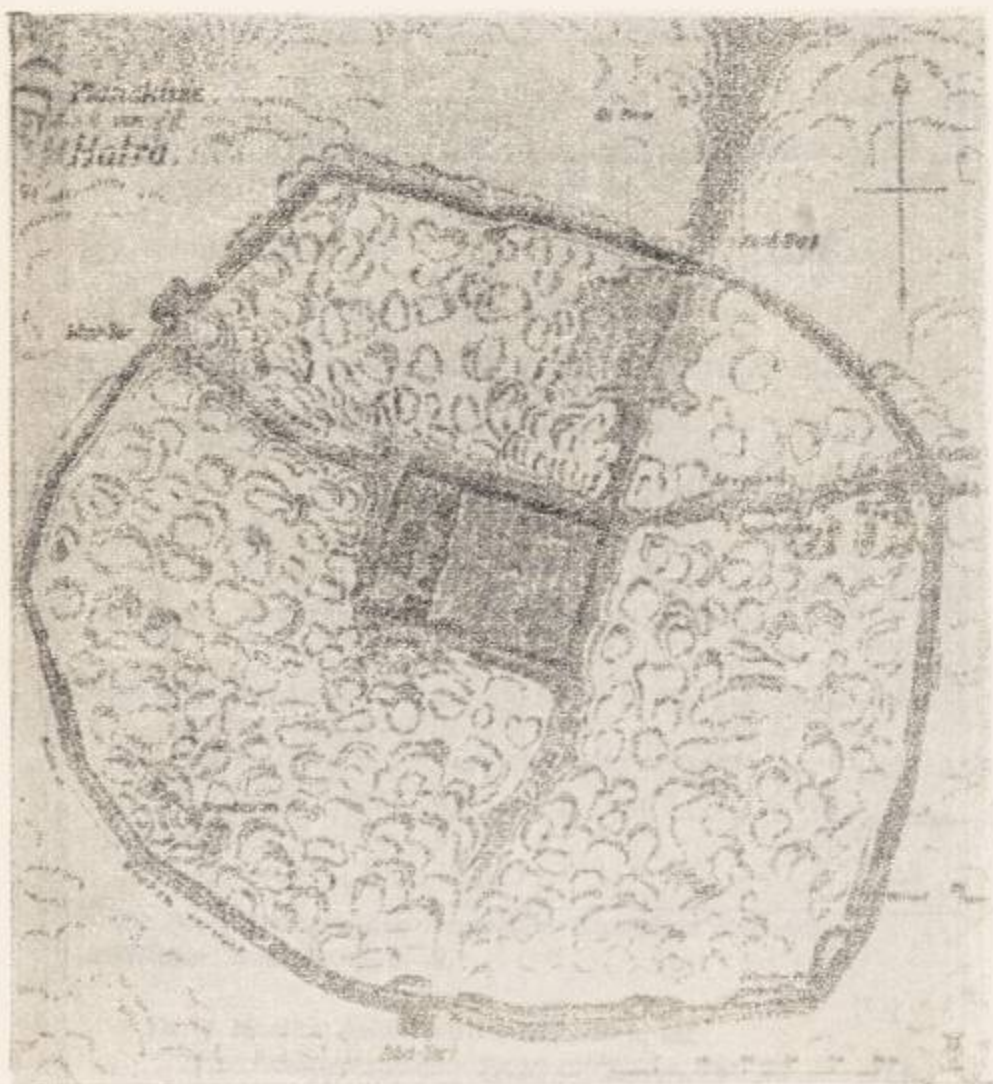
وتعرف عند الاغريق باكباتا ، بناها ديوسيس في النصف الاول من القرن السابع قبل الميلاد^(١٧) .

٤ - مانتينيا • Mantinea

بناها أخمينودس عام ٣٧١ قبل الميلاد ، والظاهر انها كانت بيضية تماما ، حيث تقب فيها عام ١٨٨٨ ، ومسحت المدينة بواسطة آلة عداد الدورات tachometer فكان محورها المركزي الاكبر من الشمال الى الجنوب قياسه ١٣٤٠ مترا ، والقطر الثانوي الآخر من الشرق الى الغرب قياسه ١٠٨٠ مترا^(١٨) .

Noldeke, Etudes historiques sur la Perse ançienne p. 6-13. (١٧)

Fouills de Mantinée, Bulletin de Corresp heilenique, XIV, (١٨)
p. 65-79



(شكل - ٧ الحضر)

1897-98

Signature

1897-98



(200 - 1000)

٥ - طيسفون Hatre

بناها البارثيون ، محاطة بسور سمكه (١٠) أمتار معزز بأبراج دائرية ، وقد جرف قسما منها نهر دجلة الذي يجري الان خلال مركز الموقع وقد جعل روبر Reuther لها شكلا يبيضا ابعاده 3300×2800 مترا (١٩) .

٦ - الحضر Ctesiphon

من بلدان القرن الاول والثاني بعد الميلاد ، ذات سياج دائري تقريبا قطراه $1700 - 2000$ متر ، له ثلاث ابواب مع قصر في الوسط او الى القرب منه (٢٠) (انظر الشكل - ٧) .

٧ - حران Haran

وقد زارها كريزويل في عام ١٩١٩ ، وكان انطباعه عنها ، ان الجزء من جدار السور بمظهره المختلف يعود الى عصر البيزنطيين . وقد رسم مخطط لأسوارها بواسطة البوصلة التي اشارت الى سياج دائري ، قطره من الشمال الى الجنوب 1500 متر ومن الشرق الى الغرب 1250 (٢١) .

(١٩) Die Ausgrabungen der Deutschen Ktesiphon Expedition in Winter, Reuther, p. 6—9.

(٢٠)

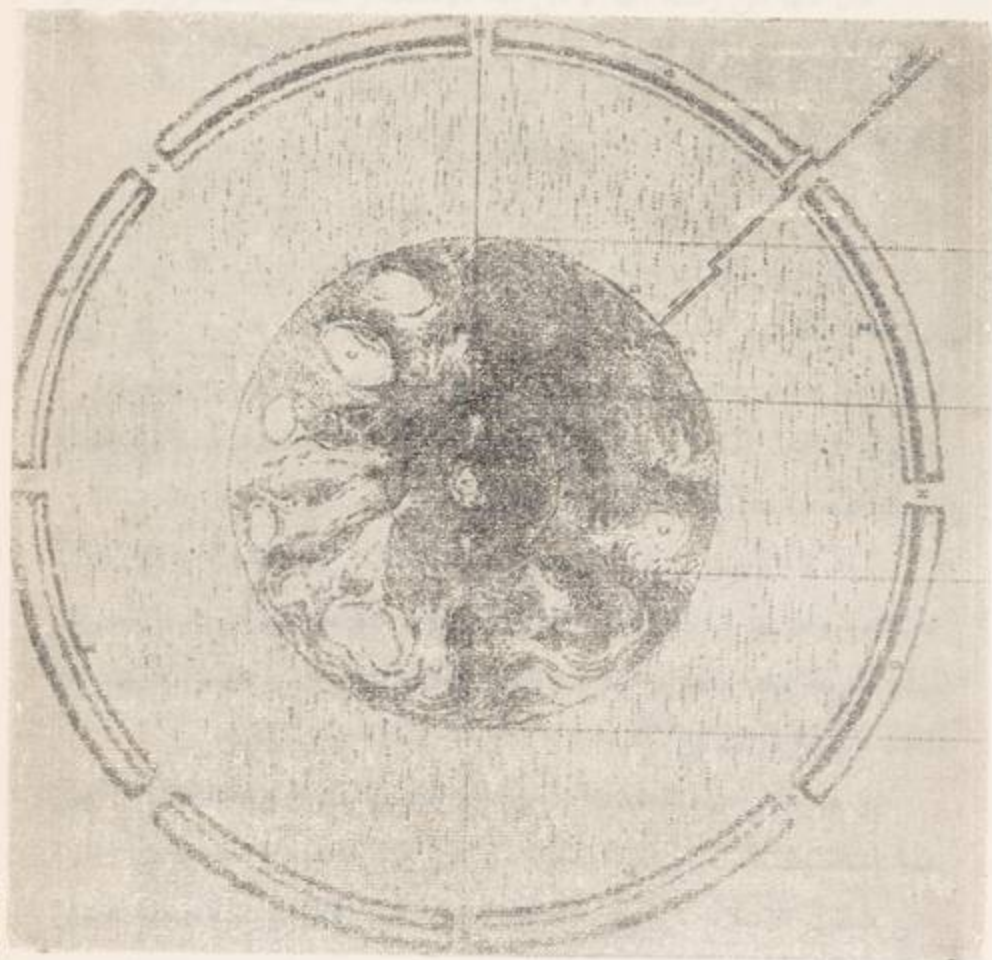
Early Muslim Architecture, Vol. II p. 20.

Nord Mesopotamische Baudenk maler, Taf, 72. (٢١)

وهي موقع مشهور ، في مقاطعة فارس^(٢٢) ، وقد فحصت من قبل فلاندين Flandin وكوسته Coste في عام ١٨٤٠ م والذي اظهر انهما محاطة بأسوار خارجية ذات سمك عشرة امتار وبدائرة كاملة ذات قطر ١٢٢٠ م . محاطة بخندق عرضه خمس وعشرون مترا ، وبمساحة دائرية سعتها ٢٦٢٥ م . وفي وسط هذه المساحة الداخلية تل ارتفاعه حوالي ٥٠ مترا وقطره (٢٤٠ مترا) وهناك بقايا اثار للابواب الثمانية موزعة بين مسافة قدرها (٤٥) مترا من الشمال الى الشمال الشرقي ، والشرق والجنوب الشرقي ثم المركز^(٢٣) . (انظر شكل ٨ -)

(٢٢) احسن التقاسيم - المقدسي صفحة ٢٤١ .
Early Muslim Architecture, Vol. II p. 20.

(٢٣)



(شکل - ۸ دارابجرد)

1000
 1000
 1000

1000
 1000
 1000



1000
 1000
 1000

٩ - أصفهان Isfahan

قال عنها ابن رسته انها « من بناء الاسكندر مستوية التدوير، ومحيطها ستة آلاف ذراع ولها اربعة ابواب وفي سورها مائة برج » (٢٤) .

١٠ - هرقله Hiraqla

ولا بد لنا قبل ان نحكم حكما اخيرا على المصدر الرئيس الذي استقيت منه هذه الظاهرة المعمارية ، ان نشير الى ان النماذج العشرة التي ذكرها كريزويل ، كان يجب ان يضاف اليها مثلان آخران اذا أريد للبحث ان يستوفي شروط الكمال . والمثلان اللذان احب ان استشهد بهما في هذا المجال هما مدينة (مأرب) ومدينة (الكوفة) .

وقد قام آرنو بعمل رسم تخطيطي لمدينة مأرب القديمة وذكر انها مستديرة وان بها ثمانية ابواب (٢٥) . وقد اورد جرجي زيدان رسما تخطيطيا لهذه المدينة ايضا بعد خرابها ، ويؤخذ مما عثر عليه من اقراص مأرب انها كانت مستديرة الشكل (٢٦) .

ونحن نعلم ان بناء مدينة مأرب من العرب اليمنيين وهذا يعني ان مثل هذا التخطيط الدائري للمدن معروف لدى عرب الجزيرة العربية في الفترة التي سبقت الاسلام ، وليس بعيد ان تظل في اذهان عرب الحجاز ذكرى

(٢٤) الاعلاق النفيسة - ابن رسته صفحة ١٦٠ .

(٢٥) دراسات في تاريخ الشرق القديم - الدكتور احمد فخري صفحة ١٧٦

(٢٦) العرب قبل الاسلام - جرجي زيدان صفحة ١٤٢ .

المدينة اليمنية مأرب المدورة ، ثم لم تلبث فكرة التخطيط الدائري للمدن ان نفذت في فجر الاسلام في مدينة الكوفة ، والتي نرجح بما توفر لدينامن بعض النصوص التاريخية وبصورة خاصة ما جاء عن البلاذري وياقوت انها دائرية .

جاء في تاج العروس « سميت الكوفة بالكوفة لاستدارتها »^(٢٧) وذكر البلاذري عن الاثر « وقد قيل التكوف الاجتماع ، وقيل ايضا ان المواضع المستديرة من الرمل تسمى كوفاني »^(٢٨) وقال ياقوت « سميت الكوفة لاستدارتها اخذا من قول العرب رأيت كوفانا ... للميله المستديرة »^(٢٩) وقال ياقوت ايضا « والكوفان الاستداره »^(٣٠) وقال صاحب كتاب تقويم البلدان مثل الذي قاله ياقوت بأن الكوفة سميت كذلك لاستدارة بنائها^(٣١) من هذين المثالين نستطيع ان نستنتج ان تاريخ العمارة وتخطيط المدن قد عرف الاسلوب الدائري في الفترة التي سبقت الاسلام في مدينة مأرب ، وبعد الاسلام في الكوفة ، ثم تكامل هذا التخطيط لدى العرب والمسلمين ، بعد ان تمرسوا في مجال البناء والتعمير ، فنضجت ملكاتهم الفنية ، حتى تسنى لهم ان يضعوا خبراتهم وفنونهم موضع التنفيذ في بناء بغداد ، فجاءت مدينة فريدة اعتبر تخطيطها المستدير انموذجا من اهم نماذج تخطيط المدن التي عرفت في التاريخ .

ويؤكد الدكتور احمد فكري ان تخطيط بغداد الدائري مبتكر صدر

(٢٧) تاج العروس - ٦ / ٣٤٠ (مادة ك و ف) .

(٢٨) فتوح البلدان - البلاذري صفحة ٢٧٥ .

(٢٩) معجم البلدان - ياقوت ٤ / ٣٢٢ .

(٣٠) نفس المصدر ٤ / ٣٢١ .

(٣١) تقويم البلدان - ابو الفدا صفحة ٣٠١ .

عن خيال الخليفة المنصور وان هذا التخطيط كان من نتائج الاستنباط في الفكر العربي الصميم (٣٢) .

وتظهر ظاهرة الاستنباط هذه ، بصورة واضحة وجلية ، مما رواه الخطيب ان المنصور حين اعتزم بناء عاصمة ملكه ، احضر اثنين من المهندسين ، هما الحجاج بن أرطاة وابو حنيفة النعمان بن ثابت واحضر معهما أهل المعرفة « ومثل لهم صفة المدينة التي في نفسه » (٣٣) .

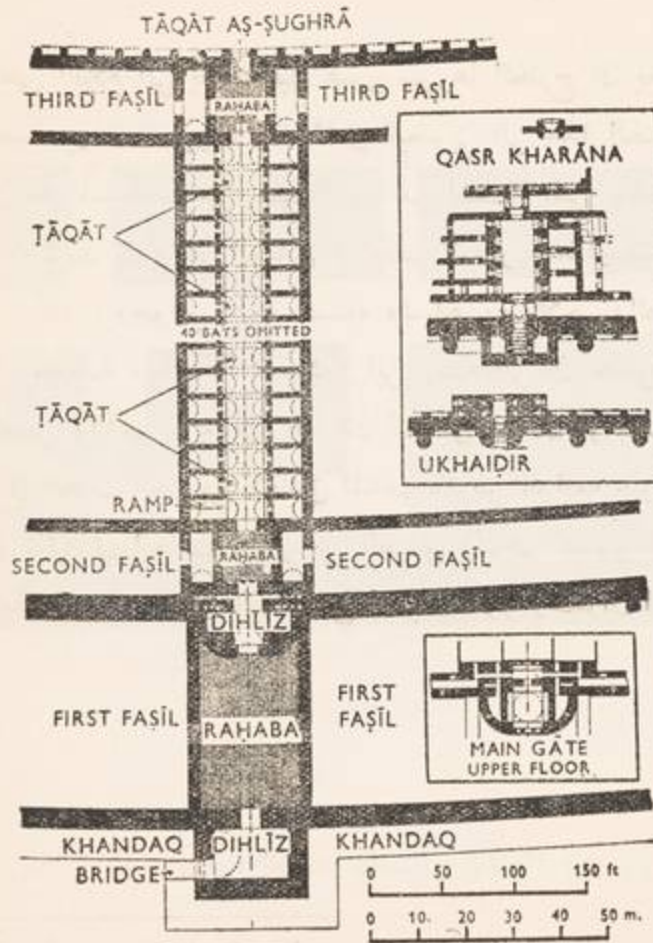
اذا فصفة تخطيط المدينة المدورة ، املاها المنصور بنفسه ، ووفق رغبته ، على المهندسين والبنائين ، وليس في المصادر التاريخية المختلفة اشارة واحدة ، تشير الى اقتباس ذلك التخطيط الدائري ، عن معسكر أو حصن أو مدينة سابقة لها . ومن يدعي ان تخطيط بغداد الدائري مقتبس من غيرها من المدن ، مطالب ان يثبت ذلك بنص تاريخي يوثق به اولا ، ويثبت لنا ثانيا ان المنصور شاهد بنفسه او اطلع على تخطيط دائري لمدينة سبقت بناء بغداد .

وقد ظهر تأثير تخطيط بغداد الدائري ، فيما بعد في مدينة صبره بشمال افريقية التي روى عنها المقدسي بانها « مدورة مثل الكأس لا ترى مثلها ودار السلطان وسطها على عمل مدينة السلام والماء يجري وسطها » (٣٤) .

(٣٢) المدخل - الدكتور احمد فكري الصفحات ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ .

(٣٣) الخطيب - ١ / ٦٧ .

(٣٤) احسن التقاسيم - المقدسي صفحة ٢٢٦ . وروى المقدسي عن صبره ايضا بانها شديدة العمارة حسنة الاسواق ، بها جامع السلطان وعرض سورها اثني عشر ذراعا منفصلة عن العمارة . وقال عنها ياقوت في معجمه ٣ / ٣٦٦ - بانها بلد قريب من مدينة القيروان وتسمى المنصورية ، وقال البكري صبره متصلة بالقيروان بناها اسماعيل بن القاسم بن عبيد الله سنة ٣٣٧



(شكل ٩ - مخطط لحدى البوابات الخارجية والداخلية والرحبة والطاقت في مدينة المنصور المدورة • جون هرتسفيلد وسارة)

الفصل الثالث

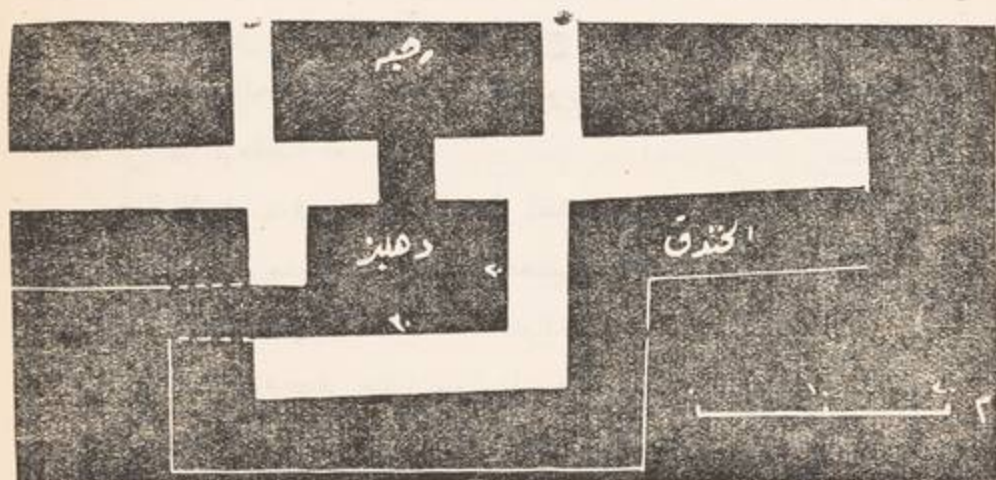
الخندق والمسناة

كان على القادح الى بغداد قبل عبور سورها الخارج ان يجتاز اولاً الخندق المحيط بهذا السور ، وقد اشار اليعقوبي الى هذا الخندق فقال « والخندق بعد المسناة قد جرى فيه الماء من القنطرة التي تأخذ من نهر كرخايا »^(١) وكانت تقوم على الخندق في جانب السور سدة او مسناة تدور حول السور كله ، وجوانب هذه المسناة مشيدة من الآجر والصاروج وهي متقنة ، محكمة ، عالية^(٢) . ويشير ابن رسته الى ان حافتي الخندق قد بنيتا بالجص والآجر^(٣) . أي انه كان للخندق سدتان او مسناتان ، واحدة منها في الجانب الخارجي للخندق المتاخم للأرض الواقعة خارج المدينة المدورة ، والثانية في الجانب الآخر من الخندق المتاخم للسور الخارج ، وكانت وظيفة هذه المسناة او السدة هي حماية السور وجدران المدينة من

(١) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٣٩ .

(٢) نفس المصدر - صفحة ٢٣٩ .

(٣) الاعلاق النفيسة - ابن رسته صفحة ١٠٨ .



(الشكل - ١٠ الخندق والمسناة ومدخل السور الخارجي المزور)

تسرب مياه الخندق إليها ، مما يسبب بمرور الايام والسنين تآكل الاجزاء القريبة من الخندق . (انظر الشكل - ١٠) .

ومن الجدير بالذكر ، ان حفر الخندق حول مدينة ابي جعفر المنصور كان يقصد منه زيادة تحصين المدينة ، وقد بينا سابقا ، ان من الاهداف التي كان الخليفة يرمي الى تحقيقه في بناء مدينته ، هو الهدف العسكري والى جعل المدورة محلا لسكناه وسكنى حاشيته وحرسه ورعيته ، لذا كان من المستحسن حصر المدينة من الخارج بخندق مملوء بالماء . وكان مصدر مياه هذا الخندق ، كما يروي اليعقوبي من القناة التي كانت تأخذ مياهها من نهر كرخايا^(٤) .

وهذا الاسلوب في تحصين المدن أو القلاع ، عرفه العرب قبل الاسلام وبعده حيث كانت بعض حصون اليمن تحاط بخنادق^(٥) ، كما ان المصادر العربية تشير الى ان الرسول عليه الصلاة والسلام حينما علم بتآلف الاحزاب من المشركين عليه قام بحفر خندق حول المدينة^(٦) . أما عرض هذا الخندق ، فغير معروف على وجه التأكيد ، اذ ان المصادر العربية امسكت عن ذكره ، لذا فان جميع ما يقال عنه مجرد تخمين واستنتاج ولقد ذكر كريزويل ان عرض هذا الخندق لا يمكن ان يكون أكثر من ١٢ ذراعا^(٧) أو ستة امتار^(٨) .

(٤) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٣٨ .

(٥) تاريخ العرب - الدكتور جواد علي ٨ / ٤٩ .

(٦) السيرة النبوية - ابن هشام ٢ / ٢٢٤ .

(٧) Early Muslim Architecture, Vol. II p. 10-11.

(٨) اختلف الباحثون في تحديد طول الذراع العربي وقد حقق العلامة الايطالي نلينو طوله بدقة كما كان مستعملا في بغداد في العهد العباسي وتوصل الى انه يساوي (٤٩٣٣) ملم اي حوالي ٥٠ سم أو نصف المتر كما ورد

الفصل الرابع

السور الخارج وبواباته

يحاذي هذا السور المسناة ، ويدور معها دورة كاملة مع استدارة المدينة ، والظاهر ان هذا السور كان أقل سمكا وارتفاعا من السور الثاني الذي يليه ، اذ ان اليعقوبي حينما يشير اليه يسميه السور فحسب ، بينما يطلق لفظة (الاعظم) على السور الآخر^(١) كما ان الطبري قال في رواية له ان السور الداخل اطول من الخارج^(٢) . ويسميه الخطيب بالسور الاول فقد روى « ثم السور الاول وهو سور الفصيل ودونه خندق »^(٣) .

وقد امسكت المصادر العربية عن وصف هذا السور ، لهذا فانه ليس لدينا معلومات تاريخية ثابتة واكيدة عن عرضه وارتفاعه ، غير ان الطبري اورد مقاييس لأحد الاسوار يظن انها ربما تكون ابعادا لهذا السور^(٤) فقد

ذلك في علم الفلك عند العرب لتلينو صفحة ٢٨٩ وقد رجح الدكتور احمد سوسه تقدير تلينو باعتبار الذراع ٥٠ سم ونحن نرجح هذا الرأي ايضا مستنتجين مما رواه اليعقوبي في البلدان صفحة ٢٦٦ بأن المتوكل جعل عرض الشارع الاعظم مائتي ذراع ، وبعد ان اظهرت مديرية الآثار هذا الشارع وقيس وجد ان عرضه ما يقارب مائة متر . وجاء في معجم الياقوت ٤ / ٨٨٥ ان مسجد الحجاج في واسط مائتين في مائتين . وبأخذ من نتائج التنقيبات كما جاء في كتاب واسط لقواد سفران ابعاد جامع الحجاج ٣٠ ر ١٠٤ × ١٠٣ ر ٥٠ .

(١) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٣٩ .

(٢) الطبري - ٦ / ٢٦٥ والخطيب - ١ / ٧٣ .

(٣) الخطيب - ١ / ٧٤ .

(٤) بغداد في عهد الخلافة العباسية لسترنج صفحة ٢٧ .

قال بأن المنصور أمر ان يجعل عرض السور من اسفله خمسين ذراعا وقدر اعلاه عشرين ذراعا^(٥) . ويذكر كريزويل ان ارتفاعه يجب ان يكون على الاقل (٢٤ ذراعا)^(٦) بينما يشير هيرتسفيلد الى ان نسبة ارتفاع السورين، الاول والثاني هي ١/٤ فافترض لذلك ان ارتفاع هذا السور (٢٨) ذراعا وسمكه (٨) اذرع^(٧) والذي يبدو ان وظيفة هذا السور لم تكن دفاعية محضة ، اذ ان اساليب الدفاع عن المدينة المدورة لا تعتمد عليه بالدرجة الاولى اذ الثابت ان السور الاعظم هو السور المعول عليه كما سيأتي بحثه في الصفحات التالية .

وليس لدينا من النصوص ما يؤيد أو ينفي وجود الابراج او الدعامات لهذا السور إذ ان المصادر العربية لم تشر اليها كما اشارت الى وجودها في السور الاعظم ، ومن المرجح ان تكون له دعامات تزيد من قوته ، وتكسبه منعة وتماسكا ، ويظن هرتسفيلد بوجود مثل هذه الدعامات أو المساند المدورة التي تدعمه مثل جميع اسوار سامراء ، حتى تلك التي لا تؤدي وظيفة حربية^(٨) .

ابواب السور الخارج

كان للسور الخارج اربعة ابواب ، فقد ذكر اليعقوبي ان المنصور « جعل للمدينة اربعة ابواب ، بابا سماه باب الكوفة ، وبابا سماه باب

(٥) الطبري - ٦ / ٢٣٨ .

Early Muslim Architecture, Vol. II. p. 11.

(٦)

Archäologische Reise im Euphrate und Tigris, Band II p.119. }
 Archäologisch Reise., Band II p. 119. (٨)

البصرة ، وبابا سماه باب خراسان ، وبابا سماه باب الشام »^(٩) ويحدد الخطيب اتجاه هذه الابواب بالاتجاهات الاربعة المعروفة ، شرقي وغربي وقبلي وشمالي^(١٠) . والذي يبدو ان ابواب المدينة هذه كانت باتجاهات المدن الاسلامية المشهورة ، وعلى الطرق المؤدية منها واليها ، وكانت كل باب من تلك الابواب مخصصة لدخول اهل مدينة من المدن ، روى الخطيب انه « اذا جاء احد من الحجاز دخل من باب الكوفة ، واذا دخل من المغرب دخل من باب الشام ، واذا جاء احد من الاهواز والبصرة وواسط واليسامه والبحرين دخل من باب البصرة ، واذا جاء الجائي من المشرق دخل من باب خراسان »^(١١) اما المسافة بين هذه الابواب ، فكما هو واضح من رواية اليعقوبي ، ان بين كل باب منها الى الآخر خمسة آلاف ذراع^(١٢) .

هذا بينما يذكر الخطيب رواية مصدرها رباح البناء - الذي قام ببناء سور المدينة المدورة - ان المسافة بين كل باب من ابواب المدينة الى الباب الآخر ميل^(١٣) . أي اربعة آلاف ذراع^(١٤) . والذي يبدو من روايتي اليعقوبي والخطيب ان ابواب مدينة بغداد الاربعة كانت متناظرة تقابل احداها

(٩) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٣٨ والاعلاق النفيسة - ابن رسته

صفحة ١٠٨ .

(١٠) الخطيب - ١ / ٧٤ .

(١١) الخطيب - ١ / ٧٢ ومناقب بغداد - ابن الجوزي صفحة ١٠

ومعجم البلدان - ياقوت ١ / ٦٨٢ .

(١٢) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٣٨

(١٣) الخطيب - ١ / ٧١ و ٧٢ ومعجم البلدان لياقوت ١ / ٦٨٣ ومناقب

بغداد لابن الجوزي صفحة ٩ .

(١٤) الميل - كما جاء في معجم ياقوت ١ / ٣٨ - اربعة آلاف ذراع .

الآخري، وعلى مسافة واحدة، وبعد مضي سنين عديدة، تداخلت المحلات والاماكن في مواضع هذه الابواب، وقام منها مدينة بغداد في الجانب الغربي. وكان لكل باب من ابواب هذا السور الخارج دهليز طوله ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً^(١٥) بينما يروي اليعقوبي ان المنصور « جعل لأبواب المدينة اربعة دهاليز عظيمة أزاجاً كلها طول كل دهليز ثمانون ذراعاً كلها معقوداً بالآجر والجص فاذا دخل من الدهليز الذي على الفصيل وافى رحبة مفروشة بالصخر ثم دهليزاً على السور الاعظم »^(١٦) . ومما يتعلق بهذه الابواب، ظاهرة معمارية فريدة يجدر بنا ان نشير اليها ونناقش بروح محايدة الاصل الذي انحدرت منه هذه الظاهرة، فقد روى الخطيب انه « اذا دخل الداخل من باب خراسان الاول عطف على يساره في دهليز أزج معقود بالآجر والجص عرضه عشرون ذراعاً وطوله ثلاثون ذراعاً المدخل اليه في عرضه والمخرج منه من طوله »^(١٧) .

رحم الله الخطيب، المؤرخ الذي قص علينا بأسطر مقتضية وموجزة أهم حدث في تاريخ تراثنا المعماري، فلو ان الخطيب تجاهل هذه الظاهرة مثل غيره ممن كتب عن بغداد المدورة لذهب جزء كبير من مظاهر الفنون والعمارة الاسلامية دون ان يفتن اليها احد . ومن كلمات الخطيب الواضحة هذه، تبرز لنا بصورة جلية في ابواب مدينة بغداد ظاهرة المدخل المنحرف أو المزور

The Bent Entrance

ومعنى هذا ان الداخل من الباب الى

الرحبة او الساحة التي تلي الباب الخارجية لا يستطيع المرور اليها بطريق

(١٥) الخطيب - ٧٤/١ .

(١٦) البلدان - اليعقوبي - صفحة ٢٣٩ .

(١٧) الخطيب - ٧٤/١ . وكذلك يشير ياقوت في معجمه ٢/ ٩٥٤ الى

هذا الازورار فيقول « وقيل انما سميت بالزوراء وذلك لان المنصور حين عمرها جعل الابواب الداخلة مزورة عن الابواب الخارجة اي ليست على سمتها » .

مستقيم ، بل لابد له من الانحراف الى جهة اليسار ، فالمدخل والحالة هذه ملتو او على شكل زاوية قائمة (انظر شكل رقم - ١٠) وهذا الطراز من المداخل يخفي وراءه اسلوبا عسكريا فالمدخل المنحني او المزور ، أو البوابة ذات الممر المنحرف الى اليسار ، لوحظ فيه ان يضطر الغزاة بعد اقتحامهم الى الانحراف الى اليسار للعبور من مدخل ثان ، فتعرض جوانبهم اليمنى للسهم الموجهة اليهم وكان الجند يحملون التروس بأيديهم اليسرى فتبقى جوانبهم اليمنى مكشوفة .

كان هذا العنصر المعماري المبتكر مثار المناقشات بين علماء الآثار الذين ادعى بعضهم انه كان معروفا من قبل في بعض القلاع البيزنطية في شمال افريقية ، في حين انكر البعض الاخر هذا الادعاء ، ووضح ان المثل البيزنطي المعروف انما يرجع تأريخه الى سنة ٨٥٩ م أي بعد انشاء بغداد بما يقرب من مائة سنة (١٨) .

ولقد أهتم الآثاري البريطاني كريزويل بهذه الظاهرة المعمارية فجمع بعض الامثلة من التاريخ القديم ، فذكر ان المدخل المنحني كان يعرف في التاريخ المصري القديم اذ وجد نموذجان منها يمتد تأريخهما بين الاسرة السادسة والثانية عشرة ولا زالتا باقيتين غير ان احدهما يوجد فيه انحراف الى اليمين ، والاول من هذين النموذجين مبني باللبن يسمى حصن « كوم ولازالت جدرانها يبلغ ارتفاعها Kom Al-Ahmar الاحمر » (١٩)

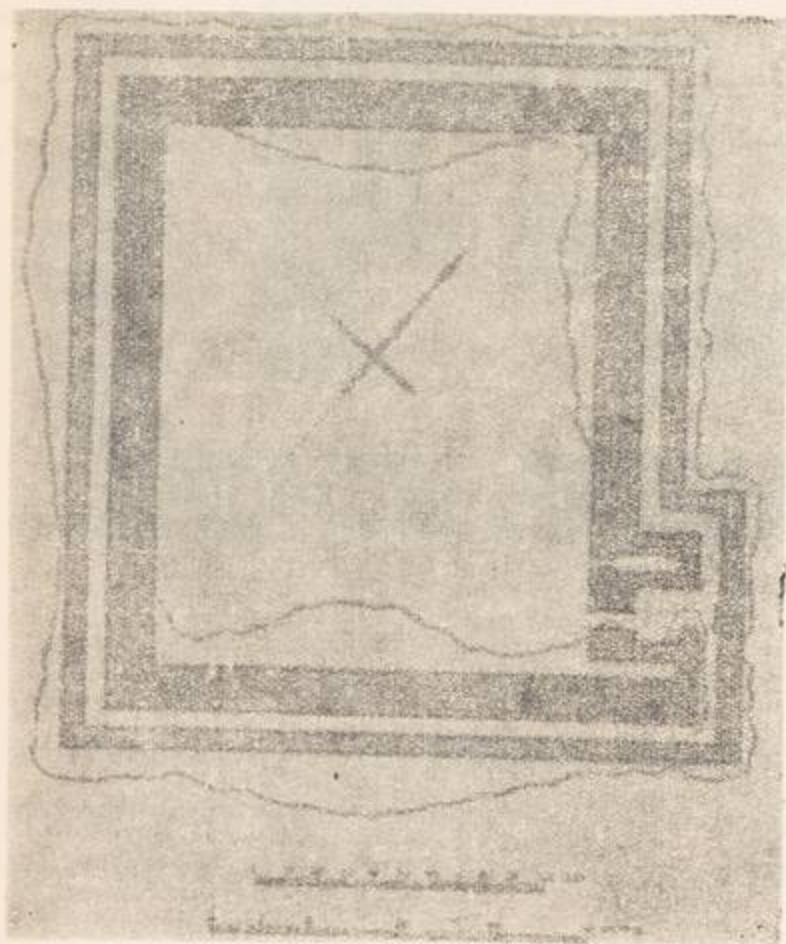
(١٨) المدخل - الدكتور احمد فكري صفحة ٢٤ تراجع هذه الاراء ومناقشتها في الصفحات من ٢٤ الى ٢٩ من كتاب كريزويل العمارة الاسلامية الاولى
Early Muslim Architecture, Vol. II p. 24-26.

وصفحات ١٧٥ - ١٧٩ في كتابه المختصر .

(١٩) يقع حصن الكوم الاحمر على الجانب الايسر من نهر النيل ، وقد

تسعة أمتار ومساحته ٧٥×٦٦ مترا (انظر الشكل — ١١) محاط بجدار خارجي اقل سمكا ، يقع قرب زاوية على شكل برج بارز ، ويتألف من مدخلين في جانبيين متعاكسين من الساحة ، ويبلغ ابعاد كل منهما ٥×٤ متر (٢٠) .

ذكره المقرئري في الخطط ٢ / ١٤٩ فقال عنه « وهو اليوم حافة خليج مصر تجاه خط بين الزقاقين ليصل ايضا من الكوم الاحمر الى باب مصر » .
Early Muslim Architecture, Vol. II p. 23. (٢٠)



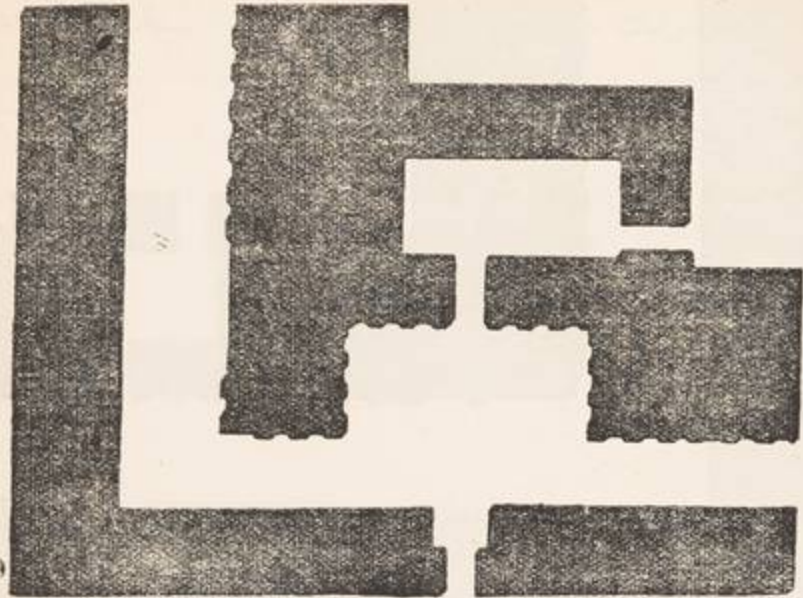
شکل - ۱۱ حصن کوم الاحمر - عن کریزویل

اما النموذج الثاني فهو (شونة الزيب (٢١) Shunet az-Zebib
(انظر الشكل — ١٢ والشكل — ١٣) وكان من المحتمل ان يكون على
نفس محور البوابة الخارجية للسور الداخل ويظن بعض الباحثين ان تاريخ
هذا الحصن بين الاسرة السادسة وحتى بداية الاسرة الثانية عشرة (٢٢) .
وشونة الزيب تشير الى ان الاثار فيها اكثر قدما مثل « كوم الاحمر » (٢٣) .

(٢١) شونة الزيب ويقع كما يقول كريسويل في كتابه المختصر صفحة

Journal Asiatique, XV, p. 128—30 and fig—12. (٢٢)

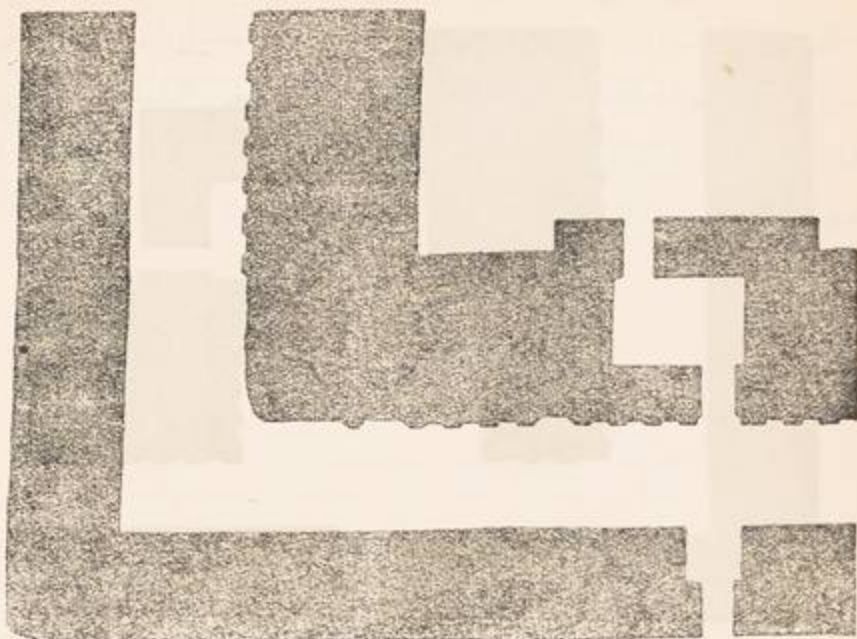
Mariette, Abydos, II p. 46—9. (٢٣)



شكل — ١٣ شونة الزيب مدخل منحني في الزاوية
الشمالية • عن كريزويل

ويتألف هذا الحصن من جدار قائم الزاوية أبعاده (١٣١ × ٧٨ متر)
والجدار فيه عمودي على القسم الداخلي ، ثم يأخذ بالسك تدريجيا حتى
يبلغ القاعدة فيكون عندئذ ستة أمتار (٢٤) (وانظر الشكل الآخر ١٣ لشونة
الزيب) •

وبعد هذين النموذجين نلاحظ فراغا يمتد نحو الفي سنة او اكثر
لانشاهد خلال هذه الفترة هذا الاسلوب المعماري من المداخل المزورة •



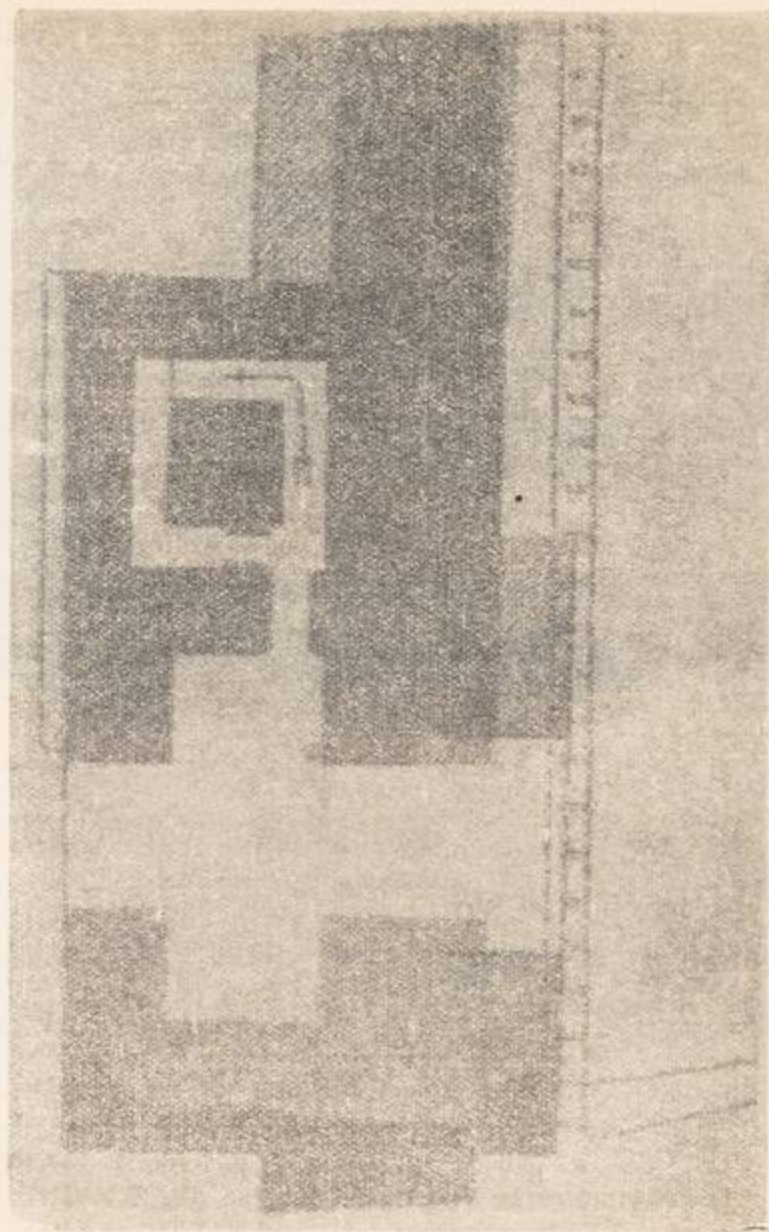
شكل — ١٢ شونة الزيب مدخل الزاوية الشرقية * عن كريزويل

وفي حفريات مواقع الاشوريين عثر اندريا Andrae على ثلاث
 بوابات تعود الى عهد شلمنصر الثالث (٢٥) Shalmaneser III
 الذي حكم من عام ٨٥٨ حتى عام ٨٢٤ ق.م. وهي تتكون من مدخلين على
 (٢٥) تسنم شلمنصر الثالث عرش الامبراطورية الاشورية ، عقب وفاة
 والده وقد جهز حملة عسكرية على بلاد نائيري وبلاد آراتو - يراجع فيها
 جزء واحد (١٩٥٢) صفحة ٥٥ و ٥٦ - في السنة الثالثة من حكمه قادها
 بنفسه متغلغلا في المناطق الجبلية لشمال العراق حتى وصل الى منابع النهرين
 دجلة والفرات .

نفس المهور وزاوية كما في سنجرابي^(٢٦) (انظر الشكل — ١٤) *
وكذلك بوابات خورصباد Khorsabad السبعة التي بناها
سرجون *

(٢٦)

Die Festungswerke Von Assur, Andrae, Taf, XXVIII
(Lower gate) XXXII (Gurgurri gate) and XLI (West gate).



شكل - ١٤ البوابة السفلى لآشور • عن كريزويل

أما في بابل فقد عثر على باب عشتار Ishtar gate الذي
 بناه نبوخذ نصر Nebuchaduezzar (٦٠٤ — ٥٦١ ق م)
 فهو يتبع نفس الأسلوب (٣٧) أي انه يتكون من مدخلين على نفس المحور.
 من الأمثلة المتقدمة ، نلاحظ ان لا أثر للظاهرة المعمارية التي نحن
 بصدددها ، وهي ظاهرة المدخل المزور الذي عرفناه في بوابات المدينة المدورة
 ببغداد ، وبهذا يمكن القول ان الجيشين في مدينتهم سنجري لم يعرفوا هذا
 النوع من المداخل المزورة ، ولا الآشوريين في مدنهم آشور وخورصباد ،
 ولا البابليين في بابل ، قد نظموا بواباتهم كالتنظيم الذي ظهر في بوابات
 مدينة أبي جعفر المنصور .

هذا في شرق العالم ، أما في الغرب فأن الرومان لم يعرفوا ايضا هذا
 التخطيط ، فجميع القلاع في الولايات الرومانية في الاردن وغيرها والتي شيد
 فيها ديوكليتيان Diocletian الذي حكم من عام ٢٨٤ حتى عام ٣٠٥
 كثيرا من المباني العسكرية لانجد فيها غير بوابات مستقيمة المداخل (٢٨) .

أما في شمال افريقية فنرى ان جميع المداخل الباقية للأسوار الرومانية
 عبارة عن طراز اعتيادي ، ويمكن القول بدون تردد ان المباني البيزنطية في
 شمال افريقية باستثناء اربعة مبان ، يمكن النظر في امرها لم تظهر فيها ظاهرة
 المدخل المزور ، اما المباني الاربعة فهي ككذس Gighthis وثلييتا
 Thelepta وثكنيكا Thignica وتسمى ايضا عين تنكه
 Ain Tunga وبلزما Bellezma (٢٩) .

أما الاولى ككذس فيمكن ابعادها لاول وهلة من حساب المدن ذات

Das Wieder erstehen Babylon, Koldwey, p. 46. (٢٧)

Early Muslim Architecture, Vol. II p. 25. (٢٨)

(٢٩) نفس المصدر — صفحة ٢٧ وانظر ايضا .

المدخل المزورة ، حيث يمكن اعتبارها من طراز الحصون ذات المداخل المستقيمة . اما الثانية ثلثيتها ، فبالرغم مما قيل ^(٣٠) عنها فأن ما بقي منها لا يعطي صورة كاملة واكيدة للمدخل المزور ^(٣١) .

وقد تكون عين تنكه Ain - Tunga مثلاً طيباً لما نحن وراء بحثه والتثبت منه (انظر شكل — ١٥) وفيها المدخل يقوم في برج على جانبه الجنوبي ، ولكن ما بقي من المباني لا يعطي فكرة اكيدة للمدخل الرئيسي للقلعة ، فعلى أي حال يمكن استبعاد هذا الحصن ايضاً ^(٣٢) . وانظر شكل — ١٦ .

Rapport, Diehl, tome IV, p. 337—43 and plan xiii ^(٣٠)

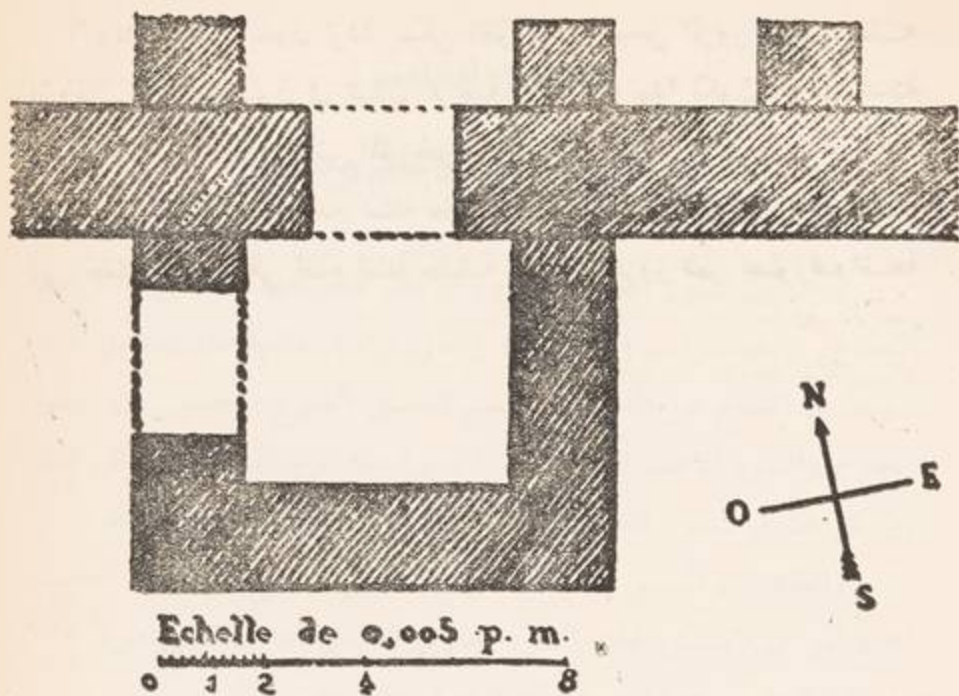
reproduced in his L, Afrique Byzantine fig. 29.

Early Muslim Architecture, Vol. II p. 27.

^(٣١)

A short account of Early Muslim Architecture, p. 177—178.

^(٣٢)



شكل - ١٥ عين تنكه عن كريزويل

وأما الحصن الرابع فهو بلزما Beilezma وهو حصن مستطيل الشكل تقدر أبعاده ٢٥×١١٢ مترا ، وتضم أسواره ثمانية أبراج مربعة او مستطيلة ، وبابه الوحيد يقع في البرج الاوسط على الجانب الغربي من الحصن (٣٣) وقد قيل أنه مدخل منح (٣٤) . ولكن حينما شاهده كريزويل لم يوافق على هذا الرأي واستبعده من الامثلة التي فيها نظر (٣٥) .

(٣٣) نفس المصدر صفحة ١٧٨ .

Rapport, Diehl, IV, p. 303—k. Plans iv—v. (٣٤)

A short account of Early Muslim Architecture, p. 178. (٣٥)

وعلى ذلك وبدون تردد يمكن القول ان المدخل المزور لم يستعمله
الرومان او البيزنطيون في شمال افريقية ايضا . وبهذا تكون ابواب مدينة
وطيبة وتناقل اخبارها بعض المؤرخين .
أبي جعفر المنصور هي اقدم امثلة حقيقية للمدخل المزور ظهر بصورة واضحة
أبي جعفر المصور هي اقدم امثلة حقيقية للمدخل المزور ظهر بصورة واضحة

الفصل الخامس

الفصيل والسور الاعظم وبواباته

وكان بين السور الخارج والسور الاعظم للمدينة مسافة خالية اطلق عليها اليعقوبي والخطيب اسم (الفصيل) والذي نراه ان فائدة هذا الفصيل كانت تنحصر في الدفاع عن المدينة ، وينقسم الفصيل الخارج المحصور بين السور الخارج والسور الاعظم الى اربعة ارباع بواسطة الرحبات الاربعة التي تمتد بين كل باب في السور الخارج والباب المقابل له في سور المدينة الاعظم .
والظاهر ان المنصور منع السكنى في الفصيل الخارج فقد روى الخطيب انه « أمر ان لا يسكن تحت السور الطويل الداخل أحد ولا يبنى منزلا »^(١)
ووصف اليعقوبي هذا الفصيل بأنه « فصيل جليل عظيم »^(٢) .

ويفضي الداخل من باب السور الخارج الى رحبة روى الخطيب ان طولها ستون ذراعا وعرضها اربعون ذراعا^(٣) . يحدها من الجانبين جداران على كل جدار منهما باب يؤدي الى ربع من الفصيل (انظر شكل - ٩) ، فالباب الايمن يؤدي الى الفصيل الايمن والباب الايسر يؤدي الى الفصيل الايسر ، فالباب الايمن بالنسبة الى باب خراسان مثلا يؤدي الى فصيل باب الشام والايسر يؤدي الى فصيل باب البصرة ، ثم يدور من باب البصرة الى باب الكوفة ، ويدور الذي انتهى الى باب الشام الى باب الكوفة ، ومن هذا يتبين لنا ، ان جميع هذه الفصائل متشابهة متناظرة وهي على حد قول

(١) الخطيب - ١ / ٧٣ .

(٢) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٣٩ .

(٣) الخطيب - ١ / ٧٤ .

الخطيب « على نعت واحد وحكاية واحدة (٤) » .

أما ابعاد الفصيل ، فقد قلنا سابقا ، ان اليعقوبي يختلف عن الخطيب في تعيين المسافة بين باب وآخر ، ومعناه بالنسبة للفصيل انهما يختلفان ايضا في طوليهما ، وكذلك اختلفا في تحديد عرض هذا الفصيل ، فعرض الفصيل عند اليعقوبي هو مائة ذراع بالسوداء بين حائط السور وحائط الفصيل (٥) أما عند الخطيب فعرضه هو ستون ذراعا (٦) .

السور الاعظم

تختلف المصادر العربية في تحديد ابعاده ، كما هو شأن هذه المصادر في تحديد ابعاد الاسوار والابواب الاخرى في مدينة أبي جعفر المنصور ، وقد اشار اليعقوبي الى ان المنصور قد جعل عرض « اساس السور تسعين ذراعا مع الشرفات (٧) » أما الخطيب فيروي أن « ارتفاع هذا السور ٥٠٠ خمسة وثلاثون ذراعا وعليه أبرجة سمك كل برج منها فوق السور خمسة اذرع وعلى السور شرف وعرض السور من أسفله نحو عشرين ذراعا (٨) » ويسميه الخطيب بالسور الداخل (٩) .

ان الذي يلاحظ ارقام الابعاد التي اوردها كل من المؤرخين اليعقوبي والخطيب يدرك ان في ابعادهما اختلافا واضحا وبيننا ، فالارتفاع في رواية

(٤) نفس المصدر - ٧٤/١ .

(٥) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٣٩ .

(٦) الخطيب - ٧٤/١ .

(٧) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٣٩ .

(٨) الخطيب - ٧٤/١ ومناقب بغداد لابن الجوزي صفحة ١٠ .

(٩) الخطيب - ٧٤/١ .

اليعقوبي ستون ذراعا مع الشرفات أي (٣٠) مترا ولكنه لدى الخطيب خمسة وثلاثون ذراعا أي (١٧٥) مترا اما اساس السور لدى اليعقوبي فهو تسعون ذراعا أي (٤٥) مترا في اسفله ، وخمسة وعشرون ذراعا أي (١٢٥) مترا في قمته ، اما الاساس في رواية الخطيب فهو عشرون ذراعا أي (١٠) امتار ومهما يكن من شيء ، فإن ما يهنا استخلاصه ، هو ان السور الاعظم او السور الثاني ، هو اكثر ارتفاعا وسعة وضخامة من السور الخارج او السور الاول .

وزيادة في التحصين ، وحرصا من بناء المدينة المدورة ، كي يجعلوا منها مكانا محصنا ، وموضعا دفاعيا ، يمتاز أول ما يمتاز به الوسائل الفنية والحربية المعروفة في اساليب القتال آنذاك ، ولم يكن في تلك الفترة من التأريخ من شيء يكسب المدينة قوة ويضفي عليها مسحة من المنعة والمهابة من تدعيم الاسوار بالابراج الضخمة ، ولقد توفرت هذه القوة والمنعة في مدينة السلام وفي سورها الاعظم ، فقد روى اليعقوبي انه كان فيها « ابرجه عظام وعليه الشرفات (١٠) » .

اما عدد هذه الابراج فيروى الخطيب ان المنصور قد جعل « بين كل باين ثمانية وعشرين برجا الا بين باب البصرة وباب الكوفة ، فانه يزيد واحدا (١١) » ونستطيع كما بين كريزويل ، ان نستخلص المسافة الواقعة بين برج وآخر في الربع المحصور بين باب البصرة والكوفة بهذه الطريقة . لما كانت المسافة بين باب وآخر حسب رواية الخطيب ميلا واحدا ، أي اربعة آلاف ذراع ، وعرض البوابة اربعين ذراعا .

(١٠) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٣٩ . وروى الخطيب عن الشرفات في ٧٤/١ - وعليه يقصد السور (ابرجة سمك كل برج منها فوق السور خمسة اذرع وعلى السور شرف .

٤٠٠٠ — ٤٠ = ٣٩٦٠ ذراعا ولما كان في هذه المسافة تسعة وعشرين
 برجاً فإذا قسمنا (٣٩٦٠ على ٢٩) يكون الناتج (١٣٦٥) ذراعاً أي
 حوالي (٦٨) متراً المسافة بين برج وآخر (١٢) .
 ولا نعرف بالتأكيد هيئة هذه الابراج ، اذ ان المصادر العربية لم تذكر
 شيئاً عن وصفها او هيأتها . ويرى كريزويل انه من غير شك أن هذه الابراج
 كانت على هيئة نصف مستديرة تشبه تلك التي في هرقله والابراج التي في
 قصور وجوامع واسوار سامراء (١٣) . وقد تكون هذه الابراج على شكل
 حدوة الفرس horse — shoe — shaped كما هو الحال في مدينة الرقة
 وكما هو معلوم من روايتي البلاذري والهمداني ان الرافقة بنيت على طراز
 مدينة بغداد (١٤) .

بوابات السور الاعظم .

وصف اليعقوبي والخطيب مدخل السور الاعظم الذي ينفذ من البوابة
 الرئيسة الكبيرة ، أما اليعقوبي فقد روى اذا « دخل من الدهليز على الفصيل
 وافي رحبة مفروشة بالصخر ثم دهليزا على السور الاعظم عليه بابا حديد
 جليلان عظيمان (١٥) » اما الخطيب فقد روى « ثم الباب الثاني وهو باب

(١١) الخطيب — ٧٢/١ .

Early Muslim Architecture, Vol. II p.12.

(١٢)

Early Muslim Architecture, Vol. II p.12.

(١٣)

(١٤) فتوح البلدان — البلاذري صفحة ١٨٤ والبلدان — للهمداني

صفحة ١٣٢ .

المدينة وعليه السور الكبير ... فيدخل من الباب الكبير الى دهليز ازج
معتود بالآجر والجص طوله عشرون ذراعا وعرضه اثني عشر ذراعا^(١٦) «
وطبيعي جريا حسب قاعدة تشابه وتناظر اروقة وقاعات ابواب بغداد ، فان
هذه القاعدة تناظر الدهاليز الاربعة للبوابات الرئيسة الموجودة في
السور الاعظم .

ولا تذكر المصادر العربية سلك جدران البوابة ، ولكن هرتسفيلد اشار
الى ان سسكها ليس اقل من خمسة اذرع ، لانه كان يقصد بها الصمود
ومقاومة هجوم الاعداء ، فضلا عن ذلك ، فانها كانت تؤدي مهمة حمل القبة
في الطابق العلوي^(١٧) وبهذا يكون ارتفاع برج البوابة حوالي ٣٠ ذراعا^(١٨) .
اما بالنسبة الى عرض برج البوابة فاستنتاجا مما رواه الخطيب يكون عرضها
مساويا لعرض الرحبة أي ٤٠ ذراعا .

(١٦) الخطيب - ٧٤/١ .

Archäologische Reise, Band II p. 125.

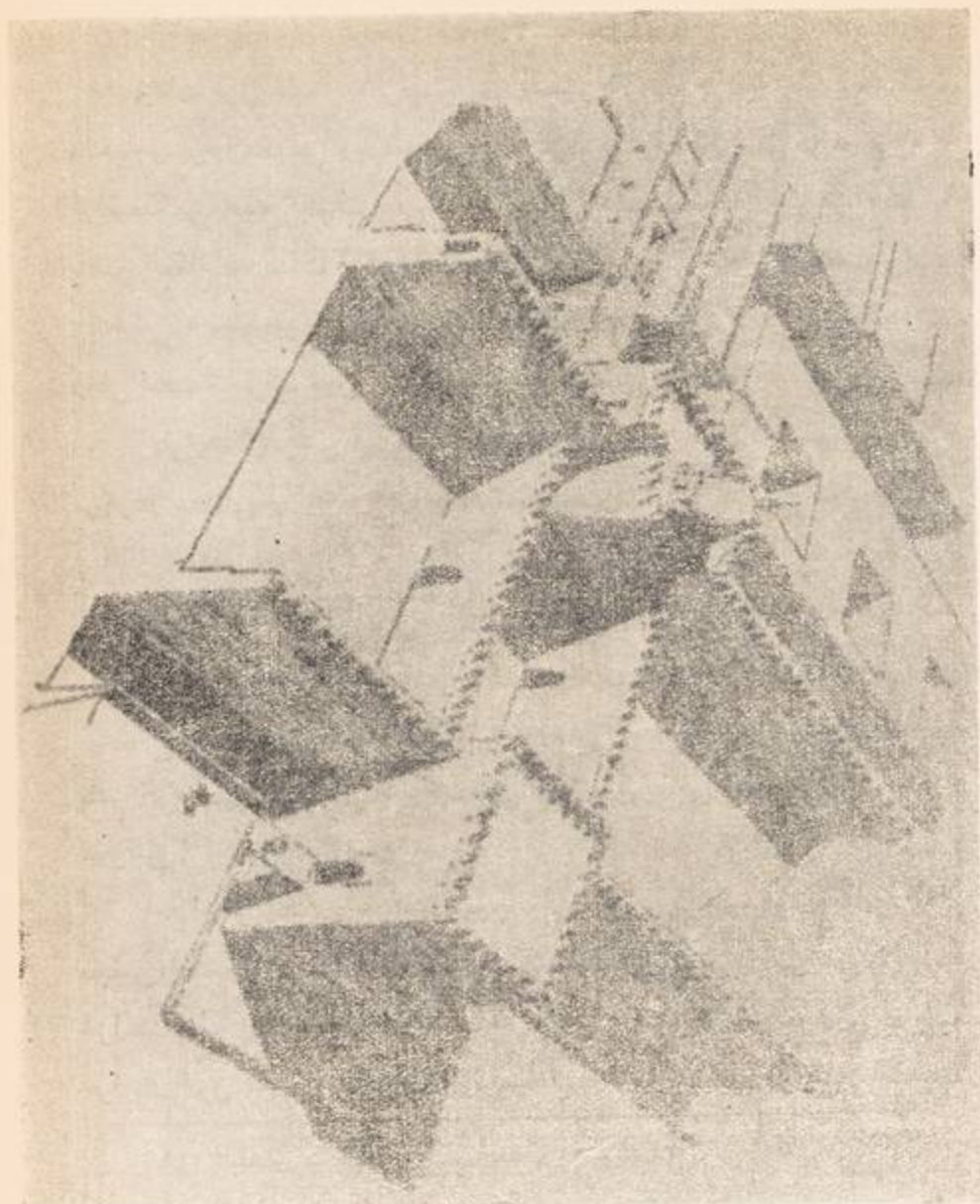
(١٧)

Early Muslim Architecture, Vol. II p.12.

(١٨)



شكل — ١٦ — مابقي من مدخل الحصن عين تنكه • عن كريزويل



شكل - ١٧ منظر من فوق لحدى البوابات الخارجية والداخلية للمدينة
المدورة • عن سارة وهرتسفيلد •

وكان فوق البوابة الرئيسية في السور الاعظم « قبة معقودة عظيمة مذهبة وحولها مجالس ومرتفعات يجلس فيها فيشرف على كل ما يعمل به ، ويصعد الى هذه القباب على عقود مبنية بعضها بالجص والآجر وبعضها باللبن العظام قد عملت آزاجا بعضها اعلى من بعض ، فداخل الآزاج للمرابطة والحرس ، وظهورها عليها المصعد الى القباب التي على الابواب على دواب وعلى المصعد ابواب تغلق ^(١٩) » ويشير الخطيب الى ارتفاع هذه القبة فيروي انه « على هذا المجلس قبة عظيمة ذاهبة في السماء سمكها خمسون ذراعاً مزخرفة ، وعلى رأس كل قبة منها تشال يديره الريح لا يشبه نظائره ^(٢٠) » (انظر الشكل — ١٧) .

ويرى هرتسفيلد انه كان يوجد ايوان داخلي في الجدار الحاجز ، كما هو الحال في قصر الاخضر ، وهو بمستوى الجدار البارز الاخير ، ذو ارتفاع قدره ٢م البناء أي ٢٣م ذراع ، ومستوى الطابق الذي يضم الايوان (ان وجد) سيكون على الاغلب قريبا من مستوى القبة الملائمة للحراس ^(٢١) .

اما اسفل القبة فانه كانت توجد غرفة روى الخطيب عنها انها كانت مجلس المنصور « اذا احب النظر الى الماء والى من يقبل من ناحية خراسان ^(٢٢) » والظاهر ان هناك غرفا وقبابا مشابهة لهذه التي في باب خراسان فوق مداخل الابواب الرئيسية في السور الاعظم اذ يشير الخطيب

(١٩) البلدان — اليعقوبي صفحة ٢٣٩ و ٢٤٠ .

(٢٠) الخطيب — ١ / ٧٤ .

Archaologische Reise, Band II p. 125. (٢١) .

(٢٢) الخطيب — ١ / ٧٥ .

الى هذه الغرف فيقول « وقبة على باب الشام كانت مجلس المنصور اذا احب النظر الى الارياض وما والاها وقبة على باب البصرة كانت مجلسه اذا احب النظر الى الكرخ ومن اقبل من تلك الناحية ، وقبة على باب الكوفة كانت مجلسه اذا احب النظر الى البساتين والضياع (٢٣) » .

وموضع هذه الغرف لا بد وانها كانت مبنية تجاه الوجه الخارجي لبرج المدخل حتى تشرف على المناظر التي ذكرها الخطيب . ويستنتج كريزويل انه على ضوء هذا التصميم حيث تقع اقرب فائنا سمرى غرفة مريحة في القسم الخلفي من بناء الصالة يظن انها كانت ملاصقة للحائط يفصل بينها وبين الغرف المقببة ممر كائن في الوجه الخلفي (٢٤) .

ومما يتصل بمدخل السور الاعظم ، الابواب ، والذي يبدو من روايات اليعقوبي والخطيب أن أبواب السور الاعظم كانت مصنوعة من الحديد ذات حجم كبير ، فقد روى الخطيب انه « على كل باب من أبواب المدينة الاوائل والثواني باب حديد عظيم جليل المقدار كل باب منها فردان (٢٥) وكانت هذه الابواب الحديد من القوة والمتانة بمكان بحيث يقول اليعقوبي انه « لا يفلق الباب الواحد منها ولا يفتحه الا جماعة رجال » (٢٦) .

وكان عدد الابواب الحديد للمداخل الرئيسية ، ثمانية أبواب ، في كل مدخل من المداخل الرئيسية بابان ، باب يفضي الى الدهليز الواقع عند نهاية رجة الفصيل الاول ، والباب الآخر يفضي الى رجة الفصيل الثاني . ويصف الطبري هذه الابواب فيقول ان أبا جعفر احتاج الى الابواب للمدينة ، وكان

(٢٣) نفس المصدر ٧٥/١ .

Early Muslim Architecture, Vol. II p.14. (٢٤)

(٢٥) الخطيب - ٧٥/١ .

(٢٦) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٣٩ .

على مقربة من موضع بناء واسط مدينة كان لها خمسة أبواب من حديد لا يمكن الناس اليوم عمل مثلها ، وهذه المدينة هي الزند ورد (٢٧) فلم تزل عليها الى ان بنى الحجاج واسط وخربت تلك المدينة فنقل الحجاج أبوابها فصيرها على مدينته بواسط . فلما بنى أبو جعفر المدينة أخذ تلك الابواب فنصبها على المدينة فهي عليها الى اليوم ، وللمدينة ثمانية أبواب داخلية ، واربعة خارجة فصار على الداخلة أربعة ابواب من هذه الخمسة وعلى باب القصر الخارج الخامس منها وصير على باب خراسان الخارج بابا جيء به من الشام من عمل الفراعنة وصير على باب الكوفة الخارج بابا جيء به من الكوفة كان عمله خالد بن عبدالله القسري وأمر بأخذ باب لباب الشام فعمل ببغداد فهو أضعف الابواب كلها » (٢٨) .

اما الطريقة التي وزعت فيها هذه الابواب الثمانية ، فان هرتسفيلد اشار بان باب البصرة لم تدرج ضمن هذه الابواب الثمانية ويرى بان الابواب الاربعة الاولى التي جيء بها من واسط وضعت في المداخل الرئيسة ، وان الخامس قد وضع في بوابة البصرة الخارجية ، والذي يبدو من المحتمل — بالرغم من رواية الطبري — ان يكون الخامس من واسط وهو بوابة البصرة (٢٩) .

والذي يبدو ان نقل الابواب وتحويلها ، من مدينة الى أخرى اجراء

(٢٧) الزندورد كما جاء في معجم ياقوت ٩٥١/٢ — مدينة قرب واسط مما يلي البصرة خربت بعمارة واسط ، وكان المنصور لما عمر ببغداد نقل ابواب الزندورد فنصبها على مدينته .

(٢٨) الطبري — ٢٦٥ / ٦ والخطيب ٧٥/١ ومعجم البلدان لياقوت ١ /

٦٨٤ .

كان متعارف عليه في تلك الازمنة ، وقد مر بنا ان أبواب الزند ورد قفلها
الحجاج الى مدينته واسط ونقل المنصور بدوره هذه الابواب الى مدينته
بغداد .

وكتب اليعقوبي ان هذه الابواب كانت مرتفعة بحيث « يدخل الفارس
بالعلم والرامي بالرمح الطويل من غير ان يميل العلم ولا يثني الرمح » (٣٠)
من هذا يتبين لنا مقدار ارتفاع هذه الابواب العظيمة .

والذي يبدو ان أسوار مدينة أبي جعفر المنصور قد بنيت من اللبن
المجفف ذي الحجم الكبير ، ويروي المؤرخون ان قطع اللبن كانت مربعة طول
ضلعها الواحدة ذراع (٣١) .

وتزن الواحدة منها حوالي مائة وسبعة عشر رطلا ، ومما يثبت صحة هذا
الوزن ما رواه المؤرخون انه هدم من السور الذي يلي باب المحول قطعة
فوجدوا فيها لبنة مكتوب عليها ؟ ان وزنها مائة وسبعة عشر رطلا فوزنوها
فوجدوها كذلك (٣٢) .

وروي المؤرخون ان البنائين ، وضعوا في كل ساف من أسواف البناء
لسور مدينة المنصور مائة الف لبنة واثنين وستين الف لبنة (٣٣) وطبيعي ان
عدد اللبنات هذه هي لأساس السور ، ونحن نعلم كما مر بنا سابقا ، ان
عرض السور يقل عند ارتفاعه ، ومعناه ان عدد اللبنات المستخدمة فيه تقل

(٣٠) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٢٩ .

(٣١) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٢٨ والطبري ٢٦٥/٦ .

(٣٢) الطبري - ٢٦٥/٦ و ٢٦٦ والخطيب - ٧٢/١ ومعجم البلدان

لياقوت ٦٨٣/١ .

(٣٣) الطبري - ٢٦٥/٦ و ٢٦٦ والخطيب ٧٢ / ١ ومعجم البلدان

لياقوت ٦٨٣ / ١ .

أيضا ويوضح هذا الخطيب الذي روى انه في « كل ساف من أسواف البناء مائة الف لبة واثنتان وستون الف لبة... فلما بنينا الثلث من السور لقطناه فصيرنا في الساف مائة الف لبة وخمسين الف لبة ، فلما جاوزنا الثلثين لقطناه فصيرنا في الساف مائة الف لبة واربعين الف لبة الى أعلاه » (٣٤) .

والمألوف في بناء الاسوار ان تستعمل روابط خشبية او حديدية لتوثيق الربط وأحكام الصلة بين لبنات وأسواف السور ، ولقد كان مألوفاً عند العرب وضع روابط من الخشب في الاسوار ، ولكنه في بناء مدينة بغداد المدورة جعلوا هذه الروابط حزما من القصب ، كما جاء في الطبري انه « جعل في البناء جوائز قصب مكان الخشب في كل طرقة » (٣٥) .

ولم يستمر العمل في المدينة المدورة على وتيرة واحدة حتى اتمام بنائها، وانما حدث ما اوقف العمل فيها فترة من الزمن ، وهذا الحدث هو خروج محمد بن عبدالله على الحكم العباسي في المدينة ، وخروج أخيه ابراهيم بن عبدالله بعدئذ في البصرة . ويروى الطبري انه « لما بلغ الحائط مقدار قامة وذلك في سنة ١٤٥ أتاها خبر خروج محمد فقطع البناء » (٣٦) وسوف لاتناول بحث خروج الاخوين هنا ، ولا تناول أيضا طريقة القضاء عليهما ، اذ ان هذا مبسط في كتب التاريخ ، وانما الذي يعنينا ، ان أبا جعفر المنصور كما روى الطبري كان نازلا ، حينما جاءه خبر خروج محمد بالدير الذي على شاطيء دجلة بالموضع المعروف بالخلد... ثم نادى بالرحيل من ساعته (٣٧) .

(٣٤) الخطيب - ١ / ٧١ و ٧٢ .

(٣٥) الطبري - ٦ / ٢٣٨ .

(٣٦) الطبري - ٦ / ٢٣٨ .

(٣٧) الطبري - ٦ / ٢٤٠ .

وقدم الكوفة وأقام بقصر ابن هبيرة (٣٨) .

ويروى الطبري أن أبا جعفر حين أتاه خبر خروج محمد بن عبدالله ، كان قد « هيا لبناء مدينة بغداد ما يحتاج اليه من خشب وساج وغير ذلك ، واستخلف حين شخص على اصلاح ما أعد لذلك مولى يقال له أسلم فبلغ أسلم أن ابراهيم بن عبدالله قد هزم عسكر أبي جعفر فأحرق ما كان خلفه عليه أبو جعفر من ساج وخشب خوفا أن يؤخذ منه ذلك اذا غلب مولاة . فلما بلغ أبو جعفر ما فعل ذلك مولاة اسلم كتب اليه يلومه على ذلك . فكتب اليه اسلم يخبره انه خاف أن يظفر بهم ابراهيم فيأخذه فلم يقل له شيئا » (٣٩) . وبعد أن أخمدت الثورتين ، ثورة محمد بن عبدالله و ثورة أخيه ابراهيم ابن عبدالله ، عاد المنصور الى بغداد وباشرا اتمام بنائها (٤٠) .

(٣٨) تاريخ اليعقوبي - ٤٥٠/٢ و ٤٥١ والطبري ٢٤٠/٦ .

(٣٩) الطبري - ٢٦٤ / ٦ .

(٤٠) نفس المصدر - ٢٠ / ٦ .

الفصل السادس

الفصيل الداخل والمنطقة السكنية والسكك

روى الخطيب انه بعد دهليز السور الاعظم يفضي الداخل « الى رجة
مربعة عشرون ذراعا في مثلها ، فعلى يمين الداخل اليها طريق وعلى يساره
طريق ، ويؤدي الايمن الى باب الشام والايسر الى باب البصرة ، والرجة
كالرجة التي وصفنا ، ثم يدور هذا الفصيل على سائر الابواب بهذه الصورة
وتشرع في هذا الفصيل أبواب السكك ، وهو فصيل ماد مع السور ، وعرض
كل فصيل من هذه الفصائل من السور الى افواه السكك خمس وعشرون
ذراعا ثم يدخل من الرجة التي وصفنا الى الطاقات وهي ثلاثة وخمسون
طاقا سوى طاق المدخل اليها من باب الرجة ، وعليه باب ساج كبير في فردين ،
وعرض الطاقات خمس عشرة ذراعا ، وطولها من اولها الى الرجة التي بين
هذه الطاقات والطاقات الصغرى مائة ذراع ، وفي جنبتي الطاقات بين كل
طاقين منها غرف كانت للمرابطة ، وكذلك لسائر الابواب الباقية فعلى هذه
الصفة سواء ، ثم يخرج من الطاقات الى رجة مربعة عشرون ذراعا في عشرين
ذراعا ، فعن يمينك طريق يؤدي الى نظيرتها من باب الشام ثم يدور الى
نظيرتها من باب البصرة » ^(١) ثم يتابع الخطيب روايته ويعود الى وصفه
لباب خراسان فيقول « ان كل واحدة منهن نظيرة لصواباتها وفي هذه
الفصيل تشرع ابواب البعض السكك وتجاهك الطاقات الصغرى التي تلي

دهليز المدينة الذي منه يخرج الى الرحبة الدائرة حول القصر والمسجد» (٢).
الذي يتبين من كلام الخطيب ان الداخل من الباب الثاني الواقع في
السور الثاني للبوابة الرئيسية ، ويمر برحبة مربعة طول ضلع كل جدار منها
عشرون ذراعاً (١٠) امتار وعلى جانبي هذه الرحبة بابان ، احدهما على
الجهة اليمنى والآخر على الجهة اليسرى ، ويؤدي الباب الايمن في حالة
وصفنا لباب خراسان الى ربع الفصيل الثاني المفضي الى باب الشام ، ويؤدي
الباب الايسر منها الى ربع الفصيل الثاني المفضي الى باب البصرة ، واذا اجتاز
الداخل هذه الرحبة وصل الى منطقة الطاقات والتي تمتد خلفها من جهتي
اليمن واليسار ، المنطقة السكنية ، وتتضمن السكك والدور والشوارع ،
وتنقسم هذه المنطقة ايضا الى اربعة اقسام او الى اربعة ارباع تماما مثل
الفصيل السابق ، كل قسم منها يؤلف ربع دائرة ويفصل هذه الاقسام
الاربعة الطرق الاربعة النافذة من ابواب السور الاعظم والتي تجتاز وسط
الطاقات حتى تصل الى الرحبة المربعة في سور المدينة الداخلي ، وهو السور
الثالث ، وهذا السور اثنى شيء بحاجز يلتف حول المنطقة التي تضم القصر
والجامع وملحقاتهما ، وهو لايداني السورين الاول والثاني من حيث المتانة
والقوة والضخامة .

وعليه فان تلك المنطقة التي تحف بالطاقات من جانبيها ، تشمل المنطقة
السكنية الوحيدة للناس في المدينة المدورة ، وتقع بين الجدار الضخم للسور
الاعظم والجدار المحيط بالمنطقة المركزية .

وكان الطريق الرئيس الذي يبدأ من رحبة السور الخارج وينتهي الى
رحبة السور المحيط بالمنطقة المركزية أو (المنطقة الوسطى) يضم على جانبيه
سلسلة من الطاقات وعددها اربعة وخمسون طاقاً ، وفي بداية هذا الطريق

وعند اتصاله بالرجبة عقد كبير فيه باب ذو مصراعين من الخشب الساج ، وفي نهايته عند السور المحيط بالمنطقة المركزية رجبة اخرى ، وتتصل الرجات الاربع في هذا السور الاخير بطريق دائري يطلق عليه هرتسفيدل في تخطيطه لبغداد اسم الفصيل الثالث (انظر شكل — ٩) الذي يحجز منطقة الشوارع والسكك والدروب عن قلب المدينة ، بينما يطلق عليه اليعقوبي اسم سور الرجبة فقط^(٣) .

وقد اشار اليعقوبي الى اسماء السكك وعددها فقال « وبين الطاقات الى الطاقات السكك والدروب تعرف بقواده ومواليه وبسكان كل سكة ، فمن باب البصرة الى باب الكوفة سكة الشرطة وسكة الهيثم وسكة المطبق وفيها الحبس الاعظم الذي يسمى المطبق ، وثيق البناء محكم السور ، وسكة النساء وسكة سرجس وسكة الحسين وسكة عطيه وسكة مجاشع وسكة العباس وسكة غزوان وسكة ابي حنيفة والسكة الضيقة ، ومن باب البصرة الى باب خراسان سكة الحرس وسكة النعيمية وسكة سليمان وسكة الربيع وسكة مهلهل وسكة شيخ بن عميرة وسكة المرورذية وسكة واضح وسكة السقائين وسكة ابن بريهة بن عيسى بن المنصور وسكة ابي احمد والدرب الضيق ، ومن باب الكوفة الى باب الشام سكة العكبي وسكة ابي قره وسكة عبدويه وسكة لسميدع وسكة العلاء وسكة نافع وسكة اسلم وسكة منارة ، ومن باب الشام الى باب خراسان سكة المؤذنين وسكة دارم وسكة اسرائيل وسكة تعرف في هذا الوقت بالقواريري قد ذهب غني اسم صاحبها وسكة الحكم بن يوسف وسكة سماعة وسكة صاعد مولى ابي جعفر وسكة تعرف اليوم بالزيادي وقد ذهب غني اسم صاحبها وسكة غزوان »^(٤) .

(٣) البلدان — اليعقوبي صفحة ٢٤١ .

(٤) البلدان — اليعقوبي صفحة ٢٣٠ و ٢٣١ .

اما الخطيب فيروي ان سكك المدينة منسوبة الى موالي ابي جعفر وقواده ، ويسمي بعضها منها ، مثل سكة شيخ بن عميرة وسكة دار خازم ودرب الابرود ودرب سليمان وسكة الشرط وسكة سيابة وسكة الزبيدية^(٥) . ومن فحص نص الخطيب السابق ، وموازته بالنص الذي اورده اليعقوبي ، يتبين لنا بوضوح ان الخطيب في روايته قد اشار الى عدد من السكك لم يشر اليها اليعقوبي . فمثلا ذكر سكة خازم^(٦) ودرب الابرود^(٧) وسكة سيابه^(٨) وسكة الزبيدية^(٩) ، هذا وقد اشار الى ثلاث سكك ورد ذكرها في رواية اليعقوبي كسكة شيخ بن عميرة ودرب سليمان وسكة الشرط .

وفي رأينا ان هذا الاختلاف ناجم من ان اليعقوبي يذكر اسماء السكك التي كانت على عهد المنصور ، بدليل انه يشير الى سككتين تعرفان في وقته بالتقواري والزيادي ، ويذكر انه قد ذهب عنه اسماء صاحبيها^(١٠) . وكان « على كل سكة من طرفيها الابواب الوثيقة ولا تتصل سكة منها بسور الرحبة التي فيها دار الخلافة »^(١١) .

(٥) الخطيب - ٨٩/١ .

(٦) سكة خازم سميت كذلك نسبة الى خازم بن خزيمه النهشلي .

(٧) درب الابرود - وسمي كذلك نسبة الى الابرود بن عبد الله وهو قائد

من قواد الخليفة هارون الرشيد .

(٨) سكة سيابة - سميت كذلك نسبة الى سيابة احد اصحاب المنصور .

(٩) سكة الزبيدية - سميت كذلك نسبة الى زبيدة بنت جعفر بن ابي

جعفر المنصور .

(١٠) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٤١ .

(١١) نفس المصدر . صفحة ٢٤١ .

الفصل السابع

الطاقات

سبق وان أشرنا ان الطريق الرئيس الذي يبدأ من رجة السور الخارج وينتهي الى رجة السور المحيط بالمنطقة المركزية ، كان يضم على جانبيه سلسلة من الطاقات . ويظهر من رواية الخطيب التي اوردناها في الصفحات السابقة ، ان للمدينة المدورة نوعين من الطاقات ، طاقات كبرى وطاقات صغرى ، مستنتجين ذلك من روايته التي يقول فيها « وعرض الطاقات خمس عشرة ذراعا ، وطولها من اولها الى الرجة التي بين هذه الطاقات والطاقات الصغرى مائتا ذراع »^(١) . فهو حينما يميز بينهما ، ثم يطلق على بعضها اسم (الصغرى) معنى ذلك ان الاخرى يجب ان تحمل اسم (الكبرى) ويروى الخطيب « ثم يدخل من الرجة ٠٠٠ الى الطاقات وهي ثلاثة وخمسون طاقا سوى طاق المدخل اليها من هذه الرجة وعليه باب ساج كبير في فردين وعرض الطاقات خمس عشرة ذراعا وطولها من اولها الى الرجة التي بين هذه الطاقات والطاقات الصغرى مائتا ذراع »^(٢) و اشار هرتسفيلد بان الطول المعطى من قبل الخطيب للطاقات يعتبر قياسا قليلا^(٣) . ويتأكد اكثر اذا ما

(١) الخطيب — ١ / ٧٦ .

(٢) نفس المصدر — ١ / ٧٦ .

Archäologische Reise, Band II, p. 128.

(٣)

لاحظنا انه على يمين ويسار هذه الطاقات المعترضة توجد غرف ، ومجموع الغرف لكل جانب منها اربعة وخمسون غرفة ، وقد روى الخطيب بانه يوجد في كل جزء من الطاقات حرس يتألف من الف رجل في كل باب « وعلى كل باب قائد فكان على باب الشام سليمان بن مجالد في الف وعلى باب البصرة ابو الازهر التميمي في الف وعلى باب الكوفة خالد العكي في الف وعلى باب خراسان مسلمة بن صهيب الغساني في الف »^(٤) واثار كريزويل بان الحرس كانوا موزعين — في كل ربع من ارباع المدينة — على (١٠٨) غرف ، مائة (١٠٠) منها للمجنود اذ ان كل عشرة منهم في غرفة وثمانية غرف للضباط^(٥) . ويستنتج كريزويل طول الطاقات بهذه الطريقة ، فيقول انه لو فرضنا بان عرض كل غرفة عشرة اذرع وعمقها خمس عشرة ذراعا مع وجود حاجز عرضه ذراعا وجدران النهاية بعرض خمسة اذرع فيكون الطول كما يأتي :-

المجموع (٦٥٦) ذراعا	}	$10 \times 54 = 540$ ذراع عرض الغرف $2 \times 53 = 106$ ذراع عرض جدار الطاقات $2 \times 5 = 10$ ذراع عرض جدران النهاية
---------------------	---	--

وافترض كريزويل افتراضا ثانيا فجعل عرض الغرفة ثمانية اذرع وعمقها (١٢) ذراعا فحصل على النتيجة التالية :-

المجموع (٥٤٨) ذراعا	}	$8 \times 54 = 432$ ذراع عرض الغرف $2 \times 53 = 106$ ذراع عرض جدار الطاقات $2 \times 5 = 10$ ذراع عرض جدران النهاية
---------------------	---	---

(٤) الخطيب — ٧٧/١ .

ويضيف كريزويل على ذلك بأننا لو أضفنا (٢٥ ذراعا $\times$ ٢) للشارعين فيكون المجموع :-

$$٥٤٨ + ٥٠ = ٥٩٨ \text{ ذراعا طول الطاقات }^{(٦)}$$

ومن الجدير بالذكر ان تشير ان لسترانج عدد ثلاثا وخمسين طاقا موزعة على الجانبين فقد ذكر انه « ربما كان في كل جانب ٢٦ طاقا »^(٧) وطبعي ان لسترانج اعتبر عدد الطاقات التي ذكرها الخطيب هي مجموع الطاقات الواقعة على جانبي القاعة الطويلة التي تفصل صنفين من الطاقات ، ولم يحسبها صفا واحدا لجانب واحد من سلسلة الطاقات ، ومن المعلوم ان الباحثين المحدثين الذين تناولوا بحث المدينة المدورة ، اعتبروا عدد الطاقات التي اوردها الخطيب لصف واحد أو لجانب واحد^(٨) . ونحن كذلك نرجح ان يكون عدد الطاقات التي ذكرها الخطيب هي لصف واحد .

أما النوافذ التي ذكرها اليعقوبي بقوله « فيها كواء رومية يدخل منها الشمس والضوء ولا يدخل منها المطر »^(٩) ويعلل لسترانج ذلك بأنه لعلمها كانت من القرميد المثقب بحيث تسمح بدخول اشعة الشمس وتمنع تساقط المطر^(١٠) . غير انه يرجح ان تلك الكوى تشبه كوى خان مرجان الجانبية أو نوافذ المدرسة المستنصرية الجانبية منها والسقفة وانها ليست من القرميد المثقب كما ذكر لسترانج^(١١) . ويتساءل كريزويل فيقول - ترى اين كان

(٦) نفس المصدر . صفحة ١٦ .

(٧) بغداد في عهد الخلافة العباسية - لسترانج صفحة ٣٣ .

(٨) انظر Early Muslim Architecture, Vol. II p.16.

وانظر أيضا Short account of E.M.A. p. 109.

(٩) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٣٩ .

(١٠) بغداد في عهد الخلافة العباسية - لسترانج صفحة ٣٣ .

(١١) تخطيط المدن عند العرب - ناجي معروف . غير مطبوع .

موضع هذه الشبايك ؟ ويجب على ذلك بانها لا بد وان تكون في الجدران الجانبية أعلى من مستوى السقف (١٢) .

ويشير اليعقوبي وابن رسته بان هذه الطاقات كانت مقببة بالطابوق المفخور (الآجر) والجبس (١٣) . ولو فرضنا ان القبة الارضية كانت تعتمد على الجدران الجانبية اذن فلا بد ان يكون بروزها عاليا كي يجد الشباك مجالا للبروز .

ويشير كريزويل ان البلاذري ذكر اسم البناء الذي قام ببناء الطاقات ، وهو بشر بن ميمون (١٤) . ولكنني لم أر في نص البلاذري ما يدل على ذلك فقد ذكر الاخير ان « طاقات بشر تنسب الى بشر بن ميمون » (١٥) وفي الطاقات منازل غلمان الخليفة (١٦) . وكانت هذه الطاقات بمثابة اسواق المدينة المدورة حتى عام ١٥٧ هـ ، وفي هذا العام أمر الخليفة المنصور تحويل الاسواق من داخل المدينة المدورة الى ربض الكرخ .

وروى الطبري ان السبب في قتل ابي جعفر التجار من المدينة الى الكرخ وما قرب منها مما هو خارج المدينة انه قيل لابي جعفر ان الغرباء وغيرهم يبيتون فيها ولا يؤمن ان يكون فيهم جواسيس ومن يتعرف الاخبار أو ان

(١٢) Early Muslim Architecture, Vol. II p.16.

(١٣) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٣٩ والاعلاق النفيسة لابن رسته صفحة ١٠٨ .

(١٤) Early Muslim Architecture, Vol. II p.16.

(١٥) فتوح البلدان - البلاذري صفحة ٢٩٤ أما بشر هذا فهو ابن ميمون كما جاء في البلاذري صفحة ٢٨٧ - مولى محمد بن علي بن عبدالله وتنسب الى بشر بن ميمون الطاقات ببغداد التي كانت بالقرب من باب الشام .

(١٦) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٣٩ وتاريخ اليعقوبي ٤٤٩/٢ والاعلاق النفيسة لابن رسته صفحة ١٠٨ والخطيب ١ / ٧٦ .

يفتح ابواب المدينة ليلا لموضع السوق فأمر بأخراج السوق من المدينة وجعلها للشرط والحرس وبنى للتجار بياض طاق الحرائي وباب الشام والكرخ^(١٧) .

ويردّي الخطيب ، ان سبب نقل الاسواق من الطاقات الى الكرخ ، كان نتيجة اشارة رسول ملك الروم للمنصور فقد جاء في روايته قول هذا الرسول للمنصور « يا أمير المؤمنين انك بنيت بناء لم يبنه احد كان قبلك وفيه ثلاث عيوب . قال — وما هي ؟ قال — أول عيب فيه فبعده عن الماء ولا بد للناس من الماء لشفاهم ، واما العيب الثاني فان العين خضرة وتشتاق الى الخضرة وليس في بنائك هذا بستان ، واما العيب الثالث فان رعيتك معك في بنائك واذا كانت الرعية مع الملك في بنائه فشا سره »^(١٨) .

الطاقات الصفري :

ذكر الخطيب ان الداخل اذا انتهى من الطاقات (الكبرى) يفضي الى

(١٧) الطبري — ٦ / ٢٦٦ و ٢٦٧ ويروي الطبري رواية اخرى فيقول « قدم على المنصور بطريق من بطارقة الروم وافداً فأمر الربيع ان يطوف به في المدينة وما حولها ليرى العمران والبناء . فطاف به الربيع ، فلما انصرف قال للطريق — كيف رايت مدينتي ؟ وقد كان اصعد الى سور المدينة وقباب الابواب . قال — رايت بناء حسنا ومدينة حصينة الا اني قد رايت اعداءك معك في مدينتك . قال ومن هم ؟ قال — السوق يوافي الجاسوس من جميع الاطراف فيدخل الجاسوس بعلة التجارة والتجار هم برد الافاق فيتجسس بالاخبار ويعرف ما يريد وينصرف من غير ان يعلم به احد او يفتح ابواب المدينة لرفاقه ليلا » .

(١٨) الخطيب — ١ / ٧٨ .

رحبة مربعة ابعادها عشرون ذراعا في عشرين ذراعا^(١٩) وتجاهه الطاقات
الصغرى التي تلي دهليز المدينة الذي منه يخرج من الرحبة الدائرة حول
القصر والمسجد^(٢٠) . أما اليعقوبي فيروى ان الخارج اذا خرج من الطاقات
« خرج الى رحبة ثم الى دهليز عظيم ازج معقود بالآجر والجص عليه بابا
حديد يخرج من الباب الى الرحبة العظمى »^(٢١) .

(١٩) نفس المصدر - ١ / ٧٦ .

(٢٠) نفس المصدر - ١ / ٧٦ .

(٢١) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢ .

مجلسه اول
در روز پنجشنبه ۱۳۰۲
حاضرین: آقایان ...
موضوع: ...
قرارداد: ...
تاریخ: ...
محل: ...
مجلسه دوم
در روز ...
حاضرین: ...
موضوع: ...
قرارداد: ...
تاریخ: ...
محل: ...
مجلسه سوم
در روز ...
حاضرین: ...
موضوع: ...
قرارداد: ...
تاریخ: ...
محل: ...

الباب السابع

الرجبة العظمى

والله اعلم

والله اعلم

والله اعلم

والله اعلم

الفصل الاول

وصف الرحبة العظمى

تقع هذه الرحبة في وسط المدينة المدورة ، ونستطيع ان نطلق عليها اسم (قلب المدينة) وقد دعاها اليعقوبي باسم « الرحبة العظمى »^(١) دلالة على مساحتها الكبيرة الواسعة فروى ان الخارج اذا خرج من الطاقات خرج الى رحبة ثم الى دهليز عظيم ازج معقود بالآجر والجص عليه بابا حديد ثم يخرج من الباب الى الرحبة العظمى^(٢) .

وكانت هذه الرحبة تبدأ من السور المحيط بالرحبة ، الذي اشار اليه اليعقوبي وروى ان ابواب السكك الوثيقة لا تتصل بهذا السور^(٣) . والراجح ان هذا السور كان اشبه شئء بحاجز يفصل منطقة الطاقات والسكك والدور عن المنطقة المركزية .

وقد وصف اليعقوبي هذه المنطقة والعمائر التي فيها بقوله « وفي وسط الرحبة القصر الذي سمي بابه باب الذهب والى جنب القصر المسجد الجامع وليس حول القصر بناء ولا دار ولا مسكن لأحد الا دار من ناحية باب الشام للحرس وسقيفة كبيرة ممتدة على عمد مبنية بالآجر والجص ، يجلس في احدها صاحب الشرطة وفي الاخرى صاحب الحرس ، وهي اليوم يصلي فيها الناس وحول الرحبة كما تدور منازل اولاد المنصور الاصاغر ومن يقرب من خدمته من عبيده . وبیت المال وخزانة السلاح وديوان الرسائل وديوان

(١) البلدان - اليعقوبي صفحة ٢٤٠ .

(٢) نفس المصدر - صفحة ٢٤٠ .

(٣) نفس المصدر - صفحة ٢٤١ .

الخراج وديوان الخاتم وديوان الجند وديوان الحوائج وديوان الاحشام ومطبخ العامة وديوان النفقات» (٤) .

ولسنا نجد في كتب التاريخ والمظان العربية والاسلامية وصفا آخر يزيد عن وصف اليعقوبي ، ما يهدينا الى العنائر والمباني الواقعة حول القصر ، كدار الحرس وسقيفة صاحب الشرطة وابنية الدواوين ، ويرشدنا بصورة ثابتة ودقيقة الى تصميم هذه العنائر وطوال ابعادها ومساحة كل واحدة منها وهيئتها ، لذا فلا يمكننا ان نذكر عنها أي شيء ، وترك ذلك الى المستقبل عل التنقيبات والحفريات تكشف النقاب عن هذه الابنية والعنائر التي لا زالت اساساتها وجدرها واعمدتها خافية تحت طبقات الاتربة والاقاض ، والامل كبير ان تسعى مديرية الاثار العامة ، وبخاصة القائمين على ادارة قسم البحوث والدراسات الاسلامية فيها ، والمعنيين بشؤون الحفر والتنقيب ، الى المبادرة في البحث عن بقايا مدينة المنصور المدورة . واكتشاف هذه المدينة سيكون ، ولا شك ، من الاحداث المهمة والخطيرة في مجال الآثار والعمارة والفنون الاسلامية اذ سيهدينا الى كثير من الامور المتعلقة بتخطيط المدينة المدورة وابعادها على وجه من الدقة والحقيقة ، اضافة الى ما سنعرفه عن طبيعة الفن المعماري والهندسي في فجر الدولة العباسية وتطور هذا الفن وتكامله الذي ظهر بصورة واضحة في تشييد مدينة سامراء .

ويظهر من رواية الطبري ان المنصور كان لا يسمح لأحد من اتباعه ورجال حاشيته الى دخول الرحبة العظيمة وهو راكب فقد روى الطبري (٥) « ان عيسى بن علي شكى الى ابي جعفر فقال يا امير المؤمنين ان المشي يشق عليّ من باب الرحبة الى القصر وقد ضعفت قال فتحمل في محفة قال اني

(٤) نفس المصدر — صفحة ٢٤٠ .

(٥) الطبري — ٦ / ٢٦٦ .

استحي من الناس قال وهل بقي احد يستحيا منه قال يا امير المؤمنين فانزلني منزلة راوية من الروايا قال وهل يدخل المدينة راوية أو راكب قال فأمر الناس بتحويل ابوابهم الى فصلان الطاقات فكان لا يدخل الرحبة الا ماشيا قال ولما أمر المنصور بسد الابواب مما يلي الرحبة وفتحها الى الفصلان صيرت الاسواق في طاقات المدينة الاربع في كل واحد سوق فلم تزل على ذلك مدة حتى قدم عليه بطريق من بطارقة الروم وافدا « (٦) .

وسنبحث في بحوثنا القادمة فيما انشأ من عمائر داخل هذه الرحبة وهي :

اولا - قصر باب الذهب أو قصر القبة الخضراء

ثانيا - مسجد المنصور .

(٦) هذا بينما يروى الخطيب ١ / ٧٨ « وكان لا يدخل احد من عمومته ولا غيرهم من هذه الابواب الا راجلا ، الا داود بن علي عمه فانه كان منقرسا والنقرس كما جاء في معجم متن اللغة ٥ / ٥٢٩ - ورم ووجع في مفاصل الكعبين وهو في مفاصل القدم وابهامها اكثر) فكان يحمل في محفة ، ومحمد المهدي ابنه وتكنس الرحاب في كل يوم يكتسبها الفراشون ويحمل التراب الى خارج المدينة ، فقال له عمه عبد الصمد - يا امير المؤمنين انا شيخ كبير فلو اذنت لي ان انزل داخل الابواب فلم يأذن له فقال ، يا امير المؤمنين عدني بعض بغال الروايا التي تصل الى الرحاب فقال ، ياربيع بغال الروايا تصل الى رحابي؟ فقال - نعم يا امير المؤمنين فقال - تتخذ الساعة قني بالساج من باب خراسان حتى تجيء الى قصرى ففعل » .

الفصل الثاني

قصر باب الذهب

سبق وان اشرنا في موضع سابق ، بعض النقاط التي تلاحظ في تخطيط المدن العربية والاسلامية ، ونضيف نقطة اخرى في معرض حديثنا عن قصر باب الذهب ومسجد المنصور ، ان العرب في صدر الاسلام والعصر الاموي كانوا يعمدون إلى شيء من التنظيم في بناء المدن فكانوا اذا اختطوها بدؤوا بالمسجد الجامع أولا فجعلوه في مركز المدينة، وجعلوا حوله فراغا منه تشرع الطرق واليه تفضي الشوارع وبلصقه تماما دار الامارة وتكون عادة في الضلع القبلية منه كما في الكوفة والفسطاط والبصرة والقيروان وواسط ، ولم تكن دار الامارة في البصرة في قبة المسجد الا بعد ان حولها زياد بن ابيه (٧) اما في العصر العباسي فكانوا يتخيرون اولاً مكان البلاط أو القصر والى جانبه أو على مسافة منه تنشأ المساجد الجامعة (٨).

وهذه أول مرة في تخطيط المدن الاسلامية ، يخرق بناء بغداد القاعدة التي درج عليها المسلمون في بناء مدنهم ، فلم يبدأ المنصور ، كما هو متبع في المدن السابقة لبغداد ببناء المسجد في وسط المدينة (٩)، وانما جعل في

(٧) فتوح البلدان - البلاذري صفحة ٣٤٢ و ٣٤٣ .

(٨) تخطيط المدن عند العرب - ناجي معروف . غير مطبوع .

(٩) روى البلاذري في فتوح البلدان صفحة ٢٧٥ عن تمصير الكوفة « ثم وضع مسجدها ودار امارتها في مقام العالي واسهم لنزار واهل اليمن بسهمين ... وترك مادونها فناء للمسجد ودار الامارة » وروى اليعقوبي في البلدان

وسطها قصره ومقر خلافته (١٠) .

وايست لدينا معاومات كثيرة عن قصر المنصور سوى ما ذكر الخطيب في تاريخه ، وروايته مع اهميتها في ابراز الخطوط العامة لقصر باب الذهب فانها تعتبر مقتضبة لا تتناسب ومكانة هذا القصر الكبير الذي يعتبر في ذلك الوقت من العماير العظيمة .

كان قصر المنصور ، أو قصر القبة الخضراء ، على هيئة مربعة حسب ما روى الخطيب طول كل ضلع من اضلاعه الاربعة اربعمائة ذراع (١١) ، أي ما يعادل (٢٠٠ متر) فتكون مساحته مقاربة لاربعين الف متر مربع . وكان في صدر قصر المنصور ايوان اذ يروى الخطيب انه « كان في صدر قصر المنصور ايوان طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وسقفه قبة وعليه مجلس مثله فوqe القبة الخضراء وسمكه الى حد عقد القبة عشرون ذراعا فصار من الارض الى رأس القبة الخضراء ثمانين ذراعا » (١٢) .

صفحة ٢٣٠ و ٢٣١ عن الفسطاط « وبني عمرو بن العاص مسجد جامعها ودائر امارتها المعروفة بدار الرمل وجعل الاسواق محيطة بالمسجد الجامع » . (١٠٨) تشير الروايات التاريخية المختلفة ان قصر باب الذهب كان في وسط الرحبة . فقد روى اليعقوبي في البلدان صفحة ٢٣٠ « وفي وسط الرحبة لقصر الذي سمي بابيه باب الذهب وإلى جنب القصر المسجد الجامع » وجاء في الاعلاق النفيسة لابن رسته صفحة ١٠٨ « وفي وسط المدينة قصر لابي جعفر يسمى باب الذهب » وجاء في الكامل لابن الاثير ٥ / ٢١ قوله « وبني قصره في وسطها » .

(١١) الخطيب — ١ / ١٠٧ .

(١٢) الخطيب — ١ / ٧٣ ، اما ياقوت في معجمه ١ / ٦٣٨ فيروى « وبني القبة الخضراء فوق ايوان وكان علوها ثمانين ذراعا » ومناقب بغداد . لابن الجوزي صفحة ١١ .

والراجع ان هذا الايوان كان على هيئة قاعة كبيرة ذات قبو وفي صدر الايوان أي في الجهة البعيدة عن بابه وتستطيع ان نحدد المكان بدقة فنقول في مؤخرة الايوان أو في قبائلته قاعة يطلق عليها الخطيب اسم (مجلس) على شكل مربع طول كل ضلع من اضلاعها عشرون ذراعا ، أي ما يعادل عشرة أمتار وارتفاعها عشرة أمتار ايضا ، وفوق هذه القاعة قاعة أخرى لها نفس الابعاد وفوقها القبة الخضراء وهي القبة التي سمي القصر باسمها وترتفع عن الارض بمقدار ثمانين ذراعا ، حسب ما روى الخطيب وياقوت ، والمعروف ان هذه القبة كانت ترى من مسافة بعيدة من خلف اسوار المدينة المدورة (١٣) وكانت هذه القبة بمثابة « تاج بغداد وعلم البلد ومآثرة من مآثر بني العباس » (١٤).

ويشير بعض المؤرخين الى انه كان على رأس القبة الخضراء صنم على صورة فارس في يده رمح . فكان السلطان اذا رأى ان ذلك الصنم قد استقبل بعض الجهات ومد الرمح نحوها علم ان بعض الخوارج يظهر من تلك الجهة فلا يطول الوقت حتى ترد عليه الاخبار أن خارجيا قد نجم من تلك الجهة (١٥).

وطبيعي ان هذه الرواية لا أساس لها من الحقيقة ، ونكتفي بالرد عليها بما أورده ياقوت في معجمه فقد أخذ على الخطيب ذكر مثل هذه الرواية

(١٣) ويشير ابن الفوطي في الحوادث الجامعة صفحة ٣٠٢ بأنها كانت عالية ينظر الجالس فيها من يخرج من الانبار .

(١٤) مناقب بغداد ابن الجوزي صفحة ١٢ . ومعجم البلدان . ياقوت

١ / ٦٨٤ .

(١٥) الخطيب ١ - ٧٣ / مناقب بغداد . لابن الجوزي صفحة ١١ و ١٢ .

التي هي « من المستحيل والكذب الفاحش وانما يحكى مثل هذا عن سحرة مصر وطلسمات بليناس التي أوهم الاغمار صحتها تطاول الازمان والتخيل ان المتقدمين ما كانوا بني آدم ، فأما الملة الاسلامية فانها تجل عن مثل هذه الخرافات ، فان من المعلوم ان الحيوان الناطق مكلف الصنائع لهذا التثقال لا يعلم شيئا مما ينسب الى هذا الجماد ولو كان نبيا مرسلًا ، وايضا لو كان كلما توجهت الى جهة خرج منها خارجي لوجب ان لا يزال خارجي يخرج في كل وقت لانها لا بد ان تتوجه الى وجه من الوجوه » (١٦) .

ومن الجدير بالذكر ، ان تشير هنا ان اليعقوبي روى في حديثه عن دمشق فقال وبها خضراء معاوية وهي دار الامارة (١٧) . كما ان بعض المؤرخين يروون عن القبة الخضراء في واسط ، فقد روى البلاذري ان الحجاج « بنى مسجدها وقصرها وقبة الخضراء بها » (١٨) وروى ابن رسته (١٩) عن قصر الحجاج فقال « وفي قصره قبة مشرفة خضراء ترى من قم الصلح » (٢٠) كما ان الاصطخري أشار الى هذه القبة في اثناء حديثه عن واسط فقال « وبها خضراء الحجاج » (٢١) .

ومن المعروف ان دار الامارة الذي شيده ابو مسلم الخراساني في مرو كانت له قبة ، ولكننا لا ندري هل كانت خضراء ام لا ، فقد روى

(١٦) معجم البلدان ياقوت ١ / ٦٨٣ .

(١٧) البلدان - اليعقوبي صفحة ٣٢٦ .

(١٨) فتوح البلدان - البلاذري صفحة ٢٨٨ .

(١٩) الاعلاق النفيسة - ابن رسته صفحة ١٨٧ .

(٢٠) قم الصلح - وهو - كما جاء في معجم ياقوت ٣ / ٩١٧ - نير كبير

فرق واسط بينها وبين جبل عليه عدة قرى وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون وفيه بنى المأمون ببوران .

(٢١) مسالك الممالك - الاصطخري صفحة ٨٢ .

الاصطخري فقال « ودار الامارة من بناء ابي مسلم ، ودار الامارة على ظهر هذا المسجد وفي هذه الدار قبة بناها ابو مسلم كان يجلس فيها والى هذه الغاية يجلس في هذه القبة امرء وهي قبة من آجر . وسعة هذه القبة خمسة وخمسون ذراعا وللقبة اربعة ابواب كل باب الى ايوان » (٢٢) .

وليس بعيد ان يكون الحجاج قد قلد قبة قصر معاوية الخضراء بدمشق ، وان ابا مسلم بدوره قلد قبة واسط ، ثم جاء المنصور فأخذ هذا الاسلوب المعماري في تشييد القبة من طراز القبة الخضراء في واسط .

وانفرد الخطيب من بين المؤرخين المسلمين الاولين ، بذكر نفق المنصور الخاص في قصره ، ويتبين من روايته ان المنصور قد احدث في قصر باب الذهب نفقا خاصا ، وممرًا سريا ، يابجا اليه وقت الازمات ، روى الخطيب ان المنصور قال للربيع « يا ربيع هل تعلم في بنائي هذا موضعا ان اخذني فيه الحصار خرجت خارجا منه على فرسخين ؟ قال قلت لا : قال بلى . قال في بنائي هذا ما ان اخذني فيه الحصار خرجت خارجا منه على بعد فرسخين » (٢٣) .

وكان قصر باب الذهب بمثابة البلاط الرسمي للخليفة المنصور ، يمكنه في احد قاعاته متفرغا للنظر في أمور دولته الكبيرة ، وما يجبه الولايات من مشاكل وقضايا تعرض عليه لبيت فيها ، هذا بالاضافة الى انه محل سكناه الخاص وسكنى زوجاته ، وحشمه وخدمه والقائمين على مشاغل القصر والبلاط

(٢٢) نفس المصدر — صفحة ٢٥٩ .

(٢٣) الخطيب — ١ / ٧٧ اما ابن الجوزي فيقول في صفحة ١١ عن نفق المنصور الخاص « وكان المنصور يقول — هل تعلم في بنائي هذا موضعا اذا اخذني فيه الحصار خرجت خارجا منه على فرسخين ؟ فقال لا قال — بلى » ويعلق ابن الجوزي في المناقب على ذلك فيقول « ولعله اشار الى القنوات » .

وبقى هذا القصر مقرا للخلفاء الذين اعقبوا المنصور (٢٤) . ألا هارون الرشيد فضل الإقامة في قصر الخلد (٢٥) المشرف على نهر دجلة (٢٦) .
وحينما آلت الخلافة الى الامين ، تحول من قصر الخلد الى قصر المنصور ، اذ يروى الطبري انه « لما قدم كتاب صالح على محمد الامين مع رجاء الخادم ب وفاة الرشيد وكان نازلا في قصره بالخلد تحول الى قصر أبي جعفر بالمدينة » (٢٧) فعاد هذا القصر مركزا ومحلا لسكنى الخليفة بعد أن أضاف اليه ميادانا ، ويروى الطبري أنه « لما افضت الخلافة الى محمد وهذا الناس ببغداد اصبح صبيحة السبت بعد بيعته بيوم فأمر ببناء ميدان حول قصر أبي جعفر في المدينة » (٢٨) .

وفي الفترة التي هاجمت فيها جيوش المأمون المدينة المدورة ، بقيادة طاهر بن الحسين ، قائد جيوش المأمون ، مكث الامين في قصر باب الذهب محتفيا به (٢٩) . وقد كان يظن ان مناعة أسوار بغداد وفصلانها ودروبها ستقسمد امام جيوش طاهر بن الحسين ، فوزع رجاله وجنوده وحرسه على (٢٤) المهدي والهادي ، هذا وكان المهدي يتضي اكثر اوقاته في قصره بالرصافة .

(٢٥) قصر الخلد - بناء المنصور كما يروى الخطيب ١ / ٨٠ في سنة ١٥٨ هـ على نهر دجلة . والراجع انه سمي بالخلد تشبيها بجنة الخلد كما قال ابن الجوزي في المناقب صفحة ١٢ - التي ورد ذكرها في القرآن الكريم سورة الفرقان الآية ١٦ قوله تعالى « قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا » ونزل المنصور بقصر الخلد في نفس السنة اي في سنة ١٥٨ هـ كما جاء في الطبري بحوادث هذه السنة .

(٢٦) الطبري - ٦ / ٥٤٤ .

(٢٧) الطبري - ٦ / ٥٤٤ .

(٢٨) نفس المصدر - ٦ / ٥٥١ .

(٢٩) انظر الطبري في حصار طاهر لبغداد ٧ / ٥٠ - ٧٣ اذ يروي ان الامين كان نازلا في مدينة المنصور في قصر باب الذهب لما حصره طاهر .

أسوار المدينة (٣٠) ، بيد ان هذا لم يجد شيئاً امام المجانيق الكثيرة التي نصبها طاهر حول المدينة المدورة ، من جانبها الغربي وراح يرشق أسوارها وقصرها بوابل من الحجارة الكبيرة ، فتهدمت بعض اجزائها ، وأصاب البعض الآخر منها التخریب .

ومما يفهم من روايات المؤرخين ان قبة مجلس المنصور الخضراء بقيت قائمة على جدرانها حتى سقط رأسها في يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادي الآخرة سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، وكان ليلتئذ مطر عظيم ورعد هائل وبرق شديد (٣١) ويعتقد لسترائج انه ربما أصابتها صاعقة الهبت فيها النيران (٣٢) .

والظاهر أن آخر خبر جاءنا عن بقايا القبة الخضراء ورد في كتاب الحوادث الجامعة لسنة ٦٥٣ هـ « وفيها وقعت القبة الخضراء المجاورة لجامع المنصور » (٣٣) .

ومن المؤكد ان سبب وقوع بقايا الخضراء يرجع الى الفرق الذي حدث في بغداد في سنة ٦٥٣ هـ الذي أشار اليه صاحب الحوادث الجامعة بقوله « وفي هذه السنة اتفقت أمور عجيبة وحوادث غريبة ... منها الفرق العام الذي أخرب بغداد ولا سيما دار الخلافة ، والدور الشطانية في الجانبين ، وتهدمت الجوامع والمساجد كجامع المنصور ... والقبة الخضراء » (٣٤) .

(٣٠) الطبري - ٧ / ٧٣ .

(٣١) تاريخ يعقوبي - ٢ / ٤٥٠ والخطيب ١ / ٧٣ ومعجم البلدان

لياقوت ١ / ٦٨٣ و ٦٨٤ ومناقب بغداد لابن الجوزي صفحة ١١ .

(٣٢) بغداد في عهد الخلافة العباسية - لسترائج صفحة ٣٩ .

(٣٣) الحوادث الجامعة - ابن الفوطي صفحة ٣٠٢ و ٣٠٣ .

(٣٤) نفس المصدر صفحة ٣٠٣ .

الفصل الثالث

مسجد المنصور

يعتبر مسجد المنصور اول مسجد شيد في أرض بغداد ^(١) ، وهو من أكبر المساجد الجامعة التي بنيت في العراق في مدينتي البصرة والكوفة ، وتكاد مساحته تكون مقاربة لمسجد الحجاج في واسط ^(٢) ، وتخطيطه كان نموذجا لتخطيط الجوامع التي بنيت بعدئذ في بغداد ، والذي يؤلم ان معالم هذا المسجد قد زالت عن الوجود منذ سنين كثيرة ، كما زالت جميع آثار ومخلفات المدينة المدورة ، ولم يبق أي ذكر له الا في بعض المصادر الاسلامية الاولى ، وحتى هذه المصادر لا تشير اليه الا اشارة عابرة ، فاليعقوبي مثلا ، وهو الذي أهتم في كتابه البلدان بذكر مدينة بغداد وأسوارها ورحباتها وسككها وهدانا فيما كتب الى بعض معالم مدينة أبي جعفر المنصور ، ووضع لنا بعضا من خططها ، غير انه مع ذلك لا يشير الى مسجد المنصور الا اشارة عابرة .

وقد ورد ذكر هذا المسجد في تاريخ بغداد للخطيب ، وإشاراتة بدورها موجزة مقتضبة لا تتناسب ومنزلة هذا المسجد الاول ، وقد حاول بعض علماء الآثار الاسلامية ان يكتبوا عنه ويرسموا مخططات له ، امثال العالم الالماني

(١) الحوادث الجامعة - ابن الفوطي صفحة ٣٠٣ .

(٢) روى ياقوت في معجمه ٤ / ٨٨٥ عن مسجد الحجاج بواسط «وذراع مسجد الجامع مايتين في مايتين» ويؤخذ من نتائج التنقيبات التي جرت في مدينة واسط كما ورد في كتاب (واسط) للاستاذ فؤاد سفران الجامع الاول المكتشف وهو جامع الحجاج ذو شكل مربع تقريبا ابعاده (١٠٤٣٠ x ١٠٣٥٠) .

هرتسفيلد^(٢) والعالم البريطاني كريزويل^(٣) والمستشرق البريطاني لسترايخ^(٤) وغيرهم من الباحثين ، ويعتبر الباحثان اللذان كتبهما هرتسفيلد وكريزويل أهم البحوث التي تناولت هذا المسجد ، وقد وضع كل منهما تخطيطا له ، ويظهر للباحث اختلافهما في تحديد مكان المسجد أولا ، ومكان الصحن الذي اضيف الى الصحن الاول المسمى بالصحن العتيق ثانيا . ومن الباحثين العرب من أهتم برسم مخطط المسجد ، الدكتور احمد فكري ، فجاء بمشروع تخطيطي للزيادة في عهد المعتضد^(٥) .

وسنحاول في هذا البحث ان نلهم بتخطيط مسجد المنصور على ضوء ما جاء في وصف الخطيب البغدادي له ، وما كتبه عنه الباحثون ثم نذكر رأينا فيما كتبوه عنه .

كتب الخطيب في وصف مسجد المنصور فقال « كان ابو جعفر المنصور جعل المسجد الجامع للمدينة ملاصقا لقصره المعروف بقصر الذهب وهو الصحن العتيق وبناءه باللبن والطين ومساحته على ما أخبرنا محمد بن علي الوراق واحمد بن علي المحتسب قالا أخبرنا محمد بن جعفر النحوي أخبرنا الحسن بن محمد السكوتي أخبرنا محمد بن خلف قال وكانت مساحة قصر المنصور اربعمائة ذراع في اربعمائة ذراع ومساحة المسجد الاول مائتين في مائتين واساطين الخشب في المسجد يعني كل اسطوانة قطعتين معقبتين بالعقب والغري

(٣) *Archäologische Reise im Euphrat und Tigris.*, Band. II, (٣) p. 136, 137, 138.

وانظر مخطط مسجد المنصور في هذا الكتاب على صفحة ١٣٧ .

(٤) انظر *Early Muslim Architecture*, Vol. II p.31.

وانظر صفحة ١٧٩ - ١٨٢ من كتاب المختصر . ومخطط المسجد في الصفحة ١٨١ .

(٥) انظر بحثه عن جامع المنصور في كتابه (بغداد في عهد الخلافة العباسية)

المرجم في الصفحات ٣٩ - ٤١ .

(٦) انظر المدخل لاحمد فكري صفحة ٢٣٣ .

وضبات الحديد ألا خمساً أو ستاً عند المنارة فإن في كل أسطوانة قطعاً ملفقة مدورة من خشب الاساطين . قال محمد بن خلف وقال ابن الاعرابي — تحتاج القبلة الى ان تحرف الى باب البصرة قليلاً وان قبله الرصافة أصوب منها . فلم يزل المسجد الجامع بالمدينة على حاله الى وقت هارون الرشيد ، فأمر هارون بنقضه واعادة بنائه بالاجر والجص ففعل ذلك وكتب عليه اسم الرشيد ، وذكر أمره ببنائه وتسمية البناء والنجار وتاريخ ذلك هو ظاهر على الجدار خارج المسجد مسايلي باب خراسان الى وقتنا هذا . أنبأنا ابراهيم بن مخلد أخبرنا اسماعيل الخطابي قال وهدم مسجد أبي جعفر المنصور وزيد في نواحيه وجدد بناؤه واحكم وكان الابتداء به في سنة اثنتين وتسعين (ومئة)^(٧) والفراغ منه في سنة ثلاث وتسعين (ومئة) وكانت الصلاة في الصحن العتيق الذي هو الجامع حتى زيد فيه الدار المعروفة بالقطان ، وكانت قديماً ديواناً للمنصور فأمر مفلح التركي ببنائها على يد صاحبه القطان فنسبت اليه ، وجعلت مصلى للناس وذلك في سنة ستين أو إحدى وستين ومائتين ، ثم زاد المعتضد بالله الصحن الاول وهو قصر المنصور ووصله بالجامع ، وفتح بين القصر والجامع العتيق في الجدار سبعة عشر طاقاً ، منها الى الصحن ثلاثة عشر ، والى الاروقة اربعة ، وحول المنبر والمحراب والمصورة الى المسجد الجديد . وأنبأنا ابراهيم بن مخلد قال أنبأنا اسماعيل بن علي قال — وأخبر أمير المؤمنين المعتضد بالله بضيق المسجد الجامع بالجانب الغربي من مدينة السلام في مدينة المنصور ، وان الناس يضطرونهم الضيق الى أن يصلوا في المواضع التي لايجوز في مثلها الصلاة ، فأمر بالزيادة فيه من قصر أمير المؤمنين المنصور ، فبنى مسجد على مثال المسجد الاول في مقداره او

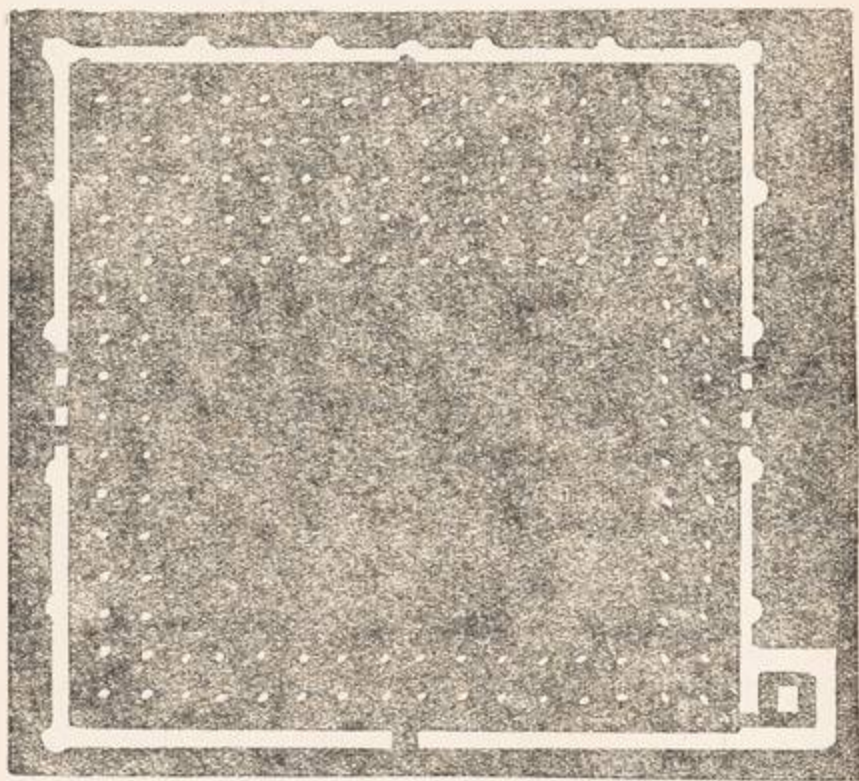
(٧) ثبتنا كلمة مئة ووضعناها بين قوسين وهي لم ترد في طبعة السعادة لتاريخ بغداد للخطيب .

نحوه ، ثم فتح في صدر المسجد العتيق ووصل به فأتسع به الناس • وكان الفراغ من بنائه والصلاة فيه في سنة ثمانين ومائتين • وقال الشيخ ابو بكر وزاد بدر مولى المعتضد من قصر المنصور المسقطات المعروفة بالبدرية في ذلك الوقت « (٨) •

صفة المسجد والمراحل التي مر بها

وسوف نصف المسجد في مختلف المراحل التي مرت عليه خلال العصور العباسية • وتسهيلا للبحث تقسم هذه المراحل الى ثلاث :
المرحلة الاولى — مرحلة التأسيس •
المرحلة الثانية — مرحلة التجديد •
المرحلة الثالثة — مرحلة الزيادة •

(٨) الخطيب — ١٠٧/١ و ١٠٨ •



(شكل - ١٨ رسم تخطيطي للمسجد على عهد المنصور ومنقول عن
سارة وهرتسفيلد) •

الفصل الرابع

المرحلة الاولى - مرحلة التأسيس

وقد تم تنفيذ بناء المسجد في هذه المرحلة على يد الخليفة أبي جعفر المنصور ، في عام ١٤٥ هـ - ٧٦٦ م . ونستطيع ان نطلق على هذه المرحلة اسم مرحلة التأسيس . لقد جعل المنصور المسجد الجامع ملاصقا بقصره المعروف بقصر باب الذهب ، وكان شكله على هيئة مربع متساوي الاضلاع ، طول كل ضلع من اضلاعه مائتا ذراع او ما يعادل مائة متر تقريبا . وهذا المسجد الجامع يحتوي على المصلى وفيه المحراب ، وعلى المؤخرة والمجنبتين والفناء - ومن الراجح انه كان يحتوي على ميضأة - ومأذنة . ومن الواضح ان مصلى هذا المسجد او (بيت الصلاة) كان فسيحا وكبيرا طوله بقدر طول ضلع المسجد ، يشغل ثلث مساحة المسجد كله ^(١) ويحتوي على خمسة سواري او (اساكيب) ^(٢) وصف في كل سكوب منها ستة عشر عمودا من الخشب ، أي ان الاساكيب كانت تنقسم الى سبع عشرة بلاطة ^(٣) ، وكان بيت الصلاة يطل على جانب من الصحن وكانت تحيط بالصحن من جانبيه مجنبتان لكل منها رواقان ، وكانت المجنبتان والمؤخرة

(١) المدخل - الدكتور احمد شكري صفحة ٢٢٣ .

(٢) فتوح البلدان - الذي ذكره البلاذري فيه في الصفحة ٣٤٢ و ٣٤٣ ان

زيادا لما بنى مسجد البصرة جعل صفته المقدمة خمس سواري .

(٣) هذا مستنتج من رواية الخطيب ١٠٨/١ التي يقول فيها وفتح بين

القصر والجامع العتيق في الجدار سبعة عشر طاقا منها الى الصحن ثلاثة عشر

والى الاروقة اربعة .

تطل على الجوانب الثلاثة الأخرى من الصحن ، كما كانت له مؤخرة تقع قبالة المصلى الذي فيه المحراب ، وتتألف أيضاً من رواقين (انظر شكل ١٨) وقد ورد ذكر منارة المسجد في رواية الخطيب ، ولكن ليس في جميع المصادر العربية والإسلامية ما يشير إلى شكلها أو هيئتها أو الموضع الذي كانت فيه ، وإن كنا نستنتج من الرواية أن المنارة كانت على مقربة من أساطين المصلى . والمادة التي استخدمت في بنائه في هذه المرحلة هي اللبن والطين وهي المادة التي بنيت بها أغلب أقسام المدينة المدورة بوجه عام ، أما أعمدته فمن الخشب وقد وصفها الخطيب بقوله بأن « كل اسطوانة كانت قطعتين معقبتين بالعقب » (٤) . ويرى هرتسفيلد أن الخطيب يقصد بقوله « قطعتين معقبتين بالعقب » أن القطعتين متصلتان أحدهما بالآخرى من طرفيهما . أي أن العمود الواحد أو الاسطوانة كان يتألف من قطعتين أحدهما فوق الأخرى ، ويضيف هرتسفيلد أن هنالك أمثلة لمثل هذا الاسطوانات من الأعمدة الرخامية في سامراء ، فإن كل عمود منها يتكون من ثلاث قطع (٥) .

ويشير كريزويل أن لين بول Lane Pool فسر قول الخطيب « بالعقب » بأنه الأوتار النصلية التي تصنع منها أوتار الأقواس (٦) . أما قول الخطيب « والغري وضبات الحديد إلا خمسا أو ستا عند المنارة فإن في كل اسطوانة قطعاً ملفقة مدورة من خشب الأساطين » وقد أوضح لسترايج عبارة الخطيب هذه بقوله « ويقوم سقفه على أساطين من الخشب كل اسطوانة قطعتين معقبتين بالعقب والغري وضبات الحديد إلا خمسا أو ستا عند المنارة ، فإن

(٤) العقب - كما جاء في معجم متن اللغة ١٥٥/٤ . جمعها أعقاب من

كل شيء آخره وخاتمته .

Archäologische Reise, Band II, p.135.

(٥)

Early Muslim Architecture, Vol. II p.31.

(٦)

كل اسطوانة منها مصنوعة من جذع شجرة واحدة ، ولكل اسطوانة تاج مدور مصنوع من قطعة خشبية واحدة موضوعة فوق أعلى الاسطوانة »^(٧) ويقول هرتسفيد « ان الفرق بين الاعمدة التي كانت عند المنارة والاعمدة الاخرى هي ان الاولى كانت تتكون من الخشب بينما يتكون كل عمود من الاعمدة الاخرى من قطعتين » وأن قول الخطيب « في كل اسطوانة قطعاً ملفقة مدورة من خشب الاساطين » هو وصف الاعمدة جميعها . وانه يفهم من قوله :

« ملفقة ... » أي يقصد به تاج العمود ، وان هذه التيجان كانت مكونة من عدة قطع متصلة بعضها ببعض كما يشاهد ذلك الآن في التيجان الخشبية الحديثة ببلاد ما بين النهرين وفارس^(٨) .

القبلة :

أما قول الخطيب « تحتاج القبلة الى ان تحرف الى باب البصرة قليلا وان قبلة الرصافة أصوب منها »^(٩) فيوضح ابن الاثير ذلك أن انحراف القبلة قد نشأ من بناء المسجد ملاصقا للقصر بعد أن تم بناء القصر اولا حيث « كان غير مستقيم على القبلة »^(١٠) ويوضح لسترانج هذا الانحراف الذي كان سببه ان الجامع شيد بعد بناء القصر « ولكي يكون وضعه متناسبا مع

(٧) بغداد في عهد الخلافة العباسية . لسترانج صفحة ٤٠

Archaeologische Reise, Band II, p.135. (٨)

(٩) انظر نص رواية الخطيب التي اوردناها في الصفحات السابقة . وانظر

احسن التقاسيم للمقدسي صفحة ١٢١ وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٩٧/١٠

(١٠) الكامل - ابن الاثير ٣٩/٥ وانظر المناقب لابن الجوزي صفحة ٢٠

و ٢١ و البداية والنهاية لابن كثير ٩٧/١٠ .

وضع القصر أصبح محرابه منحرفا عن القبلة التي هي في الواقع أقرب الى اتجاه باب البصرة ، فالشخص المستقبل مكة يقع موضع الجامع الكبير على الجهة اليسرى أو الجنوبية الشرقية من باب قصر الذهب ، بينما الواجهات الرئيسية لهذين البنائين القائمين على أستقامة واحدة ، مقابلة لباب خراسان ، فإذا علمنا أن هذا الباب يقع في الشمال الشرقي من السور فإن الجدار الخلفي للجامع الذي يتوسطه المحراب يتجه نحو الجنوب الغربي ، بينما الاتجاه الصحيح نحو مكة من بغداد يجب أن يكون نحو جنوب الجنوب الغربي»^(١١) .
ومن الجدير بالذكر أن كلا من هرتسفيلد وكريزويل قد وضعا مخططا لمسجد المنصور في هذه المرحلة • (انظر الشكلين — ١٨ و ٢١) •

(١١) بغداد في عهد الخلافة العباسية — لسترانج صفحة ٣٩ .

الفصل الخامس

المرحلة الثانية - مرحلة التجديد .

تبدأ هذه المرحلة في عهد الخليفة هارون الرشيد سنة ١٩٢ - ١٩٣ هجرية ، وكما يظهر بوضوح من رواية الخطيب ان هارون الرشيد قد هدم المسجد الاول الذي شيد في عهد المنصور ، وأعاد بناءه بالآجر والجص ، ومن المعروف أن هذا التجديد لمسجد المنصور قد تم على نفس المخطط السابق له ، وبنفس الابعاد ، أي انه بقي مربع الشكل ، طول كل ضلع من أضلاعه مائتا ذراع ، وقد سجل الرشيد تأريخ هذا التجديد في لوحة كتابية تضمنت اسم البناء وتأريخ البناء وكانت هذه الكتابة لاتزال باقية في حدود منتصف القرن الخامس الهجري ، حيث ألف الخطيب كتابه تاريخ بغداد ، الذي يشير فيه الى أن المسجد الجامع لا يزال بالمدينة على حاله «الى وقت هارون الرشيد فأمر هارون بنقضه واعادة بنائه بالآجر والجص ففعل ذلك وكتب عليه اسم الرشيد وذكر أمره ببنائه وتسمية البناء والنجار وتأريخ ذلك» (١) . ويشير هرتسفيلد الى ان الجدران المحيطة بالمسجد فقط هي التي أعيد تجديدها بالطوب والمونة وأن الاعمدة الخشبية بقيت أو استعيض عنها بغيرها من مثيلاتها كما يتضح ذلك من ذكر النجار على مدخل المسجد (٢) . والظاهر أن الخليفة هارون الرشيد صنع منبرا للمسجد غير المنبر القديم حيث يروي الخطيب رواية عن تجديد مسجد برائثا الذي « مكث خرابا الى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ، فأمر الامير بجكم باعادة بنائه وتوسعته وأحكامه

(١) الخطيب - ١٠٨/١

Archäologische Reise, Band II, p.136.

(٢)

فبنى بالجص والآجر وسقف بالساج المنقوش ووسع فيه ببعض ما يليه مما
أبتاع له من أملاك الناس ، وكتب في صدره اسم الراضي بالله ، وكان الناس
يتتابونه للصلاة فيه والتبرك به ، ثم امر المتقي لله بعد بنصب منبر فيه كان
بمسجد مدينة المنصور معطلا مخبوا في خزانة المسجد وعليه اسم هارون
الرشيد فنصب في قبة المسجد » (٣) .

الفصل السادس

المرحلة الثالثة - مرحلة الزيادة

تبدأ المرحلة الثالثة من مراحل هذا المسجد بعد عودة العاصمة من سامراء الى بغداد سنة ٢٧٩ هجرية في عهد الخليفة المعتمد ^(١) وطبيعي ان الخليفة حينما أتقل الى بغداد اتقلت معه جميع الدواوين الرسمية ، بما فيها من موظفين وكتبه وتابعين ثم الحاشية والجند ، ولا يخفى ان العدد قد تضاعف كثيرا عما كان عليه في عهد المنصور والخلفاء الذين اعقبوه بالاضافة الى سكان مدينة بغداد الغربية والشرقية . وطبيعي ان المسجد الذي حافظ على مساحته السابقة في عهد الرشيد لم يكن ليستوعب مثل هذا العدد الكبير من المصلين فضاقت بهم ، هذا اذا علمنا ان المصلين كانوا لا يحسون بشل هذا الضيق في مسجد سامراء الكبير قبل انتقال العاصمة الى بغداد ، حيث ان مساحة هذا المسجد الكبير كانت اربعة اضعاف مساحة مسجد المنصور تقريبا وأبعاد مسجد سامراء كانت ٢٤٠ مترا طولا و ١٦٠ مترا عرضا ^(٢) . مجموع مساحته بالامتار المربعة يكون ما يقارب (٣٨٩٤٠٠) متر مربع بينما مساحة مسجد المنصور تساوي حوالي (عشرة آلاف) متر مربع .

وينبغي ان نذكر هنا ان البحوث التي قدمها كل من هرتسفيلد وكريزويل

(١) المعتمد - ولد - كما جاء في السيوطي صفحة ٣٦٣ - في سنة ٢٢٩ هـ وبويع للخلافة سنة ٢٥٩ هـ كما جاء في الطبري ومات سنة ٢٧٩ هـ وكان قد جاء الى بغداد قبل ان ياتيه الاجل بحوالي ستة اشهر .

(٢) سامراء - مديرية الآثار العامة صفحة ٤٥ .

1870

1. The first thing I noticed when I stepped out of the train at the station was the cold. It was a sharp contrast to the warm, humid air of the South. I had heard that the weather in the North was harsh, but I didn't realize how cold it would be. The wind was biting, and the snow was falling in soft, silent flakes. I pulled my coat tighter around me and shivered.

2. As I walked through the city streets, I noticed how different everything was. The buildings were taller and more imposing than the ones back home. The streets were wider and more crowded. I saw people in long coats and hats, some carrying umbrellas. They looked at me with curiosity, as if I was a stranger in a strange land. I felt a little lost, but I tried to keep my head up and walk with confidence.

3. I found a small, cozy inn where I could stay for the night. The room was simple but comfortable. The bed was soft, and the fire in the hearth was warm. I sat by the fire, feeling the heat on my face, and thought about home. I missed the warm sun and the gentle breeze, but I also missed the peace and quiet of my old life. I knew that this was my chance to start over, to build a new life for myself. I took a deep breath and decided to face whatever came my way.

4. The next morning, I went to the office where I had been hired. The boss was a stern man with a long, thin mustache. He looked at me and said, "You're new here, aren't you? Well, you better get used to the way things are done around here. We don't do things your way, and we don't do things halfhearted. You'll have to work hard and follow the rules, or you won't last long." I nodded and said, "Yes, sir. I understand. I'll do my best." He gave me a small smile and said, "Good. Now, let's get to work."

5. I worked hard every day, trying to keep up with the pace of the new job. It was challenging, but I was determined to succeed. I learned a lot from my colleagues and the boss. I saw how they worked, how they communicated, and how they handled problems. I tried to learn from them and apply what I learned to my own work. I was starting to feel like I was part of the team, like I belonged here.

6. One day, I was working on a project that was really important. I was under a lot of pressure, and I was feeling a little overwhelmed. I went to the boss and said, "I'm having trouble with this project. Can you help me?" He looked at me and said, "Of course I can. But you have to show me where you're having trouble. Don't just tell me you're having trouble. Show me. Let me see what you've done so far." I showed him my work, and he pointed out a few mistakes. He said, "You're on the right track, but you need to be more careful. Pay attention to the details. That's what makes the difference between a good job and a great job." I nodded and said, "Thank you, sir. I'll be more careful next time."

7. The project was finally completed, and I was proud of what I had accomplished. I had worked hard, and I had overcome all the challenges. I went to the boss and said, "I've finished the project. It's all done." He looked at my work and said, "That's excellent. You did a great job. I'm proud of you. You've really grown since you started here. Keep up the good work, and you'll be a valuable asset to the team in no time." I smiled and said, "Thank you, sir. I'll keep working hard and doing my best."

8. As the days went by, I started to feel like I was finally settling in. I had found a place where I could work hard and grow. I had found a place where I belonged. I was starting to feel like I was a part of the team, like I was a member of the family. I was starting to feel like I was home.

(Continued on p. 10)

عن المدينة المدورة ، تحظى عند الباحثين بالتقدير الكبير والعناية البالغة ، ولا ريب أنها قد أضافا بعض المعلومات لما لدينا من معلومات سابقة عن مدينة أبي جعفر المنصور أناح لها ذلك ، الاطلاع الواسع على الفنون والعمارة الاسلامية ، وعماهما في العمل والتنقيب في العراق وغيره من اجزاء الوطن العربي والاسلامي . ولكن هذا لا يمنع من أن نشير الى ان الباحث في موضوع المدينة المدورة يلاحظ اضطرابهما في أمر مسجد المنصور . أما بالنسبة الى هرتسفيلد فإن اضطرابه يظهر واضحا في مشروعه لتخطيط المسجد وتعيين موضعه بالنسبة للقصر ، فهو في تصميمه له ، يضعه في الجدار الجنوبي الغربي المقابل لباب الكوفة ، وهذا أمر مخالف للنص الذي أورده الخطيب (انظر الشكل - ١٩) .

فقد تحدث الخطيب ، كما سبق وأشرنا اليه في اثناء كلامه عن تجديد المسجد في عهد هارون الرشيد فذكر بان هارون الرشيد كتب اسمه واسم النجار والبناء ، وهو ظاهر على الجدار خارج المسجد مما يلي باب خراسان ، ومن هذا الكلام الواضح نستطيع ان نستنتج في دقة تامة ، ان مسجد المنصور يجب ان يكون جدار قبلته ملاصقا للجدار الشمالي الشرقي لقصر المنصور ، وجدار مؤخرته المقابل للسحراب يكون مواجهها لباب خراسان .

واذا ما وضع المسجد الجامع في هذا الموضع الصحيح ، فان جداره الآخر المقابل لجدار القبلة والذي كان فيه من دون شك مدخل يفضي الى داخل المسجد والذي ثبت الرشيد على صفحة من واجهته اللوح النني ذكر فيه أمر تجديده للمسجد ، يكون مقابلا لباب خراسان التي أشار اليها الخطيب .

وقد اورد الخطيب روايتين ، تؤيدان ما ذهبنا اليه في تحديد موضع

مسجد المنصور ، فقد روى الخطيب « ان القاضي ابا تمام^(٣) كان يصلي في ايام الجمع على باب داره الراكبة لدجلة في باب خراسان ، والصفوف مائة من المسجد الى ذلك المكان والصلاة قائمة بمكبرين ينقلون التكبير عند الركوع والسجود والنهوض والقعود »^(٤) .

أما الرواية الثانية فقد روى الخطيب :-

« كنت امضي مع والدي الى المسجد الجامع بالمدينة لصلاة الجمعة ، فربما وصلنا الى باب خراسان في دجلة وقد ضاق الوقت وقامت الصلاة وامتدت الصفوف الى الشاطيء فنصد وتفرش الى السميرية^(٥) ونصلي^(٦) . اما اذا ما طبقنا روايات الخطيب هذه على تخطيط مسجد المنصور الذي وضعه هرتسفلد فان الواجهة التي ذكر فيها أمر التجديد ، سوف لا تكون حتما مقابل باب خراسان ، كما ان باب دار ابي تمام الراكبة لدجلة بباب خراسان سوف لا يصبح موضعها على مقربة من باب خراسان ايضا ، وكذلك الحال في الرواية الاخيرة التي تشير ان صفوف المصلين كانت تصل في ايام الجمع الى شاطيء دجلة ، مما يضطر بعضهم الى الصلاة في السيريات ، فان هذه الصفوف حسب رواية هرتسفلد لا يكون امتدادها نحو باب خراسان وشاطيء نهر دجلة .

هذا وان لسترانج بدوره قد اضطرب في تعيين مسجد المنصور بالنسبة للقصر والمدينة ، فهو قد وضع المسجد — كما جاء في خارطته^(٧) — في الجهة

(٣) وهو القاضي ابو تمام الزيني .

(٤) الخطيب — ٤٨/١

(٥) السميرية — كما جاء في مناقب بغداد لابن الجوزي صفحة ١٧ —

ضرب من السفن .

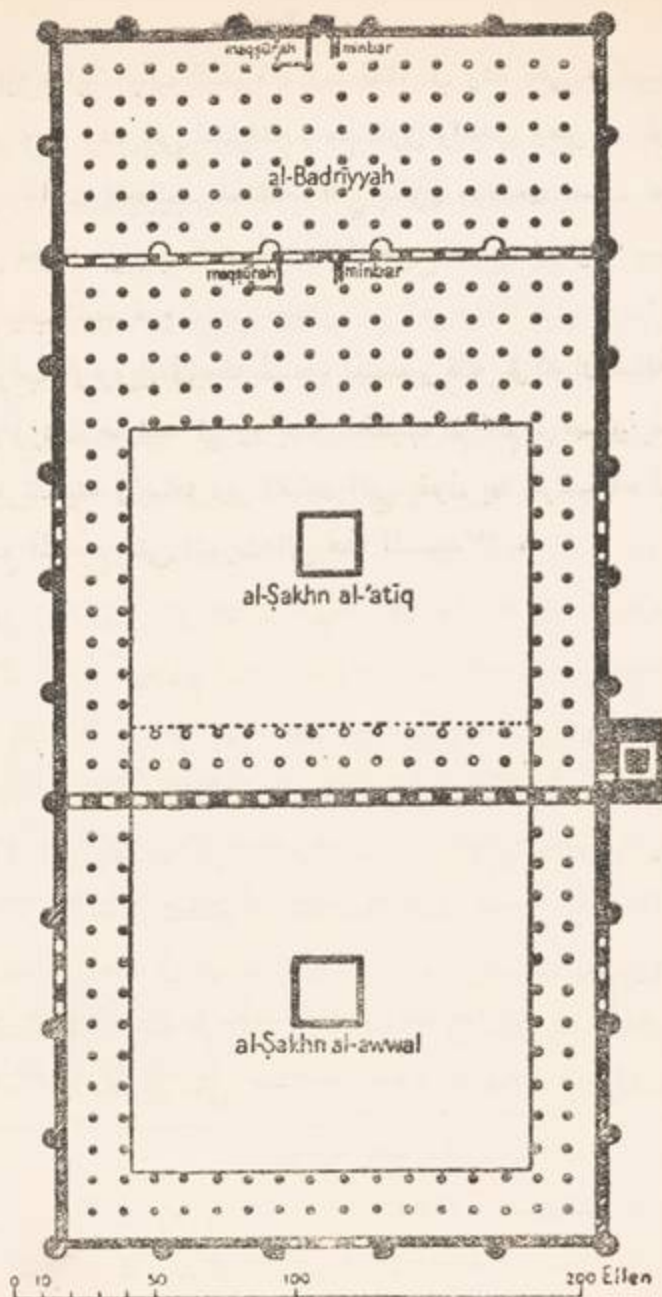
(٦) الخطيب — ٤٩/١ .

(٧) انظر الخارطة رقم ٢ — مقابل صفحة ٢٣ من كتاب لسترانج المترجم .

الجنوبية الشرقية مقابلا لباب البصرة ، وما قلناه في ردنا على هرتسفيلد نستطيع ان نقوله في ردنا على لسترانج ، مع فارق واحد ، وهو ان المواضع التي وردت في روايات الخطيب المختلفة والتي يكون موضعها حسب تخطيط هرتسفيلد على مقربة من باب الكوفة ، فانها تصبح حسب تخطيط لسترانج على مقربة من باب البصرة .

اما اضطراب كرزويل في بحثه لمسجد المنصور فانه يؤكد ان اضافة بيت القطان التي وردت صراحة في رواية الخطيب لم تتم ، فهو يقول في رده على هرتسفيلد و اضافة دار القطان التي يقول بها هرتسفيلد لم يرد ذكرها في جميع المراجع التي اشارت الى هذا المسجد^(٨) .

(شكل — ٢٠ تقسيم هر تسييلد لمجد المنصور في المرحلة الثالثة —
 مرحلة الزيادة)



ونود ان نعقب على ما كتبه كريزويل في امر دار القطان هذه — ان
 اضافة دار القطان لم يستتجها هرتسفيلد استنتاجا ، او ادلى بها من عندياته
 وانما استقاها من رواية الخطيب التي يقول فيها « وكانت الصلاة في الصحن
 العتيق الذي هو الجامع حتى زيد فيه الدار المعروفة بالقطان ، وكانت قديما
 ديوانا للمنصور فأمر مفلح التركي بنائها على يد صاحبه القطان فنسبت
 اليه وجعلت مصلى للناس وذلك في سنة ستين او احدى وستين ومائتين »^(٩) .
 اما قول كريزويل بان أمر اضافة دار القطان لم يرد ذكرها في جميع
 المراجع التي اشارت الى هذا المسجد فأمر خاطيء اذ ان الخطيب في كتابه
 « تاريخ بغداد » يذكر صراحة هذه الاضافة^(١٠) .

ولقد تجاهل البروفسور كريزويل النص الذي يشير الى زيادة دار
 القطان ، وكأنه غير وارد في أهم مؤلف بحث عن المدينة المدورة ، في حين
 انه في بحثه عن بغداد^(١١) ، ذكر رواية الخطيب بأجمعها ، وكان ضمن هذه
 الرواية النص الذي يشير الى اضافة دار القطان .

وسوف اذكر الان تصميم كل من هرتسفيلد وكريزويل لمسجد المنصور
 في هذه المرحلة ، وابدأ اولا بتصميم هرتسفيلد^(١٢) .

ان فتح سبعة عشر طاقا في الحائط الذي كان يفصل بين المسجدين ثلاثة
 عشر منها الى الصحن ، واربعة الى الاروقة الجانبية يدل على ان المسجد
 القديم لا بد وانه كان يحتوي على سبعة عشر رواقا من اليسار الى اليمين،

(٩) الخطيب — ١٠٨/١ .

(١٠) نفس المصدر — ١٠٨/١ .

(١١) انظر بحثه عن مسجد المنصور في كتابه .

Early Muslim Architecture, Vol. II p.31. (١٢)

Archäologische Reise, Band II, p. 137, 138.

وان الاروقة الجانبية كانت اربعة في كل جانب رواقان وهذا يساعدنا على
امكان تصميم هذا البناء وتقسيم ال (٢٠٠) ذراع وهي طول ضلع المسجد
كما يأتي :-

$$١٥ = ٢ \times ٧٥ \text{ ذراعا جدران وابراج مستديرة}$$

$$١٧ \times ٩ = ١٥٣ \text{ ذراعا وهي المسافة بين الاعمدة البالغ عددها ١٧ كل منها}$$

تسعة اذرع .

$$١٦ \times ٢ = ٣٢ \text{ ذراعا وهي مقدار المسافة التي تشغلها الاعمدة البالغ}$$

عددها ١٦ عمودا وكل منها ذراعان .

٢٠٠ ذراع المجموع

ويتساءل كريزويل عن عدد أروقة الايوان الكبير في المسجد ويذكر انه
مجهول ، ويجب بانه نظرا لان الايوانين الجانبين يحتوي كل منهما على
رواقين فلا يمكن ان تقل اروقة الايوان الكبير عن اربعة^(١٣) ويرى هرتسفيلد
انها لا بد ان تكون خمسة كمسجد الكوفة الذي كان هو الآخر مربعا ،
ولان النسبة ١٧/٥ توجد ايضا بمسجد احمد بن طولون .

ويقول هرتسفيلد اما عن ازالة الاروقة الشمالية الغربية فأمر لا يزال
قيد بحث ، فالخطيب يروى في تاريخه ان ثلاثة عشر طاقا فتحت الى صحن
المسجد وهذا يفهم منه ان الاروقة قد ازيلت الا ان وجود السقيفة التي
يشير اليها المقدسي بين صحنى مسجد فسا^(١٤) ، يجعلنا نرفض هذا الرأي

Early Muslim Architecture, Vol. II p. 32.

(١٣)

(١٤) فسا - وهي - كما قال ياقوت في معجمه ٨٩١/٣ - عنها انها كلمة

عجمية ، مدينة بفارس ، انزه مدينة بها فيما قيل بينها وبين شيراز اربع مراحل .
واضاف صاحب مراصد الاطلاع ١٠٣٥/٣ عنها بانها مدينة قديمة كبيرة لها

وخاصة لان المقدسي قد ذكر الشبه بين مسجد فسا ومسجد المنصور بقوله « الجامع فيه وهو من آجر اكبر من جامع شيراز وله صحنان على عمل جامع مدينة السلام » (١٥) . ثم يتم المقدسي روايته عن جامع فسا وعن صحنية فيقول « بينهما سقيفة » .

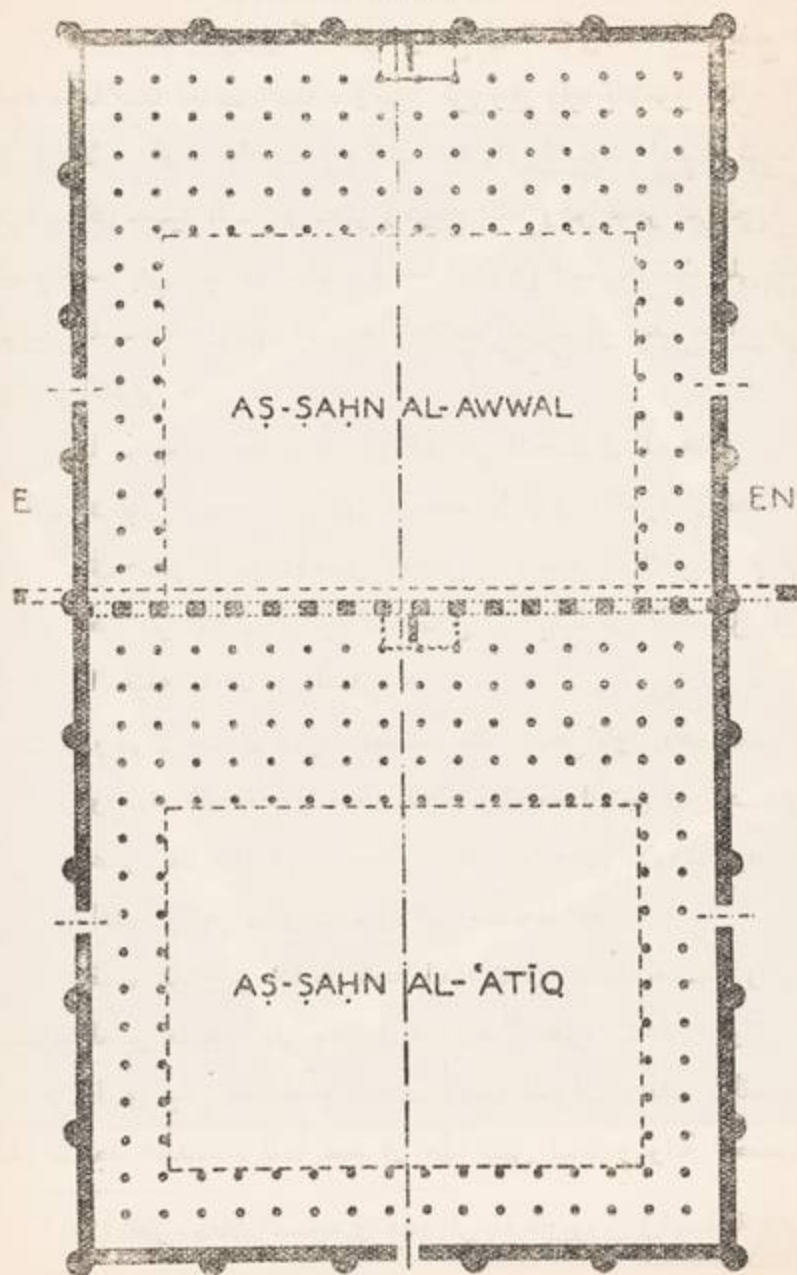
وعلى ذلك فقد رسم هرتسفيلد هذا المسجد وما ادخل عليه من التعديلات كما هو واضح في الشكل - ٢٠ وتتلخص نظريته ، في ان المسجد بني ملاصقا للجانب الجنوبي الغربي (أي الشمالي الشرقي بحسب رأينا) من سور القصر وان الجزء الذي اضيف اليه وهو الصحن الاول قد اضيف الى صدر المسجد (وهو يريد مصلى المسجد مسا يلي المحراب أي في الجنوب الغربي من المسجد) وان سبعة عشر طاقا فتحت في الحائط لايصال المسجدين احدهما بالآخر وان دار القطان اضيفت في الوقت نفسه الى المسجد من ناحية القبلة ، وان سبعة عشر طاقا اخرى فتحت في حائط القبلة لايصال دار القطان بالمسجد والى هذه الزيادة الاخيرة نقل المحراب والمقصورة والمنبر .

ويعلق كريزويل على تصميم هرتسفيلد مؤاخذا عليه ادخال دار القطان في الزيادة بقوله ، ان دار القطان التي كانت من الاماكن التي لا يجوز في مثلها الصلاة والتي وسع المسجد وزيد فيه تجنباً للصلاة فيها قد اضافها هرتسفيلد في رسمه الى المسجد . ومن الواضح ان ذلك استلزم فتح صفيين من الطاقات في جداري المسجد العتيق كل منهما سبعة عشر طاقا يصل اولهما بينه وبين الصحن الاول وثانيهما بينه وبين دار القطان ، مع ان الخطيب قد

حصن وخندق وربض . وقال عنها المقدسي في احسن التقاسيم صفحة ٤٣١ - ولها مدينة كبيرة فيها سوق كله من خشب والجامع فيه وهو من آجر وله صحنان على عمل جامع مدينة السلام بينهما سقيفة .

(١٥) احسن التقاسيم - المقدسي صفحة ٤٣١ .

ذكر ان الذي فتح هو صف واحد من هذه الطاقات ويتضح من الرسم ايضا ان المحراب والمنبر والمقصورة قد نقلت الى دار القطان ، بينما يروى الخطيب انها نقلت الى المسجد الجديد . فاذا كانت دار القطان قد اضيفت فعلا الى المسجد (وايحت الصلاة فيها) فلماذا إذا اضيفت الزيادة الاخرى الى المسجد في الوقت نفسه ؟ ويؤكد كريزويل — وهو خاطيء فيما يذهب اليه — انه لا يجد مطلقا في جميع المراجع التي لديه أية اشارة الى ان دار القطان قد اضيفت فعلا الى المسجد بل ان الغرض من الزيادة في المسجد انما كان للاستغناء عنها (١٦) .



(شكل — ٢١ تصميم كرزويل لمسجد المنصور في المرحلة الثالثة —
مرحلة الزيادة)

اما تصميم كريزويل كما هو موضح في الشكل—٢١ فانه يضع المسجد الجديد ملاصقا لجانب القبلة ، ويعزز كريزويل رأيه بالامور التالية^(١٧) :

اولا — قول الخطيب « وكتب عليه (أي المسجد) اسم الرشيد وذكره أمره بينائه وتسمية البناء والنجار وتاريخ ذلك وهو ظاهر على الجدار خارج المسجد مما يلي باب خراسان » وهذه الكتابة كانت بلا شك على المدخل الرئيس للمسجد والذي كان يقع بالجانب القريب من باب خراسان أي في الشمال الشرقي .

ثانيا — يقول الخطيب عن الزيادة التي ادخلت في المسجد :

أ — « فبنى مسجد على مثال المسجد الاول في مقداره او نحوه ثم فتح في صدر المسجد العتيق ووصل به فاسع به الناس » . والصدر هنا هو المكان المواجه للمدخل أو البعيد عن المدخل أو هو في الحقيقة ما نسميه المصلى .

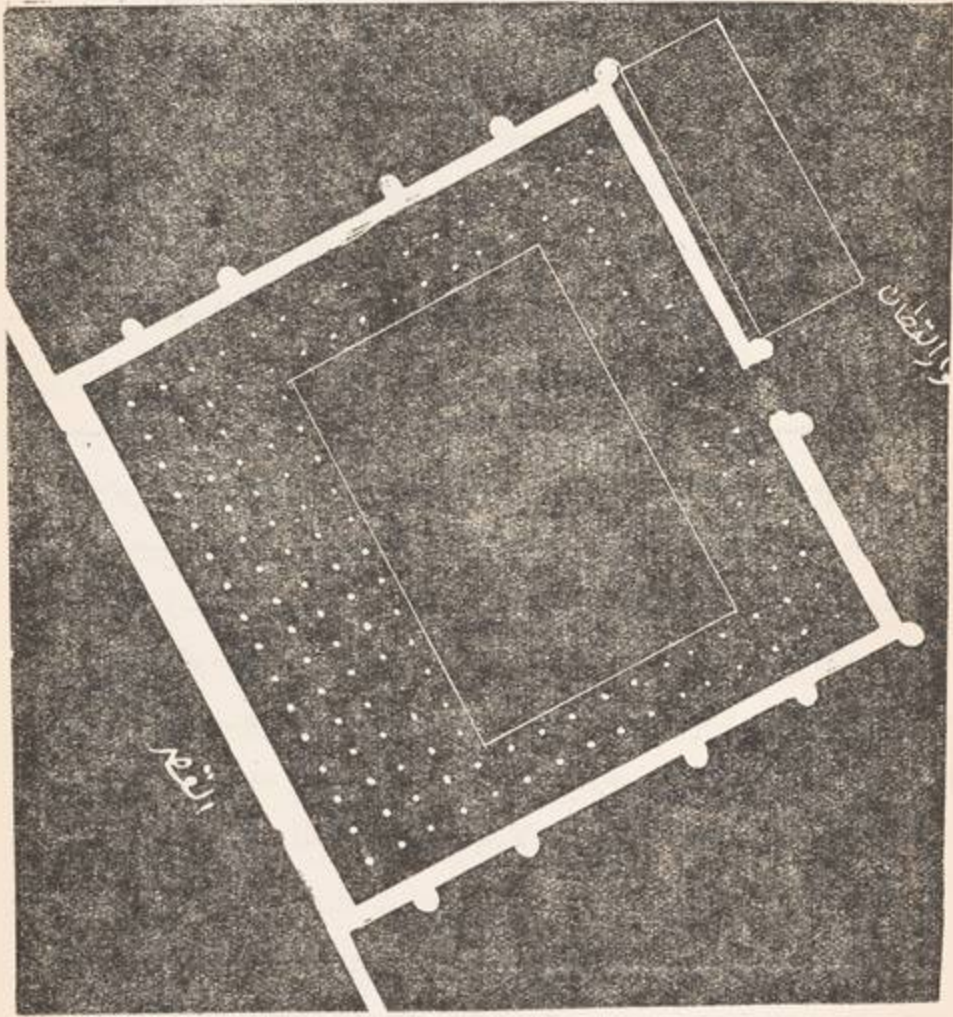
ب — ويقول ايضا ثم « زاد المعتضد بالله الصحن الاول وهو قصر المنصور ووصله بالجامع وفتح بين القصر والجامع العتيق في الجدار سبعة عشر طاقا منها الى الصحن ثلاثة عشر والى الاروقة اربعة وحول المنبر والمحراب والمقصورة الى المسجد الجديد .

ويقول كريزويل اذا ما فتحنا الطاقات في حائط القبلة واضفنا الى المسجد العتيق مسجدا على مثاله في مقداره او نحوه — عدا الرواق الشمالي الشرقي الذي ليس ثمة حاجة اليه — ونقلنا المحراب والمنبر والمقصورة الى هذا المسجد الجديد ، فاننا نجد ان هذا يتفق تماما ورواية الخطيب ، ولا

(١٧) انظر مخطط المسجد في هذه المرحلة لكريزويل في الصفحة ٣٤ من كتابه
Early Muslim Architecture, Vol. II p.34.

وتصميمه ورايه في الصفحتين ٣٣ و ٣٤ من كتابه الذي اشرنا اليه .

يكون ثمة حاجة الى القول باضافة دار القطان الى المسجد في حين ان الغرض الاساسي من الزيادة في المسجد انما كان هو الاستغناء عنها •



(شكل - ٢٢ مسجد المنصور ودار القطان • تصميم المؤلف)

أما التصميم الذي نراه صحيحا وملائما للروايات التاريخية فأننا نحدده
بالنقاط التالية :-

اولا - نرى ان المسجد قد بني ملاصقا للجدار الشمالي الشرقي من
قصر باب الذهب ، وقد اوضحنا هذا الرأي في الرد على مخطط هرتسفيلد
لمسجد المنصور كما مر في الصفحات السابقة ، واذا ما وضع المسجد في هذا
المكان فانه يصبح عندئذ ملائما لروايات الخطيب الثلاث التي ذكر في الاولى
كتابة هارون الرشيد التي تضمنت ذكر التجديد واسم النجار والبناء وتاريخ
ذلك ، بانها كانت على جدار المسجد مما يلي باب خراسان^(١٨) . والرواية
الثانية التي مفادها ان القاضي ابا تمام الزينبي كان يصلي في ايام الجمع على
باب داره الراكبة لدجلة بباب خراسان والصفوف مادة من المسجد الى ذلك
المكان^(١٩) . والرواية الثالثة التي تشير ان صفوف المصلين كانت تصل في
ايام الجمع الى شاطئ دجلة مما يضطر بعضهم الى الصلاة في السيريات^(٢٠) .
ثانيا - تؤيد ذكر الخطيب باضافة دار القطان الى مسجد المنصور ،
ونرى في الوقت نفسه تجاهل كرزويل امر هذه الاضافة . اجراء في منتهى
الغرابة ، بالاضافة الى انه تجاهل لنص تاريخي موثوق به ، واعتقد ان تجاهل
كرزويل لامر هذه الاضافة قد يعود لسببين وهما :-

الاول - ان المصادر التاريخية لا تشير الى الموضع الذي كانت فيه
دار القطان .

الثاني - ان الخطيب لا يذكر فتح أي طاقات أو تهديم جدران بين
دار القطان ومسجد المنصور .

(١٨) الخطيب - ١٠٨/١ .

(١٩) نفس المصدر - ٤٨/١ .

(٢٠) نفس المصدر - ٤٩/١ .

ثالثاً — تمت الزيادة الأخرى في مسجد المنصور على عهد المعتضد (٢١)، حيث اقتطع من قصر باب الذهب مساحة مقاربة لمساحة مسجد المنصور أو نحوها، وضمت إلى المسجد وسميت بالصحن الأول، بينما سمي صحن مسجد المنصور بالصحن العتيق، وفتحت بين جدار الصحن العتيق والصحن الأول سبعة عشر طاقاً ثلاثة عشر منها إلى الصحن وأربعة منها إلى الأروقة على أساس طاقين لكل رواق، ثم حول المنبر والمحراب والمقصورة إلى قبلة المسجد الجديد المضاف من قصر الذهب.

هذا ونحب أن نشير إلى الزيادة التي تمت في عهد المعتضد بالله والتي أشار إليها الخطيب بقوله « فأمر بالزيادة فيه من قصر أمير المؤمنين المنصور، فبني مسجد على مثال المسجد الأول في مقداره أو نحوه » (٢٢) بأن هذا التوسيع لم يبلغ إلى وسط قصر باب الذهب، أي إلى موضع القبلة الخضراء، بدليل أن القبلة ظلت بعد هذا التاريخ حتى سقط رأسها — كما مر بنا سابقاً — في سنة ٣٢٩ هـ ووقعت جميعها في سنة ٦٥٣ هـ.

وعلى هذا فإنا نستنتج أن الزيادة التي تمت في عهد المعتضد لم تكن مساوية لضلع المسجد الأول أي (٢٠٠ ذراع) أو ما يعادل (١٠٠ متراً) إذ لو تمت الزيادة على هذا المقدار لوصل التوسع حتماً إلى مركز قصر باب الذهب، أي إلى المجلس الذي فوقه القبلة الخضراء، على اعتبار أن طول ضلع القصر يساوي أربع مائة ذراع، وطول نصف ضلعه يساوي (٢٠٠

(٢١) المعتضد — وهو أحمد أبو العباس ابن ولي العهد الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ولد كما جاء في السيوطي صفحة ٣٦٨، في عام ٢٤٢ هـ. وبويع في سنة ٢٧٩ هـ بعد أن ضعف أمر المعتمد وبقي في الخلافة حتى سنة ٢٨٩ هـ حيث توفي فيها.

(٢٢) الخطيب — ١٠٨/١.

ذراع) . وعلى هذا الاساس فان الزيادة التي اضيفت في عهد المعتضد لم تكن على مثال المسجد الاول وانما مقاربة له ، ومن الجدير بالذكر ان نشير الى ان الخطيب لم يجزم في مقدار الزيادة وانما روى بان الزيادة المضافة من قصر امير المؤمنين المنصور كانت « على مثال المسجد الاول في مقداره او نحوه » (٢٣) .

وقد ذكر ابن الجوزي في حوادث سنة (٢٨٠ هـ) أمر هذه الزيادة حيث قال « وفي هذه السنة زاد المعتضد في جامع المنصور دار المنصور وفتح بينها سبعة عشر طاقا ، وحول المنبر والمحراب والمقصورة الى المسجد الجديد ، وتولى ذلك يوسف بن يعقوب القاضي فبلغت النفقة عشرين الف دينار » (٢٤) . ويوضح الخطيب سبب هذه الزيادة بأنه قد « اخبر امير المؤمنين المعتضد بالله بضيق المسجد الجامع بالجانب الغربي من مدينة السلام في مدينة المنصور وان الناس يضطرونهم الضيق الى ان يصلوا في المواضع التي لا يجوز في مثلها الصلاة فأمر بالزيادة فيه من قصر امير المؤمنين المنصور ... وزاد بدر مولى المعتضد في قصر المنصور المسقطات المعروفة بالبدرية في ذلك الوقت » (٢٥) .

وحتى يتم التصميم الذي نضعه تساءل ، ترى اين يكون موضع دار القطان ؟ والجواب عليه يقتضينا ان نشير الى ان المصادر العربية المتيسرة لا تذكر المكان الذي كانت فيه هذه الدار ، وانما تكتفي بالاشارة الى ضمه الى مسجد المنصور (٢٦) وقد افادت هذه الروايات بأن دار القطان كانت ديوانا للمنصور (٢٧) . والذي يستشف من رواية الخطيب التي تفيد باضافة دار

(٢٣) نفس المصدر - ١٠٨/١ .

(٢٤) المنتظم - ابن الجوزي ١٤٣/٥ .

(٢٥) الخطيب - ١٠٨/١ .

(٢٦) الخطيب - ١٠٨/١ والمنتظم لابن الجوزي ١٤٣/٥ .

(٢٧) الخطيب - ١٠٨/١ .

القطان للمسجد انه كان على مقربة منه ان لم يكن لصيقا به ، ونظرة مسعنة الى تخطيط القصر والمسجد الملصق به يمكننا ان نحدد موضع هذه الدار التي كانت ديوانا للمنصور ، امام المسجد ، أي في واجهة المسجد المقابلة لباب خراسان ، ولا يستبعد ان المنصور كان يجلس به في الليالي مع حاشيته مقابلا لباب خراسان ، وعلى هذا فالتصميم الذي نراه يجب ان يكون كما موضح في الشكل — ٢٢ •

مكث مسجد المنصور في بغداد الغربية مكانا يؤدي فيه المسلمون الصلاة من سنة ١٤٥ هـ حتى سنة ٧٢٧ هـ — حيث زار ابن بطوطة بغداد — أي ما يقارب ستة قرون او اقل بقليل ، وكان يعتبر من الجوامع العظيمة التي حفلت ببعض الحوادث التاريخية ، فمن على منبره دعا البساسيري صاحب بغداد في خطبة الجمعة للخليفة الفاطمي بمصر (٢٨) •

واشار الى هذا المسجد الرحالة اليهودي بنيامين التظلي في سنة ٥٦٦ هـ — ١١٦٠ م حيث كان الخليفة يغادر قصره مرة واحدة في السنة حين كان يذهب في حفل رسمي الى المسجد الجامع « فيتوجه الموكب الى المسجد الجامع للمسلمين في باب البصرة » (٢٩) •

وقد جاء وصف مسجد المنصور في رحلة ابن جبير قوله « اما الجانب الغربي فقد عمه الخراب ٠٠٠ ثم الكرخ وهي مدينة مسورة ، ثم محلة باب البصرة وهي ايضا مدينة وبها جامع المنصور رحمه الله وهو جامع كبير عتيق

(٢٨) المنتظم — ابن الجوزي حوادث سنة ٤٥٠ هـ ١٩١/٨ و ١٩٢ •

(٢٩) رحلة بنيامين التظلي صفحة ١٣٣ •

البنيان» (٣٠) .

وتأثر مسجد المنصور بحوادث العرق الكثيرة ، ففي الفيضان الذي حدث في سنة ٦٤٦ هـ يقول صاحب الحوادث الجامعة « واما الجانب الغربي ففرق بأمره ٠٠٠ ودخل الماء جامع المنصور » (٣١) .

وجاء ايضا ذكر تهديمه في كتاب الحوادث الجامعة بحوادث سنة ٦٥٣ هـ « وفي هذه السنة اتفقت امور عجيبة وحوادث غريبة ٠٠٠ منها الفرق العام الذي أخرج بغداد ولا سيما دار الخلافة ، والدور الشطانية في الجانبين ، وتهدمت الجوامع والمساجد كجامع المنصور . وهو اول جامع وضع ببغداد ٠٠٠ والقبة الخضراء » (٣٢) وجاء وصفه في حديث ابن بطوطه عن الجانب الغربي ببغداد حينما زار بغداد عام ٧٢٧ هجرية قوله « وهو الآن خراب اكثره وعلى ذلك فقد بقى منه ثلاث عشرة محلة كل محلة كأنها مدينة ٠٠٠ وفي ثمان منها المساجد الجامعة ومن هذه المحلات محلة باب البصرة وبها جامع الخليفة ابي جعفر رحمه الله » (٣٣) .

ويشير لسترانج الى ان مسجد المنصور يجوز انه زال من الوجود بعد زيارة ابن بطوطه لبغداد بحوالي نصف قرن ، ويستدل على ذلك بأنه حينما استولى تيمور لك على بغداد في عام ٧٩٥ هـ — ١٣٩٣ م بعد استيلائه عليها بسنة امر بتعمير خرابها ، ولعله لم يبق لجامع المنصور القديم أثر في هذا الوقت (٣٤) غير ان كريزويل يشير الى ان ذكر مسجد المنصور قد اورده

(٣٠) رحلة ابن جبر صفحة ٢٢٥ و ٢٢٦ .

(٣١) الحوادث الجامعة — ابن الفوطي صفحة ٣٣٣ .

(٣٢) الحوادث الجامعة — ابن الفوطي صفحة ٣٠٣ .

(٣٣) رحلة ابن بطوطه — ١/١٤١ .

(٣٤) بغداد في عهد الخلافة العباسية — لسترانج صفحة ٤٢ .

بدرو تاكسييرا Pedro Teixeira في عام ١٦٠٤ م بقوله « ولا نزال نرى في بغداد اطلال المباني الرائعة التي خلقتها عصور الحضارة الفارسية كالمسجد الذي يطلقون عليه اسم مسجد الخليفة والاثار الاخرى في الجانب الاخر من النهر والمدرسة التي كانت مستشفى » ويظهر ان مسجد الخليفة هذا هو مسجد المنصور الذي نحن بصددده وخاصة لقوله عن الاثار الاخرى انها في - الجانب الاخر من النهر كالمدرسة التي كانت مستشفى - ونظرا لانا نعلم ان المدرسة المستنصرية كان بها مستشفى وكانت تقع على الشاطيء الشرقي فيستتج من ذلك ان المسجد كان يقع في الجانب الغربي من النهر . وهذا هو بالضبط موقع مدينة بغداد المدورة التي بناها المنصور وبنى فيها مسجده العتيق ، ويظهر ان هذا المسجد قد خرب وانمحت آثاره نهائيا بعد زيارة تاكسييرا بغداد بعشرين عاما لان مرتضى نظمي زاده يقول - وبعد ان أستولى الفرس على بغداد سنة ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣ / ١٦٢٤ م عملت يدالتخريب والتدمير فتهدمت المدارس والمساجد وغيرها من آثار الخلفاء العباسيين التي حفلت بذكرهم (٣٥) . وهكذا فاننا لا نرى أي ذكر لمسجد المنصور فيما كتبه نيبور (٣٦) ولا من جاء بعده كتافرنه الرحالة الفرنسي .

Early Muslim Architecture, Vol. II, p. 35. (٣٥)

(٣٦) الرحالة كارستن نيبور Carsten Niebuhr وهو كما جاء في سومر ٢ (١٩٥٣) للدكتور محمود الامين - عالم دانمركي مختص بعلم الفلك والجغرافية واللغات الشرقية المعاصرة . وقد كان ملك الدانمارك فردريك الخامس قد اوفده سنة ١٧٦١ م على راس بعثة علمية الى بلاد الشرق الاوسط لدراسة احوالها الاجتماعية واوضاعها الجغرافية واللغات الشرقية المعاصرة ، وقد شملت رحلته البلاد العربية فبدأ من مصر والحجاز واليمن وحضرموت وعمان حتى وصل الى ميناء بومباي . ومن ثم قفل راجعا الى مسقط رأسه

الفصل السابع

محراب المسجد

وشيء آخر يتعلق بمسجد المنصور ، ينبغي لنا ان نتطرق اليه ، وذلك لما له من صلة كبير ووثيقة بهذا المسجد ، وهو محراب جامع الخاصكي^(١).

كوبنهاكن التي بدأ منها رحلته الى اسطنبول عام ١٧٦١ ومنها الى الاسكندرية ثم زار في طريق عودته بلاد فارس وعرج على البصرة حيث بدأ منها رحلته الدراسية والاستكشافية في العراق في اواخر آب سنة ١٧٦٥ ومكث فيها حتى غاية شهر تشرين الاول من السنة نفسها . وفي شهر تشرين الثاني واصل رحلته الدراسية الى النجف وكربلاء والحلة فبغداد حيث امضى في جميعها اربعة اشهر وفي اوائل اذار غادر بغداد قاصدا الموصل عن طريق كركوك - اربيل وفي اوائل نيسان سنة ١٧٦٦ غادر نيبور مدينة الموصل بعد ان مكث فيها عدة اسابيع الى ماردين وديار بكر ثم قفل راجعا الى بلاده عن طريق اسطنبول - بولندة . وضع نيبور وصف رحلته العلمية في مجلدين كبيرين ، المجلد الاول تناول فيه مصر واليمن بصورة مفصلة بحوالي ٥٠٤ صفحات . والمجلد الثاني الذي تناول فيه بلاد فارس والعراق بصورة مفصلة بحوالي ٤٧٩ صفحات .

(١) هذا المحراب من التحف الفنية في متحف القصر العباسي في بغداد في الغرفة رقم - ٦ - ويراجع عن جامع الخاصكي كتاب كلشن خلفا مخطوط الفه بالتركية مرتضى نظمي زاده المتوفى سنة ١١٣٣ هـ - ١٧٢٠ م وهو يبحث في تاريخ بغداد منذ تأسيسها حتى سنة ١١٣٠ هـ - ١٧١٨ م وطبع في الاستانة سنة ١١٤٣ هـ - ١٧٣٠ م في جملة مطبوعات ابراهيم متفرقة (كما ورد في تاريخ العزاوي ١٢٨/٥) .

ولقد آثار محراب هذا الجامع بعض المناقشات والمساجلات العلمية بين الباحثين والمتخصصين بالآثار وتاريخ الفنون الإسلامية ، ولعل السبب في هذا يعود ، الى ان المصادر التي أشارت الى جامع الخاصكي أهملت أمر محرابه فلم تذكر صفته او تاريخ صناعه او المكان الذي نقل منه اليه . وقد ذكرته مس جرتروود بل فوصفته بقولها « وفي جامع الخاصكي محراب غاية في الجمال مصنوع من قطعة واحدة من الحجر يرى فيوله — وهو مهندس فرنسي اختص بالرياضة الإسلامية — انه مأخوذ من إحدى الكنائس » (٢) .

ويعتبر البحثان اللذان كتبهما كل من هرتسفيلد وكريزويل من أحسن البحوث التي تناولت هذا المحراب ، واول من لفت النظر الى علاقة هذا المحراب بمسجد المنصور في بغداد الغربية ، وهو هرتسفيلد في مؤلفه « بعثة أثرية » الذي سبق وان أشارنا اليه سابقا ، ويظن هرتسفيلد انه من المحتمل ان يكون هذا المحراب هو محراب مسجد المنصور بالمدينة المدورة والسبب الذي حدا به الى هذا الاعتقاد هو انه يتكون من قطعة واحدة من الرخام الابيض المصفر ، ومثل هذا الرخام غير موجود في الموصل وهو من النوع المتوفر في حلب او في شمال الشام (٣) . ونستدل من دراسة زخارفه ، كما سنبين ذلك بعد قليل ، ان أسلوب هذه الزخارف يشبه الى حد كبير أسلوب الزخارف التي ظهرت في الطراز الأموي وعلى وجه الخصوص تلك التي عرفناها في قصر المشتى . ثم اننا لانستطيع ان نعتبر زخارف محراب جامع الخاصكي كما بين هرتسفيلد نموذجا للفن العراقي ، اذ انها سابقة للفترة التي ازدهر فيها الطراز العباسي الذي ظهر بصورة متكاملة ، كفن له مميزاته وخصائصه ، في سامراء ، ونحن لانعلم بالتأكيد ان كان المحراب قد تم صناعه

Amurath to Amurath, Bell, p.192.

(٢)

Archaologische Reise, Band II, p. 144.

(٣)

في الشام ، ثم حمل منها الى بغداد حيث وضع في مسجد المنصور ، وهناك دلالة واحدة في هيئة المحراب وهي ظهر المحراب المدور التي قد نستشف منها انها قد وضعت بهذا الشكل تخفيفا لثقل المحراب ، اذ المعروف في هيئة أظهر المحاريب ان تكون كاملة الترييع غير مدورة وهذا التخفيف في ثقل المحراب يدعونا الى أن نفكر انه لعل له علاقة بنقل المحراب وتسفيره وعندها يجوز أنه قد صنع في الشام ثم حمل منها الى بغداد .

وقد كان الشريط الزخرفي الجميل الذي يحيط بتجويف المحراب الاعلى والذي يسمى بالصدفة مخفيا كله تحت طبقة من الملاط ، الى ان تم نقله قبل سنين قليلة الى المتحف وازيل عنها الملاط فظهرت الى العيان (٤) .

يتألف المحراب من تجويف ضحل غير عميق وغطاء الصدفة يعلو زوجين من الاعمدة الحلزونية المظفورة ، طوله ٢٠٦ مترا وعرضه متر واحد ، وهذه الحزوز المائلة قد اضيفت على العمود جمالا زخرفيا بديعا « انظر الشكلين — ٢٣ و ٢٤ » .

والعمودان اللذان يبرزان بنسبة ٤/٣ يلتوي كل واحد منهما اثنتي عشرة مرة وبين هذه الالتواءات وتاج العمود شريط من الحلبي المعمارية ، وتيجان هذين العمودين مختلفان ولكن كل تاج فيهما يحتوي على صفيين من أوراق الاكاتس الكبيرة ، والاوراق النخيلة ، وتختلف أوراق الاكاتس بعضها عن البعض الآخر . فتللك التي على التاج الايسر تلتف نحو الاسفل ، بينما تللك التي على التاج الايمن من طراز الاسلوب الشامي المسنن العميق ، وهذا التعريق الزخرفي الجميل لتاج العمودين قد أكمل الجمال الفني للمحراب وهكذا فان طرفي المحراب مزينان بعمودين ، وصدره الاوسط مزدان بعمود يحتوي على الزخرفة النباتية الجميلة ، وهكذا اتسق جمال المحراب في الاوسط

والجانبيين بسنار الزخرفة عموديا في الاعمدة وافقيا في التاج الى باطن الصدفة في الورقة النخلة المحورة التي اصبح منتصفها مركزا خرج منه « ١٦ » حرفا كأنها أشعة شمس بازغة ، ولا نجد أي أثر للزخرفة في الصدفة ما خلا الاخاديد التي تقوم على اتساق هذه الاحرف .

أما أسفل الصدفة فتمتد الى الجانبين الى جهة اليمين وإلى جهة اليسار نصف ورقة كاملة ذات ثلاثة فصوص ، اما الزخرفة الوسطى لباطن المحراب فتتألف من كأسين أحدهما طويل يخرج منه عرق يلفه ويمتد الى الاسفل كما يتخرج من الكأس وريدات متدلية وأوراق عنب وعناقيد عنب او عناقيد كيزان الصنوبر مع تعريق نباتي جميل على جانب الكأسين .

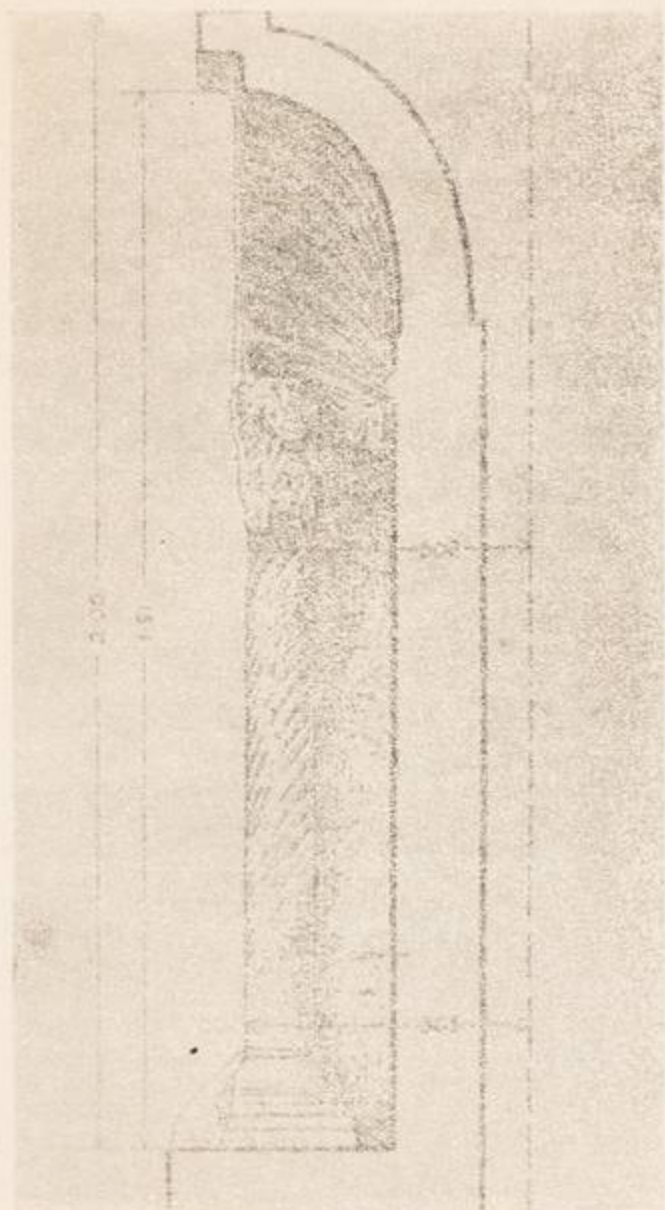
أما الكأس المنتفخة الثانية فيخرج منها عرق نباتي ينحني الى اليمين وإلى اليسار ويتدلى منه أوراق وعناقيد عنب ويتم امتداد الكأس الثانية الى الاسفل بما يشبه كيز الصنوبر قائم او عنقود عنب منضد الحبات الى الاعلى وحوله تعريقة نباتية جميلة وإلى اسفله تمتد كأس دقيقة بما تشبه تخت زهرة سقطت اوراقها التوجيهية وإلى جانبها تعريقة نباتية ، وهناك اطاران يدور كل منهما من اعلى تاج العمود من الجهة اليمنى لينتهي الى تاج العمود في جهته اليسرى ، فالاول وهو الى باطن المحراب اقرب ، يبدأ بنصف ورقة عنب ، اما الاطار الثاني المتقدم فيبدأ بعنقود عنب ثم ورقة عنب وهكذا يتكرر ويلف المحراب كله من تاج عموده الايمن الى تاج عموده الايسر .

ويستنتج هرتسفيلد بان هذه الروعة وجمال الزخرفة تحمله على الاعتقاد بأن زخارف هذا المحراب ترجع الى العهود الاولى للفن الاسلامي المتأثر بالفن البيزنطي ، ويضيف بأن أسلوب المحراب يدل على انه لا يعود الى فترة متأخرة ، وذلك لان زخارفه ترتقي بصورة أكيدة وكاملة الى العهد الاول للفن الاسلامي الذي كان يحل التقاليد الفنية المحلية التي كانت بمثابة خطوة

سابقة لميلاد فن جديد ، وأخيرا فان أسلوبه يشير الى نهاية تطور الزخارف
السابقة للإسلام في منطقة الشرق الأدنى (٥) .



« شكل — ٢٣ محراب جامع الخاصكي عن هرتمفيلد »



(شكل - ٢٤ مقطع من محراب جامع الخاصكي عن هرتسفيلد)

أولا - المصادر القديمة

- ابن الاثير (ابو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير) الكامل في التاريخ . طبعة المنيرية بمصر . سنة ١٣٧٥ هـ .
- ابن بطوطة تحفة النظر في غرائب الامصار وعجائب الاسفار - مطبعة مصطفى محمد بمصر . سنة ١٩٣٨ م - ١٣٥٧ هـ .
- ابن جبير رحلة ابن جبير - الطبعة الثانية . طبع مدينة ليدن سنة ١٩٠٧ م .
- ابن الجوزي (جمال الدين ابوالفرج عبد الرحمن بن علي) المنتظم - مطبعة دائرة المعارف العثمانية . حيدر آباد الدكن . سنة ١٣٥٥ هـ .
- ابن حزم مناقب بغداد - المنسوب خطأ لابن الجوزي ولعله لحفيده . نشره محمد بهجت الاثري البغدادي . مطبعة دار السلام ببغداد في عام ١٣٤٢ م .
- ابن حوقل (ابو محمد علي بن احمد بن سعيد) جمهرة انساب العرب - تحقيق عبد السلام محمد هارون . طبع دار المعارف بمصر . سنة ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م .
- (ابو القاسم بن حوقل النصيبي) كتاب صورة الارض - القسم الاول مطبعة بريل في

- ليدن سنة ١٩٣٨ م •
 (ابو القاسم المعروف ابن خرداذ به)
 المسالك والممالك - وهو مطبوع مع كتاب الخراج
 لقدامه • طبعة دي غويه • مطبعة بريل سنة ١٨٨٠ م •
 (عبد الرحمن بن خلدون المغربي)
 العبر وديوان المبتدأ والخبر - طبع بيروت •
 عام ١٩٥٧ م •
 (ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي
 بكر) وفيات الاعيان وانباء انباء الزمان - تحقيق
 محمد محي الدين عبد الحميد • مطبعة السعادة
 بمصر • سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م •
 (ابو عبيد القاسم بن سلام)
 كتاب الاموال - تحقيق محمد حامد • طبع بالقاهرة
 سنة ١٣٥٣ هـ •
 الاعلاق النفيسة - طبع بمدينة ليدن بمطبعة بريل
 سنة ١٨٩٢ م •
 وهو مطبوع مع كتاب البلدان لليعقوبي
 (محمد بن علي بن طباطبا)
 الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية -
 مطبعة محمد علي صبيح بالقاهرة
 (ابو الفضل احمد بن طاهر الكاتب المعروف بابن
 طيفور)
- ابن خرداذبه
 ابن خلدون
 ابن خلكان
 ابن سلام
 ابن رسته
 ابن الطقطقي
 ابن طيفور

بغداد - ترجم للمؤلف محمد زاهد بن الحسن
الكوثري • وتحقيق عزت العطار الحسيني • طبع
بالقاهرة سنة ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

ابن عماد

(ابن عماد الحنبلي)

شذرات الذهب في اخبار من ذهب - عنيت بشره
مكتبة القدسي • سنة ١٣٥٠ هـ •

ابن عبد الحق

(صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق)

مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع - وهو
مختصر كتاب معجم البلدان لياقوت • طبع دار احياء
الكتب العربية • سنة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م •

ابن عبد ربه

(ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه)

العقد الفريد - شرحه احمد امين وجماعته • الطبعة
الثانية بالقاهرة • سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م •

ابن الفقيه

(ابو بكر احمد بن محمد الهمداني)

مختصر كتاب البلدان - مطبعة بريل سنة ١٣٠٢ هـ
(كمال الدين ابو الفضل عبدالرزاق بن الفوطي
البغدادي)

ابن الفوطي

الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة -
مصدر بستقدمتين الاولى لمحمد رضا الشيبسي والثانية
لمصطفى جواد • مطبعة الفرات ببغداد سنة ١٣٥١ هـ •

ابن قتيبة

(ابو محمد عبدالله بن مسلم)

كتاب المعارف - تحقيق ثروت عكاشة • مطبعة دار
الكتب بصر سنة ١٩٦٠ م •

ابن القفطي

(جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف)
تاريخ الحكماء من كتاب اخبار العلماء باخبار الحكماء
- تحقيق ليبرت • مطبعة لايبزك • سنة ١٩٠٣ م •

ابن مسكويه

(ابو علي احمد بن محمد المعروف بمسكويه)
تجارب الامم - القسم الاخير وهو المجلد الخامس
والسادس طبع الجزء الخامس منه بمطبعة التمدن في
مصر سنة ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م • و طبع الجزء
السادس بمطبعة التمدن ايضا في سنة ١٣٣٣ هـ -
١٩١٥ م •

ابن النديم

ابن هشام

الفهرست - مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ؟
(ابو محمد عبد الملك بن هشام)

سيرة النبي - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد •
مطبعة حجازي بالقاهرة • سنة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م •
(عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف
بأبي الفدا) تقويم البلدان - طبع باريس • سنة ١٨٤٠ م •
تاريخ ابي الفدا • كتاب المختصر في اخبار البشر طبع
دار الكتاب اللبناني ببيروت سنة ؟

ابو الفدا

أبو الفرج

(ابو الفرج الاصفهاني)
مقاتل الطالبين - شرح احمد صقر • طبع القاهرة
سنة ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م •

أبو الفرج

(ابو الفرج الاصفهاني)
الاغاني - مطبعة دار الكتب المصرية • سنة
١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م •

- (ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري)
 مسالك الممالك — طبع في مدينة ليدن سنة ١٩٢٧ م .
- فتوح البلدان — تحقيق رضوان محمد رضوان .
 الطبعة الاولى المطبعة المصرية بالقاهرة سنة ٣٥٠ هـ —
 ١٩٣٢ م .
- النقود العربية وعلم التسميات — نشره الاب انستاس
 ماري الكرملي . طبع في القاهرة سنة ١٩٣٩ م .
- (ابو عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري)
 كتاب الوزراء والكتاب — تحقيق مصطفى السقا
 وجماعته . مطبعة الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٥٧ هـ —
 ١٩٣٨ م .
- (الحافظ ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي)
 تاريخ بغداد — طبع بمطبعة السعادة بالقاهرة سنة
 ١٣٤٩ هـ — ١٩٣١ م .
- (ابو عبدالله محمد بن احمد بن يوسف الكاتب
 الخوارزمي)
 مفاتيح العلوم — مطبعة الشرق بمصر سنة ١٣٤٢ هـ .
- (الحافظ ابو عبد الله الديلمي)
 المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد — تحقيق
 الدكتور مصطفى جواد . مطبوعات المجمع العلمي
 العراقي . مطبعة المعارف في بغداد سنة ١٣٧١ هـ .
- (ابو حنيفة احمد بن داود)
 الاخبار الطوال — طبع في ليدن بمطبعة بريل سنة

الاصطخري

البلاذري

الجهشياري

الخطيب

الخوارزمي

الديلمي

لديوري

١٩١٢ م •

(نور الدين علي بن احمد المصري السهودي) السهودي

وفاء الوفا باخبار دار المصطفى — تحقيق محمد

محي الدين عبد الحميد • طبع بمطبعة السعادة بمصر

عام ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م •

عجائب الاقاليم السبعة تحقيق هانس فون فريك • سهراب

طبع فينا سنة ١٩٢٩ م •

(جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي) السيوطي

تاريخ الخلفاء — تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

الطبعة الثانية بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٩ م •

(ابو الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي) 'الشابشتي

الديارات — تحقيق كوركيس عواد • طبع بمطبعة

المعارف ببغداد سنة ١٩٥١ م •

(علي بن الحسين الموسوي العلوي) الشريف المرتضى

آمال المرتضى • غرر الفوائد ودرر القلائد — تحقيق

محمد ابو الفضل ابراهيم طبع بالقاهرة سنة ١٩٥٤ م •

(ابو الحسن الهال بن المحسن الصابي) الصابي

الوزراء • او تحفة الامراء في تاريخ الوزراء —

تحقيق عبد الستار احمد فراج • طبع بدار احياء

الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٩٥٨ م •

(محمد بن جرير الطبري) الطبري

تاريخ الامم والملوك — طبع مطبعة الاستقامة بالقاهرة

سنة ١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م •

- العليسي (مجير الدين العليسي)
الانس الجليل باخبار القدس والخليل — طبع بالمطبعة
الوهبية بسمر سنة ١٢٨٣ هـ •
- العمري (ابن فضل الله العمري)
مسالك الابصار في ممالك الامصار — طبع دار الكتب
بالقاهرة سنة ١٣٤٢ هـ — ١٩٢٤ م •
- الغياث (عبدالله بن فتح الله البغدادي الملقب بالغياث)
التاريخ الغياثي — مخطوط بمكتبة متحف الآثار
العراقي ببغداد برقم ١٧٣٨ •
- قدامة (ابو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي)
كتاب الخراج وصفة الكتابة — مطبوع مع كتاب ابن
خرداذبة • طبعة ديدى غويه مطبعة بريل سنة ١٨٨٩ م
(زكريا بن محمد بن محمود القزويني)
اثار البلاد واخبار العباد — طبع بيروت عام ١٣٨٠ هـ
— ١٩٦٠ م •
- القلقشندي (الشيخ ابو العباس احمد القلقشندي)
صبح الاعشى — طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة
سنة ١٣٤٠ هـ — ١٩٢٢ م •
- المسعودي (ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي)
مروج الذهب ومعادن الجوهر — طبع في باريس سنة
١٨٧٧ م •
- التنبيه والاشراف — طبع ليدن سنة ١٨٩٣ م •
اثبات الوصية — الطبعة الرابعة • طبع بالنجف سنة

١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م •

احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم — طبع في مدينة

لندن بمطبعة بريل سنة ١٩٠٦ م •

(تقي الدين احمد بن علي المقرئ) •

المواظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار — طبع

بولاقي بالقاهرة سنة ١٢٧٠ هـ •

السلوك — الجزء الاول باقسامه الثلاث طبع بدار

الكتب المصرية بالقاهرة • في القسم الاول طبع في

عام ١٩٣٤ م والقسم الثاني في عام ١٩٣٦ م والقسم

الثالث في ١٩٣٩ م

اما الجزء الثاني باقسامه الثلاث فطبع بمطبعة

لجنة التأليف والترجمة والنشر • فالقسم الاول

طبع في سنة ١٩٤١ م والقسم الثاني في سنة ١٩٤٢ م

والقسم الثالث في سنة ١٩٥٨ م •

(السيد محمد ابن السيد احمد الحسيني)

رحلة المنشئ البغدادي — نقلها الى العربية عن

الفارسية عباس الغزاوي • طبعت بمطبعة

شركة التجارة ببغداد عام ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م •

(محمد الواقدي)

فتوح الشام — طبع بدار العهد الجديد بمصر سنة

١٣٧٣ هـ •

الاكليل — الجزء الثامن • تحقيق نبيه امين فارس •

طبع في برنستون سنة ١٩٤٠ م

المقدسي

المقرئ

المنشيء البغدادي

الواقدي

الهمداني

(شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي
الرومي البغدادي)

ياقوت

معجم البلدان - طبع لايزك سنة ١٨٦٦ م
(احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب المعروف
باليقوبي)

اليقوبي

البلدان - مطبوع مع كتاب الاعلاق النفيسة لابن
رسته . طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل سنة ١٨٩٢ م
تاريخ اليقوبي - طبع بريل سنة ١٨٣ م

ثانيا - المصادر الحديثة

- ابو الفرج (ابو الفرج العشي)
آثارنا في الاقليم السوري - مطبعة دمشق . عام
١٩٦٠ م .
- احمد تيمور باشا التصوير عند العرب - اخرجه المرحوم الدكتور زكي
محمد حسن . طبع بالقاهرة عام ١٩٤٢ م .
- احمد فخري (الدكتور احمد فخري)
دراسات في تاريخ الشرق القديم - طبع في دار
منفيس بالقاهرة سنة ١٩٥٨ م .
- اليمن - مستل من المؤتمر الثالث للآثار في البلاد
العربية المنعقد في مدينة فاس سنة ١٩٥٩ م . طبع
بالقاهرة سنة ١٩٦١ م .
- احمد فريد (الدكتور احمد فريد الرفاعي)
عصر المأمون - المجلد الاول . طبع دار الكتب
المصرية بالقاهرة سنة ١٩٢٧ م .
- احمد فكري (الدكتور احمد فكري)
مسجد القيروان - مطبعة المعارف بنصر سنة
١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م .
- المدخل . مساجد القاهرة ومدارسها - طبع بدار
المعارف في مصر سنة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .
- احمد شلبي (الدكتور احمد شلبي)

الاعظمي

(علي ظريف الاعظمي)
في قصور الخلفاء العباسيين • نشر مكتبة الانجلو
المصرية سنة ١٩٥٤ م •

مختصر تاريخ بغداد - مطبعة الفرات ببغداد سنة
١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م •

الالوسي

(محمود شكري الالوسي)
بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب - تحقيق محمد
بهجة الاثري - الطبعة الثانية ، بالمطبعة الرحمانية في
مصر سنة ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م •

بارتولد

(ف. بارتولد)
تاريخ الحضارة الاسلامية - نقله من التركية الى
العربية حمزه طاهر • مطبعة المعارف ببغداد • سنة
١٩٤٢ م •

بريجز

(آرنولد وكريستي وبريجز)
تراث الاسلام - جزءان الاول منه ترجمة لجنة
الجامعيين والثاني ترجمة وتعليق المرحوم الدكتور
زكي محمد حسن • طبع لجنة التأليف والترجمة
والنشر بالقاهرة سنة ١٩٣٦ م •

توفيق وهبي

القصد والاستطراد في اصول معنى بغداد - مطبعة
الرابطة ببغداد سنة ١٩٥٠ م •

جرجي زيدن

العرب قبل الاسلام - طبع دار الهلال بمصر ١٩٣٩ م •
تاريخ التمدن الاسلامي - راجعه الدكتور حسين
مؤنس طبع بالقاهرة سنة ١٩٣١ م •

- جواد علي (الدكتور جواد علي)
تاريخ العرب قبل الاسلام — طبع المجمع العلمي
العراقي في بغداد • الجزء الثامن طبع في سنة ١٩٦٠ م
- الجومرد (الدكتور عبدالجبار الجومرد)
ابو جعفر المنصور — طبع في بيروت سنة ١٩٦٣ م
- حسن ابراهيم (الدكتور حسن ابراهيم حسن)
تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي
— الجزء الثاني • الطبعة الخامسة • طبع بمكتبة
النهضة المصرية سنة ١٩٥٩ م
- حتي (الدكتور فيليب حتي ورفقاء)
تاريخ العرب — طبع بدار الكشف في بيروت سنة
١٩٥٠ م
- الحصري (ساطع الحصري)
دراسات عن مقدمة ابن خلدون — طبع دار المعارف
بمصر • سنة ١٩٥٣ م
- دائرة المعارف (دائرة المعارف الاسلامية)
مادة (الانبار) ترجمة احمد الشنتناوي وجماعته •
المجلد الثالث صفحة ١-٣ •
مادة (البصرة) ترجمة احمد الشنتناوي وجماعته •
المجلد الثالث صفحة ٦٦٩ — ٦٧٢ •
مادة (بغداد) ترجمة احمد الشنتناوي وجماعته •
المجلد الرابع صفحة ٣-٢١ •
مادة (تاج محل) ترجمة احمد الشنتناوي وجماعته •

- المجلد الرابع صفحة ٤٥١ - ٤٥٣ .
 (الدكتور عبد العزيز الدوري)
 العصر العباسي الاول - مطبعة التفيض ببغداد سنة
 ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٥ م .
- رنيه ديسو
 العرب في سورية قبل الاسلام - ترجمة عبد الحميد
 الدواخلي . راجعه محمد مصطفى زيادة . طبع بالقاهرة
 سنة ١٩٥٩ م .
- زكي محمد حسن
 (المرحوم الدكتور زكي محمد حسن)
 فنون الاسلام - الطبعة الاولى . مطبعة لجنة التأليف
 والترجمة والنشر بالقاهرة . سنة ١٩٤٨ م .
- سوسه
 (الدكتور احمد سوسة)
 وادي الفرات ومشروع الحبانية - الجزء الاول طبع
 بمطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٩٤٤ م .
 وادي الفرات ومشروع سدة الهندية - الجزء الثاني
 طبع بمطبعة المعارف ببغداد سنة ١٩٤٥ م .
 في ري العراق جزء اول طبع بمطبعة الحكومة ببغداد
 سنة ١٩٤٥ م .
 ري العراق .
- ري سامراء في عهد الخلافة العباسية - طبع بجزئين
 في مطبعة المعارف ببغداد في سنتي ١٩٤٨ و ١٩٤٩ .
 اطلس بغداد - طبع بمديرية المساحة العامة ببغداد
 سنة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .
 فيضافات بغداد في التأريخ - القسم الاول - مطبعة

الاديب ببغداد سنة ١٩٦٣ •

دليل خارطة بغداد — مع الدكتور مصطفى جواد

طبع بالمجمع العلمي العراقي سنة ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٨ م •

مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة — القسم الاول

تاريخ العراق القديم الطبعة الثانية شركة التجارة

والطباعة ببغداد سنة ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ م •

(عباس العزاوي)

تاريخ العراق بين احتلالين — طبع في مطبعة بغداد

سنة ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٥ م •

(الدكتور صالح احمد الفلي)

منطقة الحيرة • دراسة طوبوغرافية مستندة على المصادر

الادبية — بحث نشر في مجلة كلية الآداب لسنة ١٩٦٣ •

ثم نشر منفردا في نفس السنة •

محاضراته غير مطبوعة القاها الدكتور العلي على طلبة

الدراسات العليا — الماجستير بقسم التاريخ عن بغداد

للسنة الدراسية ١٩٦٣ م •

محاضرات في تاريخ العرب — الجزء الاول • الطبعة

الثانية مطبعة المعارف في بغداد • سنة ١٩٥٩ م •

(عبد الكريم العلاف)

بغداد القديمة — مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٩٦٠ م •

(سعاد هادي العمري)

بغداد كما وصفها السواح الأجانب في القرون الخمسة

الاخيرة — جمعه عن الالمانية • طبع بدار المعرفة في

طه باقر

العزاوي

العلي

العلاف

العمري

- بغداد سنة ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م •
(محمد عبد الله عنان) عنان
- الآثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال — الطبعة الثانية • مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة
- سنة ١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م •
(يوسف رزق الله غنيمه) غنيمه
- تجارة العراق قديما وحديثا — طبع بسطبعة العراق ببغداد الطبعة الاولى • سنة ١٩٢٢ م — ١٣٤١ هـ •
- واسط — الموسم السادس للتنقيب • مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة سنة ١٩٥٢ م •
- (ريجارد كوك) كوك
- بغداد مدينة السلام — الجزء الاول نقله الى العربية وقدمه له وعلق عليه فؤاد جليل والدكتور مصطفى جواد مطبعة شفيق ببغداد سنة ١٩٦٢ م •
- (آرنست كونل) كونل
- الفن الاسلامي — ترجمة الدكتور احمد موسى • مطبعة اطلس بالقاهرة سنة ١٩٦١ •
- دليل تاريخي • مطبعة الرابطة ببغداد سنة ١٩٥٢ م •
- (غي لسترانج) لجنة ابن سينا لسترانج
- بغداد في عهد الخلافة العباسية — ترجمة بشير يوسف فرنسيس • الطبعة الاولى • بالمطبعة العربية في بغداد
- سنة ١٩٣٦ م •
- بلدان الخلافة الشرقية — ترجمة بشير يوسف فرنسيس

وكوركيس عواد • طبع بمطبعة الرابطة في بغداد سنة

١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م •

(الدكتور غوستاف لوبون) •

لوبون •

حضارة العرب — ترجمة محمد عادل زغيتير • طبع

بدار احياء الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٣٦٤ هـ —

١٩٤٥ م •

خطط الكوفة — ترجمة وعلق عليه ت • المصعبي •

ماسينيون

مطبعة العرفان في صيدا بلبنان سنة ١٩٤٦ م •

(مديرية الآثار العراقية العامة) •

مديرية الآثار

حفريات سامراء — (١٩٣٦ — ١٩٣٩) • الجزء الاول

مطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٩٤٠ •

مسجد الكوفة — مطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٩٤٠ م •

آثار معين في جوف اليمن — منشورات المعهد العلمي

محمد توفيق

الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة • طبع سنة ١٩٥١ م •

الاسلام والحضارة العربية — مطبعة لجنة التأليف

محمد كرد علي

والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٥٠ م •

(المؤتمر الثاني للآثار في البلاد العربية) •

المؤتمر الثاني

طبع بالقاهرة سنة ١٩٥٨ •

للآثار

(المؤتمر الثالث للآثار) في البلاد العربية) •

المؤتمر الثالث

طبع بالقاهرة سنة ١٩٦١ •

للآثار

(مجلة الزراعة العراقية) •

مجلة الزراعة

المجلد ٧ (١٩٥٢) صفحة ٢٨٣ — ٢٩١ • مقال

الدكتور احمد سوسة بعنوان (ري بغداد القديم او

- بغداد قبل المنصور) •
 العدد الثالث • كانون الثاني ١٩٦١ م
 بحث بعنوان (ابن الكوفي) للدكتور حسين علي
 محفوظ صفحة ٢١ •
 العدد السادس سنة (١٩٦٣ م) بحث (الكاشيون)
 للدكتور محمود الامين صفحة ٥١٥ — ٥٦٠ •
 الجزء الاول • المجلد الثامن (١٩٥٢ م) خطط البصرة
 مقال للدكتور صالح احمد العلي صفحة ٧٢ •
 الجزء الثاني — المجلد الثامن (١٩٥٢) تمة مقال
 الدكتور صالح احمد العلي بعنوان خطط البصرة •
 صفحة ٢٨١ — ٣٠٢ •
 الجزء الثاني • المجلد الثامن (١٩٥٢)
 نبذة تاريخية في اصول اسماء الامكنة العراقية •
 بشير فرئيس وكوركيس عواد صفحة ٢٣٦ •
 سنة (١٩٢٦) مقال ليوسف غنيمية بعنوان (معنى اسم
 بغداد) صفحة ٨ ومقال لرزوق عيسى يرد فيه على
 يوسف غنيمية في الصفحة ٣٨١ •
 (الاستاذ ناجي معروف) •
 تأريخ علماء المستنصرية — الطبعة الاولى • مطبعة
 العاني ببغداد سنة ١٩٥٩ م •
 المدرسة الشرايية او القصر العباسي — مطبعة العاني
 ببغداد سنة ١٣٨٠ هـ — ١٩٦١ م •

مجلة كلية
الآداب

مجلة سومر

سومر

مجلة لغة العرب

ناجي معروف

المدخل في تأريخ الحضارة العربية - مطبعة العاني

بيغداد سنة ١٩٦٠ م .

عروبة المدن الاسلامية - مطبعة العاني بيغداد سنة

١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

تخطيط المدن عند العرب او نشأة المدن الاسلامية

محاضرات غير مطبوعة القاها الاستاذ ناجي معروف

على طلبة الدراسات العليا - الماجستير بقسم الآثار

الاسلامية للسنة الدراسية ١٩٦٢ .

(حسين بن السيد احمد)

النجفي

تاريخ الكوفة - الطبعة الثانية بالمطبعة الحيدرية في

النجف سنة ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .

(ناصر النقشبندي)

النقشبندي

الدينار الاسلامي في المتحف العراقي - الجزء الاول

مطبعة الرابطة سنة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م .

(ديتلف نيلسن وغيره)

نيلسن

التأريخ العربي القديم - ترجمة الدكتور فؤاد حسنين

على راجعه المرحوم الدكتور زكي محمد حسن . طبع

بمكتبة النهضة بمصر سنة ١٩٥٨ م .

(ماراثنا سيوس اغناطيوس نوري)

نوري

رحلة الى الهند (١٨٩٩ - ١٩٠٠) طبع في حريصا

ببلبنان سنة ١٩٣٤ م .

(يوليوس فلهاوزن)

فلهاوزن

الدولة العربية وسقوطها . ترجمة الدكتور يوسف

العش طبع بدمشق سنة ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٦ م •

(السير ديونارد وولي) •

وولي

مدخل الى علم الآثار — ترجمة الدكتور حسن الباشا •

راجعها الدكتور عبد المنعم ابو بكر • طبع بدار سعد

بالقاهرة سنة ١٩٥٦ م •

(كليمان هوار) •

هوار

خطوط بغداد — ترجمة عن الفرنسية وعلق عليه الاستاذ

ناجي معروف • طبع بمطبعة العاني ببغداد سنة

١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م •

ثالثا - المعاجم والقواميس اللغوية

- ابن منظور
احمد رضا
لسان العرب - طبع بولاق بالقاهرة سنة ١٣٠٧ هـ .
معجم متن اللغة - مطبعة دار مكتبة الحياة ببيروت
سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .
الجواليقي
(ابو منصور الجواليقي) المغرب من الكلام الاعجمي
على حروف المعجم - تحقيق احمد محمد شاكر . طبع
بدار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٦١ هـ .
حاجي خليفة
(مصطفى بن عبد الله) .
كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون . طبع
بمطبعة المعارف بمصر سنة ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م .
الكلداني
(يعقوب اوجين منا الكلداني) .
دليل الراغبين في لغة الآراميين - طبع في الموصل
سنة ١٩٠٠ م .
محمد فارس بركات
المرشد الى آي القرآن الكريم وكلماته - غنى بجمعه
تنسيقه محمد فارس بركات . المطبعة الهاشمية
سنة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م .
محمد منير
(محمد منير الدمشقي) .
ارشاد الراغبين في الكشف عن آي القرآن المبين -
وضع محمد منير الدمشقي . طبع المطبعة المنيرية
سنة ١٣٤٦ هـ .

The Travels of Della Valle, A noble Roman into East-India and Arabia Deferta.

London 1665.

The Cuneiform inscriptions of Western Asia, Major - General Sir H. C. Rawlinson.

London 1884.

Die Keilschrifttexte Tiglat-Pileasers III, Von Paul Rost, Bond I. Leipzig, 1893.

Die Alte Landschaft Babylonien Nach den Arabischen Geographen, Von Dr. Maximilien Streck.

Leiden, 1900.

Délégation en Perse, Tome III, Par V. Scheil.

Paris, 1901.

L'introduction topographique Al, Historire de Baghdad, Gorges Salmon.

Paris, 1904.

Archäologische Reise im Euphrate und Tigris-Gebiet, Sarre und Herzfeld. Band II.

Berlin, 1913.

Die Ausgrabungen der Deutschen Ktesiphon-Expedition in winter, Oscar Reuther.

Moslem Architecture, Ernest Tatham Richmond.

Die Festungswerke Von Assur, Von Walter Andrae.

Leipzig, 1913.

Early Muslim Architecture, Vol. II, Y. A. C. Creswell.

London, 1926.

New York, 1927.

Early Muslim Arcitecture, Vol. II, K. A. C. Creswell.

London, 1932—40.

The Middle Euphrates, Alois Musil.

A short account of Early Muslim Architecture, Creswell.
London, 1958.

Historical Records of Assyria From Sargon to the end, Vol. II,
The University of Chicago Press.

The Encyclopaedia of Islam, New Edition, Vol. I :

— Art. AL-Anbar p. 484—485.

M. Streck — (A. A. Duri) .

— Art. Baghdad, p. 894—908, with a map in page 908.

A. A. Duri.

— Art. Architecture, p. 608—624, with many plates.

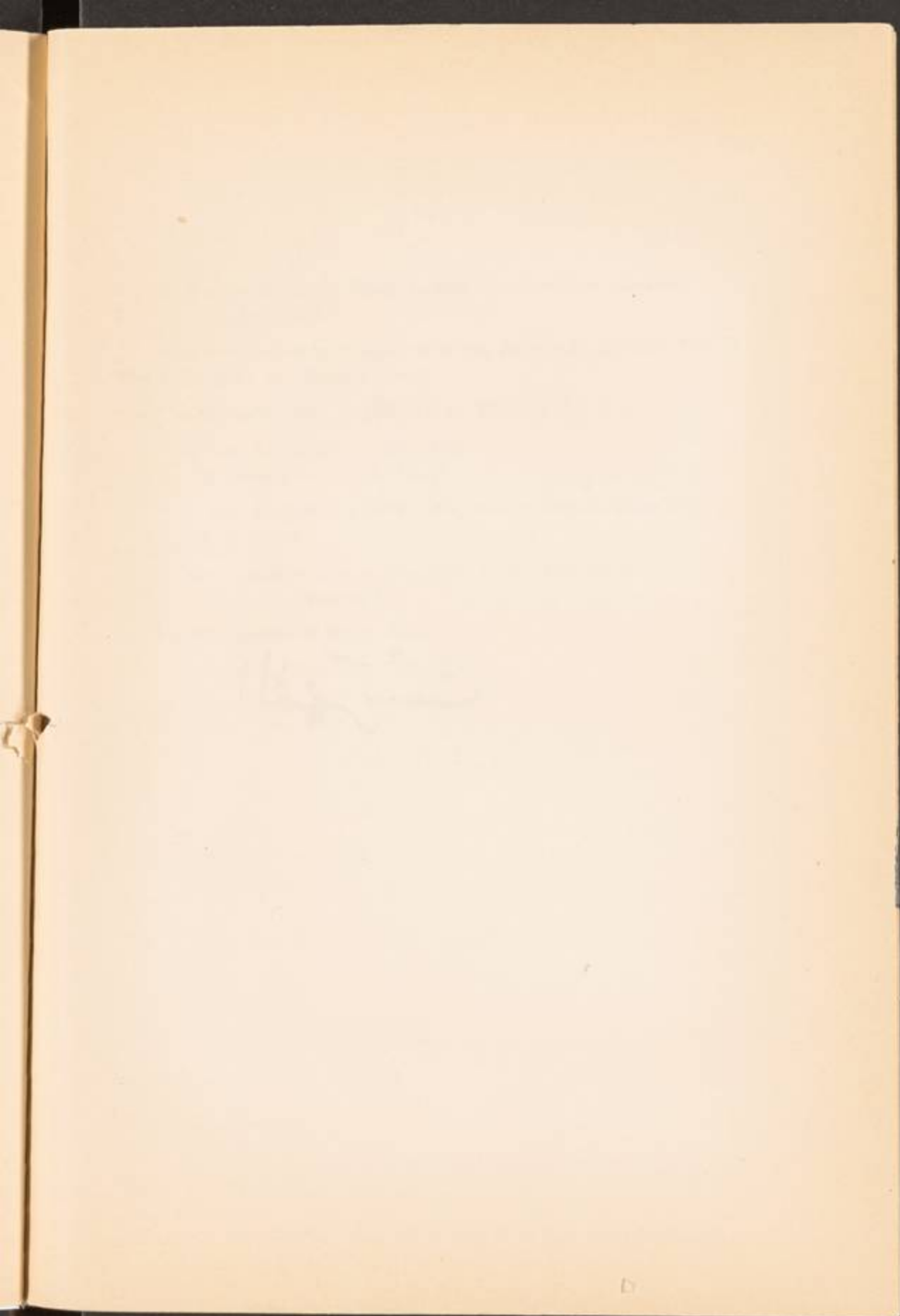
(K. A. C. Creswell) .

Encyclopaedia of Islam, Vol. II :

— Art. AL-Karch, p. 763—764.

(M. Streck) .

الفهرست



الفهرست

من ١م الى ١٦م	مقدمة الاستاذ ناجي معروف
٥	تقدير واعتراف
٦	مقدمة المؤلف
١١	موجز الرسالة

الباب الاول

٢٣	نقد آراء العلماء والباحثين في العمارة الاسلامية
----	---

الباب اثناني

٣٩	نظرة في تخطيط المدن العربية
٤١	الفصل الاول - تصوير المدن قبل بغداد
٥٢	الفصل الثاني - المدينة المدورة نموذج لتخطيط المدن العربية

الباب الثالث

	منطقة بغداد الغربية
٥٧	الفصل الاول - منطقة بغداد قبل الاسلام
٦٢	الفصل - الثاني أنهار بغداد الغربية
٩٢	الفصل الثالث - قرى بغداد الغربية

الباب الرابع

	اختيار موقع بغداد
١٠٥	الفصل الاول - العواصم العباسية قبل بغداد
١١٨	الفصل الثاني - العوامل التي دفعت المنصور الى اختيار بغداد

الباب الخامس

التهيؤ لبناء بغداد

- ١٤٩ الفصل الاول — اسم بغداد
١٦٣ الفصل الثاني — مساحة بغداد
١٦٦ الفصل الثالث — المهندسون والصناع والفعلة
١٧٢ الفصل الرابع — نفقات البناء من الاموال والمواد

الباب السادس

الشروع ببناء بغداد

- ١٨٣ الفصل الاول — تخطيط المدينة المدورة
١٩٥ الفصل الثاني — شكل المدينة المدورة
٢١٤ الفصل الثالث — الخندق والمنساة
٢١٧ الفصل الرابع — السور الخارج وبواباته
٢٣٣ الفصل الخامس — الفصيل والسور الاعظم وبواباته
٢٤٦ الفصل السادس — الفصيل الداخل والمنطقة السكنية والسكك
٢٥٠ الفصل السابع — الطاقات

الباب السابع

الرجة العظمى

- ٢٥٩ الفصل الاول — وصف الرجة العظمى
٢٦٢ الفصل الثاني — قصر باب الذهب
٢٦٩ الفصل الثالث — مسجد المنصور
٢٧٥ الفصل الرابع — مرحلة التأسيس

٢٧٩	الفصل الخامس — مرحلة التجديد
٢٨١	الفصل السادس — مرحلة الزيادة
٣٠٢	الفصل السابع — محراب المسجد

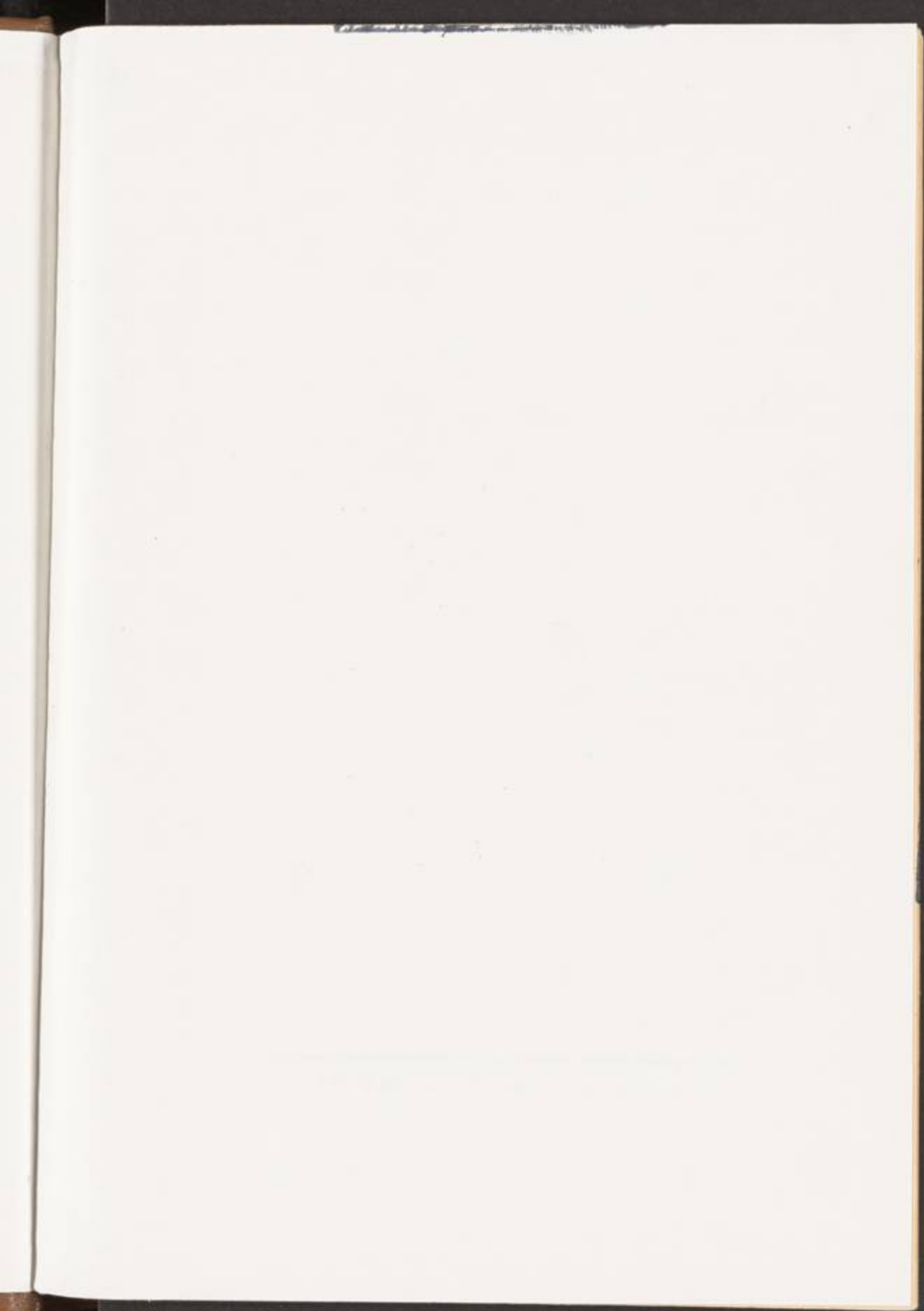
المصادر

٣٠٩	أولا — المصادر القديمة
٣١٨	ثانيا — المصادر الحديثة
٣٢٨	ثالثا — المعاجم والقواميس اللغوية
٣٢٩	رابعا — المراجع الأجنبية

X

X

X





Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University

NYU - BOBST



31142 02919 8788

DS79.9.B25 A64 1967

Baghdad, m